المؤلف: أ. د. عودة راشد الجيوسي



# الإسلامُ والتنميَةُ المُستدَامة

## رؤى كونية جديدة

تقدمة سمو الأمير الحسن بن طلال

FRIEDRICH EBERT STIFTUNG

# الإسلام والتنمية المستدامة

## (رؤية جديدة)

أ.د عودة راشد الجيوسي

سلسلة التحول والابتكار

(النسخة الثانية)

تقديم صاحب السمو الملكي الأردني الأمير الحسن بن طلال

ترجمة




الإسكندرية - مجموعة الترجمة

جمانة وليد وآخرون

تحرير

أ.د عودة راشد الجيوسي

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٣/٩/٣١٧٩)

نسخة / مركز الإيداع ٢١٨

الجيوسي، عودة راشد
الاسلام والتنمية المستدامة رؤية كونية جديدة / عودة راشد الجيوسي .-
عمان:مؤسسة فريدريش إيبرت، ٢٠١٣

(٢٠٨) ص .
ر. إ. : ٢٠١٣/٩/٣١٧٩.
الواصفات : /المجتمع//الاسلام/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الناشر مؤسسة فريدريش ايبرت ، مكتب الأردن والعراق

مؤسسة فريدريش ايبرت - مكتب عمان
صندوق بريد: 941876
بريد الكتروني: fes@fes-jordan.org
الموقع الإلكتروني: www.fes-jordan.org

**غير مخصص للبيع**

© مؤسسة فريدريش ايبرت، مكتب عمان
النسخة العربية مؤسسة فريدريش ايبرت، مكتب الاردن والعراق، تشرين الأول ٢٠١٣
النسخة الإنجليزية أ.د عوده راشد الجيوسي، حزيران ٢٠١٢
“This translation of “Islam and Sustainable Development” is published by arrangement with Gower Publishing Limited”
جميع الحقوق محفوظة. لا يمكن اعادة طبع، نسخ أو استعمال اي جزء من هذه المطبوعة من دون إذن مكتوب من الناشر
الآراء الواردة في هذه الدراسة لا تمثل بالضرورة وجهات نظر مؤسسة فريدريش ايبرت أو المحرر
الترجمة،الإسكندرية - مجموعة الترجمة، جمانة وليد وآخرون
تحرير : ميس نوايسة وعلي عوض - مؤسسة فريدريش ايبرت - مكتب عمان
تصميم الغلاف: رمزي العربي
طباعة : المطبعة الإقتصادية
الرقم المعياري الدولي (ردمك): 978-9957-484-24-8

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27)﴾

[سورة إبراهيم الآية: 24 - 27]

- **إلى** والدي اللذان علماني أن أفكر في الآخرين و كانا حريصين على أن يكون لي قيمة في الحياة.
- **إلى** زوجتي سهير جلّاد التي كرّست ساعات طويلة لمراجعة وتدقيق هذا الكتاب وقدمت لي الدعم خلال رحلتي هذه.
- **إلى** عائلتي؛ معاذ ونور ولينا وعمر الذين شجعوني على البدء بهذا العمل واتمامه.
- **إلى** جميع أفراد عائلتي وأخوتي وأخواتي الذين كانوا مصدر إلهامي في هذه الكتاب.
- **إلى** جميع المفكرين الأحرار و الشباب الذين يقودون عملية التحول في العالم.

## المحـتـويات

**الموضـــوع** | **رقـم الصفحـة**

# تقديم

التنمية المستدامة اصبحت تعبيراً دارجاً في العقدين الأخيرين مع أنه وفي كثير من الاحيان تم تقزيم هذا المفهوم ليعبر عن البعد البيئي والمناخي. إلا ان هذا المفهوم يشمل أكثر من ذلك كثيرا، فهو مفهوم يتطلب السعي الحثيث لتحقيق العدالة اذ يجب ان تستخدم المصادر بشكل حكيم اخذين بالحسبان الاجيال القادمة، كما يجب ان يكون هناك مساواة في توزيع الثروة لردم الهوة بين الفقراء والأغنياء. ويشترط المفهوم ان صناعة القرار ينبغي ان تتم بنزاهة وشفافية، فالفساد والبيروقراطية يعيقان التنيمة المستدامة في المجتمع.

رغم أنّ هناك ضرورة للجهود المشتركة من قبل كل الامم للتصدي لهذه التحديات في عصر العولمة، الا اننا بحاجة الى تحديد مقاربات على المستويين الوطني والاقليمي للاستجابة الى متطلبات السياقات ذات العلاقة. وبطبيعة الحال ينبغي على هذه المقاربات ان تأخذ بعين الاعتبار الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية لكل بلد او اقليم. لكن في العادة يتم تجاهل الدور الحاسم الذي يلعبه البعدان الثقافي والروحي للمجتمع في هذه العملية، وعليه فلا بد من دراسة ما يترتب على ذلك بشكل حذر.

وفي الكتاب الذي بين ايدينا، فإن الدكتور عودة الجيوسي يقدم نموذجا للاستدامه يعتمد على المباديء الاسلامية. ويشرح المؤلف ان الالتزام بمسؤولية بيئية وعدالة اجتماعية وحكم رشيد هو امر متجذر في اصول ومصادر الاسلام. ويضيف بأن هذه الاهداف يمكن ان تتحقق في هذه الايام باتباع المباديء الرئيسة في الاسلام. ويجادل الدكتور الجيوسي بأن الخطوة الحتمية على الطريق باتجاه المجتمعات المستدامه هو من خلال تعليم الاجيال القادمة على قيم الاستدامة المستمدة من الإسلام.

والكتاب نشر أصلاً في البداية باللغة الانجليزية، ونحن في مؤسسة فريدريش ايبرت نعتقد ان الكتاب سيكون تثقيفيا وسيكون مرغوبا به من قبل القراء الناطقين باللغة العربية. وبالتالي فإنه لمن دواعي سرورنا ان نقدم ترجمة الى اللغة العربية لكتاب يعبر مساهمة مهمة في الجدل والنقاش الدائرين على موضوع التنمية المتسدامة.

ونتمنى لكم قراءةً ملهمة ونتطلع الى اهتمامكم المستمر في نشاطات ومنشورات مؤسسة فريدريش ايبرت.

**آنيا فيلر - شوك**

**مؤسسة فريدريش ايبرت – مكتب الاردن والعراق**

# تقديم

تشكّل التحديّات والتغيّرات التي تشهدها المنطقة، خاصة في ظلّ ما يسمّى بالربيع العربي، واقعًا يستدعي تفعيل العمل والتنسيق المشترك بين الأطراف ذات العلاقة. وتعدّ الجهود التي تضطلع بها منطقة غرب آسيا وشمال أفريقيا، مطلبًا ملحًا أكثر من أي وقت مضى من أجل تحقيق فهم أفضل للتنمية وإيجاد مقاربات استباقية للتنمية نابعة من المجتمع المحلي. ويمثّل كتاب الدكتور عودة الجيوسي «**الإسلام والتنمية المستدامة**» خطوة إيجابيّة في هذا الاتجاه، حيث يحاول إثبات أنّ بعض المفاهيم والنماذج الإسلاميّة النبيلة لا تتفق فقط مع المفاهيم الحالية للتنمية المستدامة، بل يمكن تطبيقها كوسيلة لإلهام الآخرين من أجل مشاركة موسّعة في صيرورة تنمويّة لا تقف حدودها عند الحد من الفقر.

ويُظهر الدكتور الجيوسي في هذا الكتاب عدم إمكانيّة تبني النماذج الغربية للتنمية وتطبيقها، «كما هي»، في المجتمعات الشرقية، على الرغم من أنّها تقدّم مراجع مهمّة وبدايات قيّمة. فقد أشار الفكر التنموي إلى هذه النقطة منذ أمد بعيد. ونجد، في المقابل، أنّ محاولات ترسيخ بعض التفصيلات الخاصة بكيفية مقاربة التنمية بفعاليّة ونجاح كبيرْين في المجتمعات الشرقيّة والإسلاميّة هي ظاهرة أكثر حداثة.

وتعدّ ندرة المياه في الأردن وارتفاع معدل النمو الطبيعي للسكان بالإضافة إلى تدفق أعداد كبيرة من اللاجئين من أخطر التحديات البيئية التي يواجهها بلد محدود المصادر المائية ومصنف عالميًّا كرابع أكثر دولة فقرًا بالمياه. وقد تفاقم الوضع في ضوء تقاسم الأردن لمعظم موارده المائية مع دول الجوار، خصوصا في غياب وجود نظام الإدارة المستدامة لهذه المصادر ما قد يتسبب في خفض منسوب المياه الجوفية وتدهور نوعية المياه.

وقد بدأنا بتشجيع المقاربات التي تركز على "العلم والأمانة والتقاليد" كنموذج حالي لمفهوم "الحمى". وتعني هذه الكلمة في اللغة العربية "المنطقة المحميّة"، إلا أنها تحمل دلالات متعددة تدعم نظام إدارة الموارد البيئية المجتمعية. ويشجع هذا المفهوم بما يحمله من معانٍ موروثة وقيّمة على الأعمال الهادفة إلى الحفاظ على البيئة وحمايتها بما يتداخل مع العدالة الاجتماعية. ونعتقد أنه يمكن لتراث منطقتنا الغني بأخلاقيات النظم البيئية الإسلاميّة أن يتيح المجال للاستثمارات الاجتماعيّة المحليَّة، ما يوفّر التوازن لأنواع الاستثمارات الأخرى، ويعزز إلى حد كبير، بدلا من أن يهدد، الاستثمارات بأنواعها كافة. ومثال على ذلك، مشروعات الطاقة الخضراء.

آمل أن يحظى هذا الكتاب باهتمام المختصين في علم المناهج والقائمين بالبحوث النظرية في مجال التنمية في منطقة غرب آسيا وشمال أفريقيا، الذين يبحثون عن لغة تضيف قيمة ملهِمة للمقاربات التقنيّة.

**الأمير الحسن بن طلال**

رئيس منتدى غرب آسيا وشمال إفريقيا

# المقدمة

## تأملات ورحلة شخصية بحثاً عن البصيرة

رسمت موجة الديمقراطية والصحوة العربية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، والتي بدأت في تونس ومصر منذ أوائل عام ٢٠١١، صورةً جديدة لهذا الجزء من العالم. كما أنها جلبت أملا جديدا وتفاؤلا بأن هذا التحول والتجديد هو قانون طبيعي واجتماعي يحتاج إلى التأمل للإسهام في خطاب وحلم جديدين. وقد أدت هذه الأحداث المتكشفة إلى ضرورات حتمية وعقلانية جديدة للابتكار الاجتماعي وساعدت على تصميم نموذج جديد للاستدامة، متجذر في البيئة والثقافة المحلية. ويعتبر التعطش للعدالة والكرامة والتنمية المستدامة دافعا ومحفزا لهذه الصحوة العربية.

هذا الكتاب عبارة عن محاولة لوضع تصوّر لنموذج جديد للاستدامة من وجهة نظر إسلامية. ويعتبر شعار الحركات الاجتماعية الشعبية «الشعب يريد تغيير النظام» الخطوة الأولى في رحلة طويلة نحو حضارة بشرية مستدامة تطالب بعدالة طال انتظارها، وتسعى لتحقيق جمال داخلي وخارجي (الإحسان)، ورأس مال اجتماعي (الأرحام)، ومجتمع يخلو من الفساد. هذه الركائز الأربعة للاستدامة هي المواضيع التي يتحدث عنها هذا الكتاب.

بدأت قصة هذا الكتاب خلال رحلتي الأولى إلى اليمن في عام ٢٠٠٤ كمدير إقليمي لمكتب الإتحاد الدولي لحماية الطبيعة (International Union for Conservation of Nature (IUCN)) في الشرق الأوسط. فتحت سنوات العمل السبع مع الإتحاد عيناي على آفاق جديدة في التنمية والاستدامة من خلال العمل مع المجتمع المدني والمؤسسات البحثية والجهات المانحة والحكومات.

خلال بعثتي الأولى هذه الى اليمن، واجهت تجربة شخصية أجبرتني على التفكير مليا في مُستقبل التنمية في المنطقة العربية. أثناء تجوالي في المدينة القديمة صنعاء، حيث يمكن للمرء أن يشهد الحضارات الأولى بتدخل محدود من العالم الحديث، كان السوق القديم يعج بالحركة والحياة التي لا مثيل لهما في أي مدينة أخرى، وفي متجر صغير أسفل مستوى الشارع بثلاث درجات صغيرة، كان هناك جملا معصوب العينين، بقطعة من القماش، يَدور حول مطحنة حجرية لطحن البذور. وعندما كان الجمل ينهي مهمته، كان صاحب المتجر الصغير يكافئه ببعض الخضروات. لقد ذُهلت بعدد الصور والأفكار التي غزت ذِهني عندها؛ فهذا هو التشبيه المناسب لأنماط التنمية الحالية في العالم العربي. ببساطة شديده، لقد فقدنا بوصلتنا وبصيرتنا الاجتماعية. فحتى الآن، لاتزال دول العالم

النامي، دول الجنوب، تُكَافئُ من مختلف وكالات الإعانة الدولية ببرامج - في بعض الحالات - قد تعزز التبعية وتقوض الرأسمال البشري والاجتماعي والطبيعي.

هذا الكتاب هو محاولة لكشف القناع عن عيون المهنيين القادرين على عكس أفكارهم وعن الحاجة لإعادة التفكير في النموذج الحالي للتنمية والاستدامة. ومع أدراكي أن هذه المهمة ليست بالمهمة السهلة، لكن خبرتي العميقة التي اكتسبتها من خلال عملي في كل من الإتحاد الدولي لحماية الطبيعة (IUCN)، ومن برنامج الدراسات العليا في إدارة التحول، كمستشار أكاديمي ( ١٩٩٧-٢٠٠٣) مع البروفيسور روني ليسم (Professor Ronnie Lessem) في جامعة باكنغهام Buckingham University))، فتحت أمامي آفاقا جديدة من المعرفة في مجالات الابتكار والتغيير الاجتماعي والتي كانت سببا في إلهامي وتحولي. إن بذور هذا الكتاب بدأت بالنمو بعد بعثتي إلى اليمن في عام ٢٠٠٤.

لقد ساهمت سنوات عملي السبع الأخيرة مع الإتحاد (IUCN) في تشكيل وتعميق إدراكي لمفهوم الاستدامة. كان ذلك من خلال مُشاركتي باجتماع المفكرين العالميين لبحث ومناقشة مستقبل الاستدامة في عام ٢٠٠٦. لقد دفعني هذا الاجتماع إلى المساهمة في هذه العملية من منظور ثقافي كصوت قادم من الجنوب. يعتمد القسم الأخير من هذا الفصل على إحدى إصدارات الإتحاد الدولي لحماية الطبيعة (IUCN) المتعلقة بموضوع التحول نحو الاستدامة من تأليف كل من W.M. Adams، من جامعة كامبردج (Cambridge University)، وS. Jeanrenaud، من الإتحاد الدولي لحماية الطبيعة (IUCN)، في عام ٢٠٠٨.

وما زلت أتذكر ما سألني إياه نسيبي، عادل شاكر، خلال الأيام الأولى من عملي لدى الإتحاد الدولي لحماية الطبيعة (IUCN) عن التغطية الجغرافية لِمنطقتي، فأجبته بأنها تشمل كل من العراق وسوريا وفلسطين وإيران والباكستان وأفغانستان وبقية الدول العربية. وكان رده الفوري: «يجب أن تستقيل من وظيفتك ... مَن يهتم بالأسماك والشعاب المرجانية أو الطيور والكائنات المهددة بالانقراض إذا كانت حياة البشر مُهددة بالانقراض؟». وأضاف قائلا: «ليس هناك أمل للحفاظ على البيئة في منطقة مليئة بالفقر والثروة والصراع».

لقد أتاح لي انغماسي بالعمل مع المجتمع المدني والجهات المانحة والمنظمات الدولية والحكومات لمعالجة قضايا الاستدامة والحوكمة في الشرق الأوسط رؤية آفاق جديدة للتنمية على الصعيد العملي، بالإضافة إلى رؤية آثار التنمية على الصعيد المحلي وعلى مستوى السياسة العامة. كما أنَّ زياراتي إلى العديد من البلدان في جميع أنحاء العالم - من سويسرا وموناكو وتايلند والمكسيك

وهولندا وماليزيا وكوستاريكا والسنغال إلى جنوب أفريقيا واليمن وفلسطين وسلطنة عمان والعراق ومصر والبحرين والإمارات العربية المتحدة وباكستان ولبنان وسوريا والهند وقطر والمملكة العربية السعودية - أتاحت لي الفرصة لتعميق وتوسيع إدراكي بأن مفهوم التنمية المستدامة له أوجه وسياقات مختلفة. أهدف من خلال كتابي هذا إلى توثيق تجربتي الشخصية في جميع البلدان التي زرتها مع بعض الانعكاسات عن كيفية تصور التنمية وممارستها في أجزاء مختلفة من العالم.

إضافة إلى ذلك، فإنني أهدف إلى المساهمة في تسليط الضوء على الروابط القائمة بين الثقافة والتنمية من خلال رحلتي الشخصية. وتعتبر هذه محاولة لوصف جزء من العمل الذي تهدف له العديد من الجهود التنموية في منطقة الشرق الأوسط. كما أنها محاولة لإلقاء بعض الضوء على المحاولات الرامية لتجسيد فكرة البصيرة والبصر كي تجنب الشرق الأوسط الاضطراب والجمود والركود والنكوص.

وبالعودة إلى رحلتي الأولى إلى اليمن؛ لقد كنت في حِيرة محاولا ربط النص بالسياق. لقد أثنى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) على اليمن بقوله: «الإيمان يماني والحكمة يمانية». ولكن كيف فقدنا الحكمة؟ صحفيَّة يمنيَّة، اسمها «ناديه الناشر»، تعمل لحساب صحيفة يمنية أجابت على سؤالي هذا: «لقد غرقت وضاعت الحكمة في الجزء الجنوبي من بحر العرب في حضرموت». ومع ذلك، أثبتت الصحوة العربية الحالية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أنه تم العثور على هذه الحكمة. ويتجلى هذا بوضوح من خلال مطالبات شعبية حازمة للإصلاح والكرامة والتنمية المستدامة.

وفي محاولة للتّغلب على هذه الحالة من الركود والانحطاط، بحثتُ في تاريخ الحضارات القديمة في الشرق الأوسط محاولا فهم الأسباب الكامنة وراء صعود وهبوط الحضارات القديمة مثل «حضارة سبأ» في اليمن وفي بقية أنحاء العالم كما بينها الكاتب Diamond عام ٢٠٠٥ في كتابه الذي لخص الأسباب الرئيسية لإنهيار الأمم وتشمل: عدم القدرة على إدراك وقبول المخاطر وعدم القدرة على التصرف عند وقوع الخطر.

في الفترة ما بين ٢٠٠٩ و٢٠١٠، كنت عضوا في منتدى فكري عالمي يترأسه صاحب السمو الملكي الأردني الأمير الحسن بن طلال تسمى منتدى «غرب آسيا شمال أفريقيا» (West Asia North Africa (WANA). يهدف هذا المنتدى الى تطوير رؤية إقليمية موحدة لمستقبل مستدام. لقد بحثت في الحلم الأوروبي بهدف البحث عن تجربة مشتركة لتطوير خطاب جديد مبني على

الإيمان (Faith) والعقل (Reason) والتعاطف الإنساني (Empathy) لتسخير ثروة الشرق الأوسط. كما دفعتني هذه التجربة إلى إعادة التفكير في وحدة التحليل الإقليمي وذلك من أجل خلق كتلة حرجة لمستقبل مستدام. وكان الجدل حول إمكانية منتدى «غرب آسيا شمال أفريقيا» (WANA) من تحقيق قفزات بتسخير التكنولوجيا النظيفة وبناء البنية التحتية الإقليمية (مثل شبكة النقل العربية).

لقد كان شغفي واهتمامي موجهين لإضفاء الطابع المحلي على التكنولوجيا في المنطقة وإعادة التفكير بوحدة التحليل الحالية لقضايا المياه والطاقة والأمن الغذائي التي تقوم على أساس حدود «الدولة القطرية». تعتبر كل من المياه الافتراضية (المياه الموجودة في الغذاء) والبطالة والطاقة وتغير المناخ أمثلة واضحة على تحديات لا يمكن معالجتها في إطار حدود الدولة القطرية. اذ لا بد من تطوير عقد اجتماعي بين الدول العربية كضرورة حتمية ومنطقية. سوف تخلق الصحوة في المنطقة العربية زخما جديدا إذا كانت المؤسسات الديمقراطية ناضجة وقادرة على المشاركة في إنشاء وتطوير رؤية إقليمية معزِّزة للسلام والحرية والاستدامة. وتتطلب الاستدامة علم إقليمي جديد وسياسات تحليلية إقليمية جديدة ومنظومة تحليل جديدة؛ مثل منطقة تعاون اقتصادية أو حوض النهر أو الإقليم البيئي (Eco-region) الذي يتخطى حدود الدولة القطرية.

لقد دفعتني الأزمة المالية التي بدأت في الأعوام ٢٠٠٨-٢٠٠٩ إلى محاولة فهم الافتراضات، والأسباب الجذرية التي كانت وراء حدوثها، وكيف يمكن لأدوات التمويل الإسلامية أن توفر بعض الحلول الأساسية للأزمة المالية العالمية. اذ يجب تطبيق اقتصاد عملي، كما شرح Sachs (٢٠٠٥)، لمعالجة أوجه عدم الإنصاف بين الشمال والجنوب. لقد أشار الباحثون والخبراء الاقتصاديون إلى أدوات التمويل الإسلامي كوسيلة لتقديم نموذج جديد للتصدي لآثار الأزمة المالية العالمية الممتدة. بالإضافة إلى ذلك، قدّم خبراء التنمية حالات قوية من المفارقات والتناسب العكسي بين المعونة الخارجية المقدمة لأفريقيا، وبين تراجع المؤشرات الاقتصادية الحيوية فيها. أحد هذه المفارقات، والتي جعلتني أتساءل عن العلاقة بين العقلانية الاقتصادية والأساس النظري لنموذج التنمية والمعونة الخارجية، حيث يرافق زيادة الدعم الخارجي إستمرارية زيادة نسبة الفقر. وعلى الساحة الإقليمية، لقد كشفت موجة الديمقراطية في العالم العربي عن عشرات المليارات من الدولارات التي يملكها القادة في مصر وتونس وليبيا، بينما تعيش شعوب هذه الدول تحت خط الفقر. في حين لو تم إستثمار هذه الأموال في المنطقة لنتج عن ذلك إنشاء منطقة جديدة تتمتع بنفس البنية التحتية والخدمات المتوفرة في أي دولة متقدمة من الدول الأوروبية أو الولايات المتحدة. وأؤكد في هذا الكتاب بأن العدل هو حجر الأساس لمجتمع مستدام.

يتكون هذا الكتاب من سبعة فصول وخاتمة؛ سأستعرض في الفصل الأول المفاهيم التقليدية وأساليب الاستدامة بأسلوب نقدي بغية تحديد العناصر المفقودة في النموذج الغربي بأركانه الثلاثة (الاقتصادية والاجتماعية والبيئية). فمن الواضح أن المكونات الثقافية والروحية للنموذج التقليدي مفقودة. ومن ثم، سأقوم بإدخال مجموعة من المفاهيم الإسلامية التي من شأنها أن تساعد على تحديد إطار نموذج جديد لتحقيق الاستدامة وتطوّره. وأجادل في هذا الفصل بأن هناك بعض من البقع العمياء التي يتضمنها النموذج الاقتصادي الحالي للاستدامة إذ يعاني من فقدان ذاكرة للأماكن الطبيعية (Eco-Amnesia)، وبالتالي خيَّب هذا النموذج آمال الناس ودمَّر الطبيعة، وذلك بما نتج عنه من أزمة مالية عالمية وفجوة الفقر وتغيّر المناخ. كما يتناول الفصل الأول نواقص وعيوب النموذج الاقتصادي الغربي السائد الذي يستند إلى النمو والإفراط في الاستهلاك؛ والذي يتميّز أيضا بالفجوة الكبيرة بين الأغنياء والفقراء والإفراط في الاستهلاك والتلوث ومخاطر المناخ. وأجادل أيضا، في هذا الفصل، حاجتنا إلى نموذج جديد يعزز الإزدهار دون الإفراط في الاستهلاك والتلوث. كما قُمت بتضْمين مفاهيم التوازن والانسجام والمصلحة العامة والحكمة والزهد في العيش على الأرض كمفاهيم أساسية لصياغة نموذج جديد للإستدامة.

يحدد الفصل الثاني الإطار العام لنموذج جديد للتنمية المستدامة وهو مستوحى من نسق التفكير الإسلامي بما فيها القيم الروحية والثقافة. يتألف الإطار المقترح للاستدامة من أربعة عناصر هي: العدل والإحسان وصلة الأرحام والحد من الفساد. وسيتم شرح كل عنصر من هذه العناصر الأربعة في الفصول التالية بدءاً من الفصل الثالث وإنتهاء بالفصل السادس. ويرتبط هذا النموذج الرباعي الأبعاد بمجالين وهما؛ الحياة الطيّبة وعمارة الأرض.

يناقش الفصل الثالث مفهوم العدل؛ وهو البعد الأول في إطار الاستدامة. وسيتم مناقشة حقوق الأراضي والملكية والعدالة الاقتصادية في الإسلام من منظور قانوني. وسيتناول القسم الأخير من هذا الفصل مفهوم التجارة العادلة (Fair Trade) والحمى (المناطق المحمية) كتطبيق لمفهوم العدالة في عالم تسوده العولمة.

يستعرض الفصل الرابع مفهوم الإحسان كدعامة ثانية لنموذج الاستدامة. ويمثل الإحسان الجمال والوعي الداخلي. وينطوي مفهوم الإحسان على تقدير الجمال والإنسجام في الكون والطبيعة والمجتمعات. وباعتقادي، إن تدهور الذوق الجمالي نتج عن غياب مفهوم الإحسان. إنَّ تعلّم كيفية تقدير الجمال الخارجي، هو إنعكاس طبيعي للجمال الداخلي، والتوحيد ما بين الجمال الداخلي والخارجي هو في جوهره معنى الإحسان. وسيناقش هذا الفصل الرؤية المستقبلية لمكة المكرمة؛

كنموذج للمدينة والحياة الطيّبة.

يتناول الفصل الخامس البعد الثالث من نموذج الاستدامة وهو صلة الأرحام. ويتم أيضا مناقشة النظام الاجتماعي الإسلامي الذي يشمل المجتمع أو الأمة والأسرة والفرد. سيكون التركيز في هذا الفصل على المجتمع نظراً لما يتضمنه هذا المجال من جوهر العمل الجماعي والاختيار. يُسمّى هذا المجتمع المبني على أساس القيمة «بالأمة الوسط» التي تحمل الأمانة لتوفير أرضية وكلمة سواء لجميع الناس. وتشمل صلة الأرحام البُعد الإنساني والبعد الاجتماعي من منظور إسلامي. وعلاوة على ذلك، يقدِّم هذا الفصل مفهوم الوَقْف كحالة دراسية لدعم التماسك الاجتماعي والمسؤولية الاجتماعية.

يتطرق الفصل السادس للبعد الرابع للإستدامة وهو مفهوم التلوث والفساد. حيث يُنظر إلى أي إنحراف عن الفطرة كتلوث أو كفساد. ومِن ثمّ، فإن تغيّر المناخ يُعتبر، من منظور إسلامي، شكلا من أشكال الفساد. وأجادل في هذا الفصل بأن وِحدة الكون والإنسانية والمصير يَفرض الحاجة إلى قيادة تحويلية عالمية للتصدي للتهديدات المحتملة لتغير المناخ. كما وينبغي على المنتديات العالمية بشأن تغيّر المناخ أن تكون على دراية بالخطاب الإسلامي الإنساني. وإلى جانب ذلك، أقدم نموذجا للتصدي لتغيّر المناخ ويشمل كلا من الكفاح (الحراك الاخضر) والإجتهاد (الابتكار الأخضر) والزهد (نمط الحياة الخضراء). ويمثِّل هذا النموذج استجابة لتغيّر المناخ من منظور إسلامي إنساني.

ويستعرض الفصل السابع التعليم من أجل التنمية المستدامة من منظور إسلامي. ويهدف هذا الفصل إلى نقد وتقييم النظام التعليمي الحالي الذي يخلو من علم الكونيات ويُعاني من نقص في النظرة البيئية. لقد تأثّرت فلسفة التعليم الغربي بالنموذج الميكانيكي لنظرية نيوتن التي تبدو في الطبيعة كفرصة للاستغلال وليس كمصدر للإلهام والابتكار. ويؤدي هذا النموذج من التعليم إلى حالة من «اضطراب في فهم الطبيعة»، ويُسهم في رفد التحديات العالمية الحالية بما في ذلك الاستهلاك والفقر وتغير المناخ. ويقترح هذا الفصل إيجاد تعليم ذو قدرة تحوّلية مُسترشدا برؤى العالم الإسلامي ومفهوم التوحيد بين العقل والروح، والعلوم الطبيعية والاجتماعية، والدنيا والآخرة. وسيكون هذا التعليم التحوّلي الأمل لحضارة مستدامة.

واقترح في هذا الكتاب أيضا نموذجا جديداً للتنمية المستدامة يتضمن المكونات الروحية والثقافية من منظور إسلامي. وسوف أستخدم مصطلح «الطيّبة» بدلاً من مصطلح «المستدامة» حيث ان الأبعاد الثقافية لمصطلح «الطيّبة» تشير إلى دولة الخير المستوحاة من المعارف المحلية

والثقافة الإسلامية الأصيلة.

لقد عانى العالم الإسلامي، في القرن الماضي، من سلسلة من التحديات التي أعاقت مُساهمته في الاستدامة، فقد طغت قضايا الإصلاح السياسي على شؤون التنمية المستدامة. كما استعار العالم الإسلامي عددا من النماذج الغربية، وعلى نطاق واسع، خلال فترة ما بعد الإستعمار والحقبة اللاحقة للاستقلال، الكثير من انماط التفكير. لذلك، هناك حاجة ملحة الى إعادة التفكير وإصلاح الفكر الحالي للإستدامة وتفكيك وإعادة بناء نموذج جديد للإستدامة يستمد جذوره من التربة المحلية وثقافة الشرق الأوسط. كما سأسلِّط الضوء على قيمة المعرفة المحلية والإنسجام والتوازن كمفاهيم أساسية في الإسلام حيث أنَّ كل أنواع المخلوقات في حالة صلاة «سجود وتسبيح». والاحتفال بتنوع وجمال الحياة دور يجب على كل كائن أن يلعبه كجزء من «سمفونية الحياة». ويمكن لهذا أن يتحقق عندما يَعي الإنسان بركات الخالق ويعيش حالة من التصالح مع النفس والطبيعة والكون.

أود أن أُثبت في هذا الكتاب بأن الإسلام ليس مجرد دين، ولكنه يُمثّل أيضا نظرة عالمية شاملة وطريقة حياة تهتم بتنظيم العلاقات بين البشر، من جهة، وبين البشر والطبيعة، من جهة أخرى. هذا الكتاب هو أيضا محاولة لوضع بعض المبادئ والمفاهيم الإسلامية الأساسية في التنمية المستدامة في مختلف المجالات من الثقافة إلى الاقتصاد وعلم البيئة والتعليم.

# الفصل الاول

# التنمية المستدامة

## إعادة نظر للمفاهيم

ثاني أكسيد الكربون والإسلام، كليهما، يشكلان عناصر أساسية للحياة. ومع ذلك، ُينظر إليهما في القرن الحادي والعشرين كتهديدات عالمية للبشرية والاستدامة. يحتاج كلا المفهومين إلى تفكيك وإعادة بناء.

(المؤلف)

## نظرة عامة

يهدف الفصل الأول من هذا الكتاب إلى تقديم بعض التعاريف الأساسية والأساليب المعتمدة للاستدامة. كما يهدف أيضاً إلى نقد النموذج الاقتصادي الغربي الحالي الذي يعتمد على آلية السوق والذي خيّب آمال الناس، أفسد الطبيعة، وهوى بالاقتصاد. والجدل القائم هو أن اقتصاد السوق الحالي لا يُفصح عن الحقيقة البيئية وأن الناتج القومي الإجمالي ليس المقياس الصحيح لقياس مستوى تقدّم الأمم. ويصف هذا الفصل أيضاً عيوب وأوجه القصور التي يعاني منها النموذج الاقتصادي السائد والمستند إلى النمو والإفراط في الإستهلاك والمتميز بالفجوة الكبيرة بين الأغنياء والفقراء والإفراط في الإستهلاك والتلوث ومخاطر المناخ.

يوضح هذا الفصل الحاجة إلى نموذج جديد يُعزز الإزدهار دون الإفراط في الاستهلاك والتلوث. بحيث يأخذ هذا النموذج بعين الإعتبار فكرة الزهد. كما يُقدم هذا الفصل المفاهيم الإسلامية الرئيسية للتمهيد للفصل الثاني الذي بدوره سوف يُحدد الإطار العام لنموذج جديد للتنمية المستدامة مستمد من المعارف المحلية الإسلامية والقيم الروحية والثقافة.

## الأهداف

فيما يلي الأهداف الرئيسية لهذا الفصل:

١. مراجعة التطورات والمصطلحات المُستعملة في التنمية المستدامة.

٢. نَقد النموذج الاقتصادي الرأسمالي القائم على آليات السوق.

٣. مُناقشة أسس التنمية المستدامة.

٤. تقييم مدى ملائمة وعقلانية النموذج التقليدي للتنمية المستدامة لدول العالم النامي.

٥. تقديم المفاهيم الأساسية للاستدامة من منظور إسلامي.

## التنمية المستدامة – إعادة نظر

بدأتُ بكتابة هذا الفصل في الخامس والعشرين من سبتمبر عام ٢٠١٠ في البحرين، حيث كنت أستمع إلى تقرير الجمعية العامة للأمم المتحدة عن الأهداف الإنمائية للألفية ومستوى تحقيق الأهداف. وقد كشفَتْ مشاهدة هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) وقناة الجزيرة الدولية عن حقائق مثيرة للإهتمام؛ أفاد أحد المعلقين في هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) بأن مبنى الأمم المتحدة كان مهيبا جدا ولكن الإجراءات والنتائج المنبثقة عن ١٩٢ دولة لا تفي بالتوقعات. ومن القضايا الرئيسية التي تحد من تحقيق فعَّال للأهداف الإنمائية للألفية هي فعالية التمويل والإفتقار إلى الحوافز الممنوحة للقطاع الخاص والدور المحدود للمجتمع المدني والحكومة. هناك الكثير من القلق والشك بأن يأتي العام ٢٠١٥ ولايزال العالم متخلف عن تلبية العديد من الأهداف الإنمائية للألفية.

## نشأة وتطور مفهوم التنمية المستدامة

تم تناول مفهوم وتحديات الاستدامة في العديد من الدراسات مثل «استراتيجية المحافظة على العالم» كما نشرها الإتحاد الدولي لحفظ الطبيعة (IUCN)، والصندوق العالمي للطبيعة(WWF)، وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP) في العام ١٩٨٠، وتقرير «العناية بالأرض» في العام ١٩٩١، وفي تقرير «اللجنة العالمية» المعنية بالبيئة والتنمية (World Commission on Environment and Development (WCED)) في العام ١٩٨٧. كما نوقش المفهوم في مؤتمرات الأمم المتحدة

في ستوكهولم في العام ١٩٧٢، وريو في العام ١٩٩٢، وجوهانسبرغ في العام ٢٠٠٢ (Adams، ٢٠٠٩).

والسؤال الرئيسي هو: «هل نسير نحو مستقبل مستدام آخذين بعين الإعتبار مصيدة الفقر والعجز في كرامة الإنسان وانتشار فيروس نقص المناعة المكتسبة (HIV) والتدهور البيئي؟»، وهل يوجد لدينا التوازن الصحيح بين رؤوس الأموال كافة (الطبيعية، والاجتماعية، والبشرية، والصناعية، والمالية)؟ تشير التجارة العالمية الحالية إلى أننا نستعين بالصين كمصدر خارجي لتغذية وتوفير السلع لبلايين البشر حول العالم. وأشارت محادثات المناخ في كوبنهاغن في العام ٢٠٠٩ الى وجود خلل وظيفي في نظام الحكم العالمي. فنحن نستخدم رأس المال الطبيعي للصين من خلال استخدام الطاقة الافتراضية والمياه والغذاء. والسؤال الذي يطرح نفسه هو: «كم من الوقت يلزم للحفاظ على الوضع الراهن؟».

وتكشف تحاليل مفصلة للإحصاءات الحيوية البيئية والاقتصادية والاجتماعية بأن نموذج التنمية الاقتصادية الحالية خيب آمال الناس وأفسد الطبيعة وهوى بالاقتصاد. وهناك فقدان ذاكرة للبيئة والمكان وبقع عمياء يعاني منها النموذج الاقتصادي الرأسمالي مما أدى إلى فشله في الإفصاح عن الحقيقة البيئية.

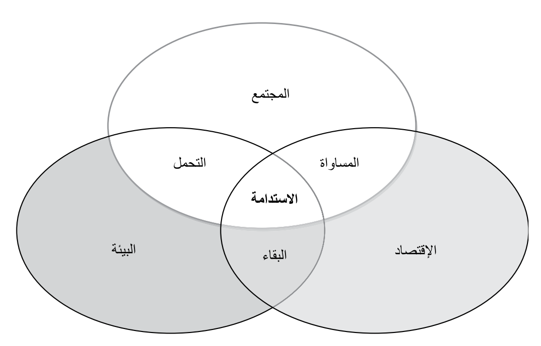
لقد تم استعمال مصطلح «التنمية المستدامة» على وجه التحديد من خلال لجنة بروتلاند (Brundtland Commission) في عام ١٩٨٧، ثم أصبحت فكرة مستخدمة على نطاق واسع في العديد من التخصصات مثل النقل والمياه والإسكان والسياحة. ويعني هذا المصطلح: «القدرة على تلبية احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها الخاصة».

وفي السبعينيات، تم استخدام مصطلح الاستدامة لوصف اقتصاد متوازن مع أنظمة الدعم البيئية الأساسية. وتشمل المكونات الرئيسية للتنمية المستدامة ثلاثة أبعاد وهي: البيئية والاقتصادية والاجتماعية كما هو مبين في الشكل ١.١. ومن ناحية أخرى، أظهرت نماذج أخرى البيئة (رأس المال الطبيعي) كإطار عام يضم النظم الداعمة للحياة حيث يرتكز عليها رأس المال الاجتماعي والنقدي كما هو مبين في الشكل ١.٢.

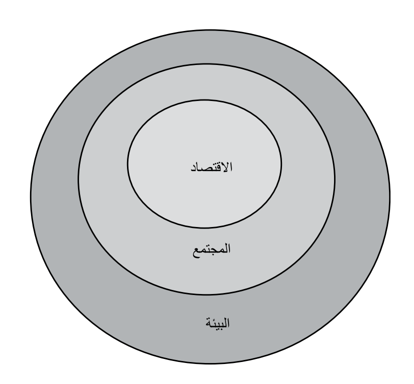
فيما يلي استعراض للتعاريف الأساسية للتنمية المستدامة. للإستدامة معانٍ مختلفة لدى مختلف الأمم ومع ذلك فهي على ما يبدو توحدهم تحت هدف مشترك. والغرض من عرض هذه التعاريف المختلفة هو التمكن من تحديد الثغرات التي تعاني منها بُغية المساعدة على صياغة نموذج جديد لتحقيق الاستدامة. سيتم إستكشاف مفهوم التنمية المستدامة أدناه ومن ثم سوف أناقش

بعض العناصر الرئيسية للتعاريف مستندا الى عمل Rijsberman (٢٠٠٠).

١. تعرف لجنة برونتلاند (Brundtland Commission) التنمية المستدامة «تنمية تفي احتياجات الجيل الحالي، دون المساس بقدرة الأجيال المقبلة على الوفاء باحتياجاتها» (WCED، ١٩٨٧، ص ٤٢). العنصر الهام في هذا التعريف هو الوفاء بإحتياجات الجيل الحالي من ناحية، وإحتياجات الأجيال المقبلة من ناحة أخرى.




الشكل ١.١ نموذج للتنمية المستدامة (IUCN، ٢٠٠٦)




الشكل ٢,١ نموذج للإستدامة يبين أن الإقتصاد والمجتمع مقيدين بحدود البيئة

٢. يعرف الإتحاد الدولي لحمايه الطبيعة (IUCN) االتنمية المستدامة بأنها تحسين نوعية الحياة مع العيش ضمن القدرة الإستيعابية للنظم البيئية الداعمة» (الإتحاد الدولي لحماية الطبيعة، وآخرون، ١٩٩١). وهذا التعريف أوسع من التعريف المقدم من لجنة برونتلاند (Brundtland Commission). ومن الواضح أن هذا التعريف يشمل عناصر هامة مثل تحسين نوعية الحياة والقدرة الإستيعابية للنظم البيئية الداعمة. تبدو عبارة

«تحسين نوعية الحياة» في هذا التعريف أكثر طموحا من «الوفاء بالاحتياجات» كما وردت في تعريف لجنه بروتلاند (Brundtland Commission). ويمكن أن نفسر مفهوم تحسين نوعية الحياة بأنه مساو للوفاء بالكماليات، ويمكن إعتبار نوعية الحياة على أنه المستوى المطلوب لتحقيق إحتياجات الناس.

٣. وفقا للمؤلف Mostert (١٩٩٨)، تعرَّف الاستدامة بأنها الإبقاء على إمدادات «رأس المال الطبيعي»، وحدَّد بأنَّه يجب على التنمية المستدامة أن تفي بالشروط التالية:

• لا يجب أن يتجاوز استخدام المصادر المتجددة - مثل المياه - معدل التجديد.

• يجب ترشيد استخدام الموارد غير المتجددة - مثل الوقود الأحفوري – بطريقة بحيث لا يتم إستنفاذها قبل توفير مصادر بديلة.

• يجب الإبقاء على العمليات والبُنى التحتية البيئية الأساسية. يتناول هذا التعريف القدرة الاستيعابية للنظم الداعمة والمحافظة على سلامة النظام والتي يشار إليها بمنع تدهور النظام.

استناداً إلى التعريفات الواردة أعلاه، يمكننا وضع إطار عام وبناء أربعة أبعاد للتنمية المستدامة قائمة على الناس والبيئة والمعايير والقيم كما هو مبين في الشكل١،٣. تشكل التركيبات والعلاقات بين العناصر الأربعة (الناس/البيئة/المعايير/القيم) أربعة أبعاد لفهم التنمية المستدامة. وذلك على النحو التالي:

١) نهج القدرة الاستيعابية الذي يرتكز على الإدراك للقدرة الاستيعابية للبيئة والتي يُشار إليها في الإسلام «بالميزان».

٢) النهج النسبي والذي يستند إلى تقييم الحالة الراهنة تحت بعض المعايير والأهداف بما في ذلك العوامل المادية والبشرية التي يشار اليها من، منظور إسلامي «بالإحسان».

٣) النهج الاجتماعي الذي يأخذ بعين الإعتبار مصالح وآراء الناس عند صياغة السياسات وصنع القرارات، والذي يُشار إليه «بصلة الأرحام» أو رأس المال الإجتماعي.

٤) النهج البيئي الذي يُركِّز على القيمة الجوهرية للطبيعة وخدمات النظام البيئي والذي

يشار إليه بالتناغم أو «التسبيح» حيث أنَّ جميع المخلوقات في حالة صلاة (تسبيح)، لأنها تسير ضمن السنن الكونية.

يوضح الشكل ٣،١ مفاهيم الاستدامة الرئيسية والمفاهيم الإسلامية المقابلة لها والمرتبطة في أربعة أبعاد للتنمية المستدامة.

| ميزان | اجتهاد | ارحام |
|---|---|---|
| حكمة | قدرة<br>نسبة<br>معايير<br>البيئة ← → الناس<br>قيم<br>بيئة<br>اجتماعي | مصلحة |
| تسبيح | عدل | إحسان |

الشكل ٣,١ المفاهيم المرتبطة بالمفاهيم والأبعاد المختلفة للاستدامة

(Rijsberman، ٢٠٠٠) و(Al-Jayyousi، ٢٠٠٨).

تَجدر الإشارة هنا إلى أننا بحاجة إلى النظر إلى الاستدامة على أنها عملية وليس مشروع أو مُنتج، إذ أننا في الواقع نتعامل مع مشاكل معقّدة تحتاج إلى حلول من مناظير متعددة، ولهذا السبب فإنَّ نهج ومفاهيم التنمية المستدامة (الطيّبة) المختلفة قد تُقدم وجهات نظر وعدة حلول للمشكلة نفسها.

تشمل المفاهيم الأساسية المرتبطة بالتنمية المستدامة من منظور إسلامي (كما هو مبين في الشكل ١.٤) ما يلي:

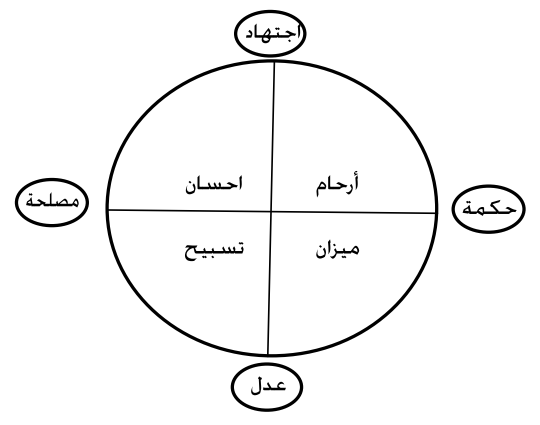
١. الحكمة: وتمثِّل السعي الهادف للحصول على الحكمة، والبحث عنها من جميع الأمم. يعتبر هذا الإخصاب المتبادل للمعرفة عنصرا حاسما في تحويل المجتمعات إلى مجتمعات بيئية مبنية

على القيم التي تتبنى الاستدامة كمنهج حياة.

٢. العدل: ويعني الحكم الرشيد بمعناه الواسع والذي يعتبر الجوهر الأساسي لقاعدة مستدامة مبنية على الحقوق.

٣. المصلحة: ويشير هذا المفهوم إلى توافق آراء المجتمع على ما يُعتبر «جيدا» للجميع. وهذا يمثل حُكما ومبدأ لتعريف السلع الجماعية أو المصالح العامة.

٤. الاجتهاد: ويشير إلى إعمال الاجتهاد ورأس المال الفكري لحل المشاكل الحالية والناشئة. ويتعلق أيضا بإعادة اختراع أدوات جديدة وأساليب للتحول إلى التنمية المستدامة.




الشكل ٤,١ المفاهيم الأساسية للاستدامة في الاسلام

علاوة على ذلك، ينتج عن الجمع بين كل زوج من المفاهيم المذكورة أعلاه مجموعة من المفاهيم التي تؤدي إلى الاستدامة. على سبيل المثال، ينتج الإحسان عن الدمج ما بين الاجتهاد والحكمة. أما فيما يتعلق بالمفاهيم الأخرى وهى الميزان والتسبيح وصلة الأرحام فهي نتاج الدمج ما بين (الحكمة - العدل)، و(المصلحة - العدل)، و(المصلحة - الاجتهاد) على التوالي، كما هو موضح في الشكل ٤,١. وسوف يتم مناقشة هذه المفاهيم بالتفصيل في الفصول اللاحقة.

## مبادئ الاستدامة: الدروس المستفادة من البيئة والديناميكية الحرارية

اعتُبِر كوكب الأرض في الستينيات والسبعينيات «سفينة فضاء « كما عبر عنها Kenneth Boulding

وBarbara Ward  (Ward، ١٩٦٦). والتحدي الذي واجهنا هو أن نمو السكان يتبع سلسلة هندسية بينما نمو الموارد الطبيعية يتبع سلسلة رياضية.

لقد تم التوفيق بين التعارض الصوري بين التنمية من جهة وبين المحافظة على الطبيعة من جهة أخرى، عن طريق مصطلح «التنمية المستدامة»، إلا أنَّ لهذا المفهوم تعريفات كثيرة، كما أنه يفتقر إلى مؤشرات وقياسات كميّة. ومع ذلك، فإن الفكرة الرئيسية للعدل بين أبناء الجيل الواحد (بين الأغنياء والفقراء الآن)، والعدل بين الأجيال الحالية واللاحقة هي حجر الأساس لمستقبل مستدام.

وكما جادل Adams (٢٠٠٨)، يدين الإيمان لفكرة بقاء الوضع الراهن «الأعمال كالمعتاد» لتقديم ما يلزم من التغييرات لآمال أولئك الذين يملكون الثروة والسلطة وليس لإجراء تحليل شامل لحالة البيئة أو إحتياجات فقراء العالم. ونواجه مخاطر النقاط الحرجة والتغيرات البيئية التي لا رجعة فيها وفي قدرتها على دعم وإدامة الحياة البشرية بجميع أبعادها. هذه الحالة من عدم التوازن والتلوث يشار إليها في الإسلام بمفهوم «الفساد» والتي تنتج عن الإجراءات التي هي من صنع الإنسان.

يتألف الاتجاه السائد للتنمية المستدامة، وفقا ل Adams (٢٠٠٨)، من سلسلة من الأفكار، مثل التحديث البيئي (Ecological modernization) والسوق البيئية (Market environmentalism)، التي وعدت بتوجيه العالم نحو تحقيق الاستدامة بطرق لا تتطلب تغييرات جوهرية وكبيرة أو تُخل بمستوى ونوعية حياة النخبة التي تتمتع  بالراحة والغنى أو القوة.

يمثّل تحول المجتمع والاقتصاد العالمي إلى نظام قائم على أساس مستدام أهم تحديات القرن الحادي والعشرين. فهو تحدٍّ غير مسبوق من حيث النطاق، فمحيطه هو الكوكب ككل. وهذا يتطلب تحولاً جوهريا في الوعي والعمل. فهو يدعو إلى رؤية جديدة وإتباع نهج جديد لتشكيل واقع جديد. وتستند المبادئ التالية لمعاني الاستدامة الى أعمال Ben-Eli (٢٠٠٥).

**المبدأ الأول: مبدأ الفطرة:**

| الحد من الفوضى في الكون وضمان تدفق الموارد من خلال الاقتصاد، فهي كالميزان، و بالقدر الذي تسمح به قوانين الفيزياء. |
|---|

يشير هذا المبدأ إلى عدد من السياسات والآثار التشغيلية التي تشمل: (أ) السعي لتحقيق أعلى إنتاجية للموارد، (ب) زيادة الأداء مع كل دورة إستخدام، (ج) تشغيل «الإيرادات» بدلاً من «رأس المال»، كلّما أمكن ذلك، وإعادة تدوير الموارد المتجددة باستمرار، (د) تفعيل نظام تدفّق مغلق غير متقطع للمادة والطاقة في بنية تحتية كوكبية منتجة، (هـ) التحكم في التسرب وتجنب الركود ووضع تركيزات العناصر الكيميائية أو نشرها بشكل عشوائي خلال دورات الاستخدام، و(و) إنشاء خدمة «الأداء التأجيري» لإدارة السلع المعمرة.

**المبدأ الثاني: مبدأ احتساب «خدمات النظام البيئي»؛ «مبدأ الميزان»**

اعتماد نظام مناسب للمحاسبة يتماشى تماما مع العمليات البيئية على كوكب الأرض و يعكس عملية تسعير حقيقية و شاملة لتوجيه الاقتصاد.

ويتضمن هذا المبدأ مجموعة من الخيارات للسياسة التي يمكن إتباعها مثل (أ) توظيف مفهوم شامل للثروة المتعلقة بالتعزيز المتزامن لخمسة أشكال رئيسية لرأس المال (الطبيعي والبشري والاجتماعي والصناعي والمالي)، (ب) مواءمة الاقتصاد العالمي مع قدرة الطبيعة المتجددة ودمج العوامل الحرجة «الخارجية» في جميع حسابات التكاليف والمنافع، (ج) إيجاد مقياس للرفاه والتنمية البشرية في الحسابات الاقتصادية، (د) تصميم سياسات أنظمة وضرائب تعمل على إبراز النتائج المرغوب فيها واستبعاد تلك الغير مرغوب فيها والعمل على إيجاد أفضل هذه السياسات .

**المبدأ الثالث: مبدأ احترام جميع أشكال مجتمعات الحياة؛ «مبدأ أمم أمثالكم»**

ضمان المحافظة على التنوع الضروري لجميع أشكال الحياة في المحيط الحيوي.

يمكن استنباط مجموعة من السياسات والآثار التنفيذية من هذا المبدأ وهي: (أ) حصاد الكائنات الحية فقط من أجل القدرة على التجدُّد، (ب) تحمّل مسؤولية الإدارة والإشراف على التنوع البيولوجي لكوكبنا الأرض، (ج) تشكيل أنماط استخدام الأراضي للحد من تعدي الإنسان على أشكال الحياة الأخرى وتعزيز التنوع البيولوجي في المساحات المسكونة بالإنسان، و(د) المحافظة على مجموعة متنوعة من الجينات الموجودة.

**المبدأ الرابع: مبدأ تشجيع دور مجتمع عالمي إنساني؛ «الأمة الوسط»**

| زيادة درجة الحرية و تعزيز مبدأ إدراك الذات لجميع البشر إلى أقصى حد بدون أن يؤثر أي فرد أو مجموعة سلبا على الآخرين. |
| --- |

استناداً إلى هذا المبدأ، يمكن التعرُّف على مجموعة من السياسات والآثار التنفيذية. وهذه تشمل: (أ) تعزيز التسامح بوصفه حجر زاوية في التعاملات الاجتماعية، (ب) تجسيد حقوق الإنسان في إطار مواطنة كوكبيه مثل «ميثاق الأرض»، (ج) تقديم حكم رشيد، (د) ضمان فرص متساوية وعادلة للوصول لدعم الحياة الطبيعي، و(هـ) إيجاد التعاون كأساس لإدارة القضايا العالمية وموارد الكوكب.

**المبدأ الخامس: مبدأ فهم سيمفونية الحياة؛ «مبدأ التسبيح والسجود»**

| الإقرار بسلاسة و ديناميكية تسلسل الحكمة و الحب و الطاقة التي تربط الحدود الخارجية للكون مع نظامنا الشمسي و كوكبنا و المحيط الحيوي بما في ذلك جميع البشر مع أنظمتنا الأيضية الداخلية. |
| --- |

يترتب على المبدأ الخامس عدد من الإجراءات. وتشمل هذه التالي: (أ) الاعتراف بالسر السامي (الغيب) الذي يكمن وراء الوجود، (ب) السعي إلى فهم وتحقيق وظيفة البشرية الفريدة من نوعها في الكون (التسخير والاستخلاف)، (ج) تكريم الأرض مع بيئتها المعقدة والتي يشكل البشر جزءا لا يتجزأ منها (أمم أمثالكم)، (د) تعزيز التعاطف من خلال منظور جامع وشامل والتحفيز والتنفيذ الفعلي للمساعي الإنسانية، و(هـ) ربط التحول الداخلي (الضمير) للأفراد مع التحولات الاجتماعية الجماعية (التغيير) ووضع الأسس لظهور نوع جديد من الوعي للكوكب (البصيرة البيئية).

**المبادئ الخمسة كوحدة واحدة: الوحدة في التنوع**

يكشف التفكير العميق في مفهوم الاستدامة والمبادئ الأساسية الخمسة، والتي تحدد معا هذا المفهوم، عن أن البعد الروحي، أو المبدأ الروحي، هو أمر أساسي للجودة والإنسجام بكامل هيئته. وكمبدأ توجيهي، تشكِّل القيم والفكرة الإسلامية الأساس الذي يدعم البعد الروحي. ويستحضر الإسلام، باعتباره رسالة ومنهج حياة، لكون يحقق التكامل الروحي مع العقل والقلب لإدراك مفهوم الوحدانية الأساسي للوجود (التوحيد).

يمثل المبدأ الروحي الجذر الذي يمهد لتناغم الكل والجزء وذلك من خلال ترسيخ جوهر الدوافع البشرية والنية كما حددها الإسلام باعتبارها أساس (عمارة الأرض) ورعايتها (الاستخلاف). كما يؤدي هذا المبدأ إلى دمج المبادئ الأربعة التي تتصل بالمجالات المادية والاقتصادية والحياتية والاجتماعية. فهو يدمِج، على نحو متوازن، تطوّر مجتمع مبني على أساس القيم والموضوعية (الأمة الوسط)، ويغرِس في المجتمع هدفا مشتركا ويوفّر أساسا مشتركا ويحفز عزيمة مشتركة.

بالرغم من ذلك، يعتبر الإندماج المتوازن والكامل لجميع المبادئ الخمسة أساسيا لوضع وتحقيق مفهوم الاستدامة كحالة من التنظيم الذاتي. ويجب دمج المجموعة بأكملها كوحدة واحدة تكون فيها المبادئ الخمسة معا. وتتفاعل المجالات الخمسة التي تقوم عليها هذه المبادئ مع بعضها البعض للإسهام في تعريف «الحياة الطيّبة».

لا يؤدي السعي نحو الحياة الطيّبة والسعي لتحقيق السعادة في الإسلام إلى تراكم المواد والاستهلاك. ففي مجتمع يعتمد على بطاقات الأئتمان والأستهلاك، تشجِّع وسائل الإعلام الوهم بأنه كلما أنفق المستهلك أكثر، كلما زادت فرصه لبلوغ السعادة. ويؤدي هذا الوهم الذي تروج له وسائل الإعلام، من خلال التلاعب بعقول المستهلكين، إلى إيجاد الكثير من المنتجات الإستهلاكية وتحويل «الرغبات» إلى «حاجات». كما تساعد وسائل الإعلام على تعزيز أخلاقيات مقبولة عالميا ومعايير وقواعد موجودة في عالم العولمة وعقول معولمة، والتي تعتبر جميعها أخطارا تضر بالتنوع الثقافي والحيوي.

و ترتبط «الحياة الطيّبة»، من منظور إسلامي، بالدور الإيجابي الذي ينبغي على الإنسان القيام به لبناء وإضافة قيمة (عمارة الأرض) ليكون شاهدا ووصيا لترك إرث طيب للأجيال القادمة. كما تختلف الآراء المتمحورة حول أوروبا، أو تلك المتمحورة حول الولايات المتحدة، في مفهومها لما يشكل «حياة طيّبة» عن المفاهيم الإسلامية الأساسية مثل البساطة أو (الزهد) واستخدام الموارد والمعرفة المحلية لتحقيق تنمية محورها الناس.

**حالة البيئة في ظل اقتصاديات السوق والعولمة:**

يُناقش هذا الجزء من الكتاب وجود العديد من النقاط العمياء التي يعاني منها نموذج التنمية الاقتصادية الغربي، وخاصة عندما يتعلق الأمر في الحفاظ على الطبيعة. بالإضافة الى ذلك، يُعاني الانسان من فقدان ذاكرة للمكان والكائنات الحية. فنحن نميل إلى القلق بشأن رأس المال النقدي، إلا أننا لسنا على دراية برأس المال الاجتماعي والطبيعي أو أقل إهتماما بهما.

ويعتبر مفهوم «الفِطرة»، أو التوازن في الطبيعة، فكرة رئيسية في المنظور الإسلامي. وبالتالي، فإن كل شيء على الأرض هو في حالة توازن (بمقدار)، وأنَّ هناك ما يكفي من الطعام والموارد، إذا ما وجدت المساواة والعدالة في التوزيع. ينص الفكر الإسلامي بأنَّه إذا تحقق شرط العدل فليس هناك نُدرة في الموارد. وينظر الإسلام إلى الأزمة البيئية العالمية الحالية على أنَّها نتاج مشكلة في الأخلاق وغياب العدل.

يقوم نموذج التنمية الغربي الحالي على مبدأ الاستهلاك. ومما يجعل الأمر يزداد سوءا هو قيام وسائل الإعلام بالترويج للإفراط في الاستهلاك باعتباره وسيله لبلوغ السعادة. وتظهر سرعة ومقدار الاستهلاك كما يشار اليه «بالتسارع العظيم» لميول متزايدة في إستعمال الماء والطعام والطاقة. وتشير التقارير عن «حالة العالم» والآثار البيئية ومقاييس الصندوق العالمي للطبيعة (WWF) من خلال «مؤشر الكوكب الحي» Living Planet Index (LPI) إلى مستوى الأزمة البيئية كما قدر في العام ٢٠٠٨-٢٠٠٩(MEA، ٢٠٠٥). كما تشير إحصائيات سكان العالم وإحصائيات سكان المناطق الحضرية والإستهلاك، ومستوى الإتصالات الدولية ومَركَبات القيادة إلى زيادات حادة في النصف الثاني من القرن العشرين. وكما وثق Adams (٢٠٠٨)، يبين الجدول ١.١ أبرز آثار أنماط التنمية البشرية الحالية في المحيط الحيوي.

وتظهر الإحصائيات بأنَّ نمو إستخدام الطاقة في القرن العشرين إلى ستة عشر ضعفا يرتبط بشكل رئيسي بإنبعاث ثاني أكسيد الكبريت SO٢ بمقدار ضعفي النسبة الطبيعية، وإنبعاث كلا من أول أكسيد النيتروجين NO وثاني أكسيد الكربون CO٢ والميثان CH٤ جميعها بنسب أعلى من النسب الطبيعية، بالإضافة إلى المواد الكيميائية المصنعة المنبعثة مثل الكلوروفلوروكربون chlorofluorocarbons (Crutzen، ٢٠٠٢).

ووفقا لتقرير التقييم الرابع (٢٠٠٧) للفريق الحكومي الدولي المعني بالتغير المناخي (Intergovernmental Panel on Climate Change (IPCC)) ؛ فان أحد عشر عاماً من الاثني عشر عاماً المنصرمة (١٩٩٦-٢٠٠٦) تقع ضمن الأعوام العشرة الأكثر دفئاً منذ بدء تسجيل درجات الحرارة في العام ١٨٥٠.

ويبقى السؤال المطروح هنا ما هي امكانية تحقيق الازدهار والنمو دون اللجوء إلى اقتصاد قائم على النفط الأحفوري. ويتطلب التحول إلى مستقبل مستدام التقليل من معدل الاستهلاك، أي الزهد، وإعادة توجيه الاستهلاك إلى أشكال أقل ضررا (الإحسان)، والتعلم من البيئة

كما فصله Kiuchi وShireman (٢٠٠٢). مما يؤدي إلى التحول نحو مجتمع قليل الكربون أو إلى اقتصاد أخضر. ويعتبر نادي المُعامل ١٠ (Club ١٠ Factor)، الذي أسسه Friedrich Schmidt-Bleek في فرنسا في العام ١٩٩٤، والذي يهدف إلى التقليل من اقتصاديات الدول الصناعية بمقدار عشرة أضعاف بمتوسط ٣٠ إلى ٥٠ سنة، مثالا على عملية التحول إلى الاستدامة (Hawken، ١٩٩٩).

جدول ١.١ تأثير الإنسان على المحيط الحيوي

| |
|---|
| • انخفض «مؤشر الكوكب الحي» بمعدل ٣٠ بالمائة في الفترة ما بين ١٩٧٠ إلى ٢٠٠٣. كما انخفض المؤشر البري (٦٩٥ عينة) بنسبة ٣١ بالمائة، والمؤشر البحري (٢٧٤ عينة) بنسبة ٢٧ بالمائة ومؤشر المياه العذبة (٣٤٤ عينة) بنسبة ٢٩ بالمائة. |
| • تم تدمير ثلاثة أرباع من مساحة سطح الأرض القابلة للحياة البشرية بسبب النشاطات البشرية. |
| • زادت النشاطات البشرية من معدل الانقراض الطبيعي بمعدل ١٠٠ إلى ١٠٠٠٠ مرة. |
| • تم استخدام ما يقارب ٤٠ بالمائة من مساحة الأرض الصالحة للإنتاج الأولي مباشرة بسبب النشاطات البشرية. |
| • تدعم الأسمدة المنتجة صناعيا من الأمونيا ٤٠ بالمائة من هذه الأنشطة. |
| • أدت تقنيات زراعة الأسماك الصناعية مثل الصيد بالشباك وتلوث البحار الضحلة ومناطق تنوع العيش كالشعاب المرجانية البحرية إلى تحول بيئة المحيطات لدرجة لم يستوعبها حتى علماء البحار إلا مؤخرا. |
| • سكان هذه المحيطات من الأسماك المفترسة الكبيرة هي الآن أقل بعشرة بالمائة من المستويات التي كانت عليها ما قبل الصناعة. |
| • يموت أكثر من مليونين شخص عالميا كل سنة قبل الأوان بسبب تلوث الهواء الداخلي والخارجي. |
| • انخفضت حصة الفرد من المياه العذبة على الصعيد العالمي، ويبقى تلوث المياه السبب البيئي الوحيد والأكبر الذي يهدد البشرية بالمرض والموت. |

هناك إهتمام متنامي بفكرة التقليل من النمو (De-growth) (الزُهد) أو تهبيطه (Latouche، ٢٠٠٤). ويرجع وجود فكرة التقليل من النمو إلى النقاد الراديكاليين لنظرية النمو. إن التحول إلى الطاقة النظيفة هو أمر حتمي في ضوء حقيقة أن ذروة الطاقة النفطية التي تم التوصل إليها في عهد من الهيدروكربونات الرخيصة قد قاربت على النهاية. وسوف يؤدي ارتفاع أسعار الطاقة إلى تغيرات في التكنولوجيا والسلوك البشري. يقدِّر معهد بحوث المياه (WRI) بأن ٣٠ بالمائة من انبعاث الغازات الدفيئة ناتجة عن أنشطة إزالة الغابات والزراعة والحراج. إن قيمة الخدمات البيئية

هو في دمجها في التفكير التنموي. لقد تم استثمار مبلغ ٥٢ بليون دولار امريكي في جميع أنحاء العالم خلال العام ٢٠٠٦ في مجال مصادر الطاقة المتجددة (WWI، ٢٠٠٨). كما يوفر استثمار النظم البيئية عن طريق الحلول الطبيعية (حلول الفطرة) فرَصاً هائلة لتأمين مستقبل مستدام. باختصار، تُعتبر حالة البيئة العالمية الحالية دليلا على أن نموذج التنمية الحالي لا يمكن استدامته. فخطر تغيّر المناخ في جوهره ما هو إلا مؤشر على فشل اقتصاد السوق. وبالتالي، هناك حاجة ملحة للبحث عن نموذج بديل لضمان مستقبل مستدام للناس والطبيعة.

وعلى الصعيد الاجتماعي، يموت كل يوم تقريبا ٢٠٠٠ شخص بسبب الفقر المدقع (٢٠٠٥، Sachs). كما يموت كل يوم ٧٥٠٠ من الشباب بسبب مرض الإيدز. منذ الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١، خاضت الولايات المتحدة الحرب على الإرهاب، إلا أنها أهملت الأسباب الأعمق لعدم الاستقرار في العالم. ولن تحقق ٤٥٠ بليون دولار أمريكي، التي أنفقتها الولايات المتحدة في عام ٢٠٠١ على الصعيد العسكري، السلام إذا ما استمرت بإنفاق ما يقارب واحداً من ثلاثين من ذلك المبلغ، أي ما يعادل ١٥ بليون دولار فقط، لمعالجة محنة أفقر فقراء العالم. ويمثل ١٥ بليون دولار ما يعادل ١٥ سنتا على كل ١٠٠ دولار أمريكي من الناتج القومي الإجمالي في الولايات المتحدة. وتناقصت حصة الناتج القومي الإجمالي للولايات المتحدة والمكرسة لمساعدة الفقراء على مدى العقود السابقة، وهو يمثل جزء صغيرا مما وعدت به الولايات المتحدة (٢٠٠٥، Sachs).

وكما جادل Sachs (٢٠٠٥)، فإنَّ المساعدة الإنمائية الرسمية،Official Development Assistance (ODA)، هي أكبر مصدر للتمويل الخارجي وهي بالغة الأهمية لتحقيق أهداف التنمية وأهداف «إعلان الألفية». فهناك إجماع فيما بين دول العالم المتقدم على تخصيص ٠,٧ بالمائة من الناتج القومي الإجمالي (GDP) للدول الغنية كمساعدة إنمائية رسمية (ODA). وفي عام ٢٠٠٢، بلغت قيمة هذه المساعدة ٥٣ بليون دولارا امريكيا؛ أي ما يعادل ٠,٢ بالمائة فقط من قيمة الناتج القومي الإجمالي العالمي للدول الغنية. في حين إذا قامت البلدان الغنية بالوفاء بما وعدت به، فستصل قيمة هذه المساعدات إلى ١٧٥ بليون دولارا امريكيا في السنة، أي ما يعادل ٠,٧ في المائة من أصل ٢٥ تريليون دولارا أمريكيا، والذي يمثل مجموع الناتج القومي الإجمالي للدول الغنية في العالم بحسب تقديرات عام ٢٠٠٢. أما بالنسبة للولايات المتحدة، فسترتفع المعونة الخارجية من حوالي ١٥ بليون دولارا أمريكيا سنويا في عام ٢٠٠٤ (٠,١٤ بالمائة من الناتج القومي الإجمالي) إلى حوالي ٧٥ بليون دولارا أمريكيا ( ٠,٧ بالمائة من الناتج القومي الإجمالي الأمريكي). لقد عبر Sachs (٢٠٠٥) عن مصيدة الفقر والوصفة اللازمة للقضاء عليها. فالعلاج مرتبط بالإرادة السياسية والالتزام بتخصيص الموارد الكافية لذلك (٠,٥ في المائة من الناتج القومي الإجمالي العالمي) من الشمال إلى الجنوب.

لعل الفكرة القائلة أن عقودا من «التنمية» الرسمية أوجدت عالم تواجه فيه جميع الدول موجَة من النمو الاقتصادي ومكاسب على صعيد نوعية الحياة (ناهيك عن سكان تلك البلدان) هو وهم. أقل من ١٠ بالمائة من الناتج القومي الإجمالي في العالم ينتج من البلدان ذات الدخل المنخفض (World Bank، ٢٠٠٠). يقدر متوسط دخل الفرد السنوي في كل من بوروندي وكمبوديا وتشاد وجمهورية الكونغو الديمقراطية وجمهورية أفريقيا الوسطى وإريتريا وإثيوبيا وملاوي ومالي ونيبال والنيجر ونيجيريا ورواندا وسيراليون وتنزانيا والجمهورية اليمنية بأقل من ٣٠٠ دولار أمريكي. وتتواجد معظم هذه البلدان الفقيرة، وليس جميعها، في أفريقيا. يعاني الكثيرون أيضا من الدمار الناجم عن الحرب الأهلية أو الدولية (على سبيل المثال، السودان وسيراليون وليبريا وجمهورية الكونغو الديمقراطية). إن الحصة التي تتمتع بها دول وسكان العالم الأكثر فقرا من الثروة العالمية منخفضة كما أنها تنخقض باستمرار.

في أيلول/سبتمبر ٢٠٠٠، أجمع مؤتمر «قمة الألفية» التابع للأمم المتحدة على ثمانية أهداف إنمائية للألفية مع ١٨ هدفا و٤٨ مؤشرا لقياس التحسينات في حياة الناس. ويمكن القول بأن هناك تقدما كبيرا تم إحرازه للحد من الفقر؛ فقد إنخفضت نسبة السكان الذين يعيشون على أقل من دولار واحد يوميا على الصعيد العالمي بمقدار النصف بين عامي ١٩٨١ و٢٠٠١. ولأول مرة في تاريخ البشرية، إنخفض العدد المطلق للأشخاص الذين يعيشون في هذا المستوى. ولكن مع ذلك، فما زال هناك ٢١,٣ بالمائة من سكان العالم يعيشون في فقر مدقع ويقدّر عددهم بحوالي ١.١ بليون. ولقد تركز تحسن مؤشر الفقر في آسيا، خصوصاً في الصين. وفي الواقع، إذا تم استبعاد الصين، فقد زاد عدد الأشخاص الذين يعيشون على أقل من دولار واحد في اليوم ونما هذا العدد من ٨٣٦ مليون الى ٨٤١ مليون بين عامي ١٩٨١ و٢٠٠٤. وتركزت معظم هذه الزيادة في عدد الفقراء في منطقة أفريقيا حيث ارتفع عدد الذين يعيشون في هذا المستوى من ١٦٤ مليون الى ٣١٤ مليون في الفترة ما بين ١٩٨١ و٢٠٠١؛ أي بنسبة ٤٦ بالمائة من السكان.

يمكن القول بأنه يجب استبدال الإهتمام الحالي الموجّه للتنمية المستدامه بإهتمام جديد وأوسع لمفهوم «الاستدامة البيئية» بمفهوم «العدل». ويجب أن يأخد هذا المفهوم بعين الإعتبار العدالة بين أبناء الجيل الواحد (العدل للفقراء الآن) والعدالة بين الأجيال الحالية واللاحقة (العدالة لهؤلاء الذين لم يولدوا بعد) بالإضافة الى تحقيق العدالة لكافة أنواع الكائنات الأخرى. فالعدل من منظور إسلامي هو حجر الزاوية لحكم رشيد وحضارة مستدامة.

هناك أفكار مثيرة للقلق في المناقشات الدولية، كما جادل Adams (٢٠٠٨)، لاستخدام

الحجج حول كفاءة السعي لإيجاد سياسات تهدف إلى تحقيق الاستدامة للفقراء. ويتم مفاضلة الفعالية من حيث التكلفة، في كثير من الأحيان، على العدل سواء كان ذلك مخططا للتحكم في استخدام الإنسان للغابات أو لتشجيع زراعة أنواع الوقود الأحيائي. وبالتالي، فقد نشأ الحماس لتقليل الأنشطة التي تؤدي إلى إزالة الغابات وتدهورها بشكل جزئي من خلال المبررات التي تجادل بأن تقليل فقدان الكربون من الغابات والأراضي الزراعية في دول العالم النامية هو أرخص من التدخل في اقتصاديات بلدان العالم المتقدمة النمو (وأنماط الحياة فيها) ذات القيمة العالية. فلا يعتبر إلزام فقراء العالم بدفع تكاليف تخفيض معدل الكربون للتعامل مع الآثار المترتبة على الاقتصاد العالمي المحبذة للأغنياء جزءا من أي أجندة لتحقيق العدل. ومن المرجح بأن لا تكون إجراءات التصدي لتغيّر المناخ موحّدة، وبالتالي فإن الاستجابات لتغيّر المناخ لها تأثيرات على مفهوم العدل بين الشمال والجنوب.

## الحاجة إلى إعادة التفكير في مفهوم التنمية المستدامة

نستعرض فيما يلي مجموعة من الحجج المتعلقة بحاجتنا إلى إعادة التفكير في التنمية والاستدامة والبحث عن أسس ومقاييس جديدة لقياس الاستدامة، ومحدِّدات استخدام الناتج القومي الإجمالي كمؤشر وحيد لقياس الاستدامة، وتكلفة النمو الاقتصادي على رأسمالنا الطبيعي:

١. لا يوجد معايير لقياس الاستدامة: أحد تحديات الاستدامة كما ظهرت في الإحصاءات العالمية هو عدم وجود مقاييس ومؤشرات موضوعية وواقعية لقياسها. الى جانب ذلك، فإن الإطار التقليدي أو النموذج العقلي للاستدامة الذي يُصور المجالات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية على أنها حلقات متداخلة، كما هو مبين في الشكل ١.١، يجعل هناك افتراض ضمني بأننا سوف نتمكن من عمل مفاضلة ما بين المجالات الثلاثة. أدى هذا التصوّر إلى خسائر لا رجعة فيها في خدمات النظام البيئي الذي يمثِّل رأسمالنا الطبيعي. وهناك نموذج مفاهيمي آخر، كما هو مبين في الشكل ٢,١، يرى المجالات الثلاثة (البيئة، والمجتمع، والاقتصاد) على أنها ثلاث حلقات تشترك في نفس المركز، حيث أن رأس المال الطبيعي هو المجال الأكبر، أو الحلقة الأكبر، وأصغر مجال هو رأس المال النقدي. وهذا يعني أن رأس مالنا الطبيعي يدعم رؤوس الأموال الاجتماعية والمالية.

٢. معالجة الفقر والحفاظ على الطبيعة: تحتاج الآثار الممتدة للمساعدات الدولية إلى تقييم لضمان تحقيق الفائدة للفقراء المحليين. ومن المثير للإهتمام أن نلاحظ أنه من مبلغ ٣٥٠ مليار دولارا أمريكيا، والذي تنفقه حكومة الولايات المتحدة في البلدان النامية، يذهب ٩٠ في المائة

إلى الناس الذين دخلهم فوق المتوسط، وهذا بشكل أساسي يعتبر إعانة ماليه للفئة المتوسطة. تحتاج السياسات العامة والمساعدات إلى تجاوز الأثر السلبي للتحويلات النقدية والتي غالبا ما تنطوي على نقل الحداثة على النمط الغربي والصناعة والتمدن والديمقراطية والرأسمالية إلى سياق وثقافة غير متطابقة مع المعايير والقيم المحلية.

٣. التفكير خارج الناتج القومي الإجمالي كمقياس لصحة وثروة الأمم: إن اعتمادنا على الناتج القومي الإجمالي كمقياس للتنمية البشرية فيه عيوب، كما أفاد Korten (١٩٩٥). لا تقدم البلدان الصناعية المتقدمة نماذج جيدة للتحول إلى الاستدامة، كما عبر Adams (٢٠٠٨)، حيث قال: «العالم الصناعي هو الأقل استدامة على وجه الأرض». إن مستويات استهلاكهم هي أحد الأسباب الرئيسية لتغيّر المناخ وفقدان التنوع الحيوي الناتج من صنع البشر، واقتصاداتها نقلت مجتمعات فقيرة في مجتمعات العالم النامي إلى أنظمة من الإنتاج غير المستدام، وحتى عندما تولد ثروة في مكان ما، فهي لا تحفز على العدالة. ولا ترتبط النوعية العالية من الحياة والنقاط العالية لمقاييس التنمية البشرية، بالضرورة، مع قيم الناتج القومي الإجمالي للفرد الواحد، وذلك كما يزعم Fanelli (٢٠٠٧). قدمت كوبا تحديا مثيرا للإهتمام لفكرة أن البلدان الغنية لا تسير في الطريق نحو الاستدامة. وقد بين تحليل شبكة البصمة العالمية للآثار البيئية في ٩٣ دولة على مدى الثلاثين سنة الماضية أن كوبا هي وحدها على طريق الاستدامة.

نادرا ما يتم قياس الثروة الثقافية من خلال تضمين حاجات السكان المحليين على الرغم من أنها بالغة الأهمية لتحقيق رفاهيه الإنسان. يمثل الإسلام المعرفة المحلية والثروة الثقافية التي تحتاج إلى أن يتم تسخيرها لنقل نموذج جديد للاستدامة، فهو رحمة للبشرية جمعاء (رحمة للعالمين). وكما يرى Korten (١٩٩٥)؛ إن الجزء الكبير مما يظهر على شكل نمو في الناتج القومي الإجمالي هو نتيجة لما يلي:

أ) تحويل أنشطة الاقتصاد الاجتماعي غير المالي للأسر والمجتمع إلى اقتصاد المال مع ما يترتب على ذلك من تآكل رأس المال الاجتماعي.

ب) استنفاذ مخزونات الموارد الطبيعية مثل الغابات ومصائد الأسماك والنفط والإحتياطيات المعدنية بمعدل أعلى بكثير من معدلات الاسترداد الخاصة بها.

ج) احتساب بعض النشاطات غير المنتجة كإيرادات، تكاليف الدفاع عن أنفسنا ضد عواقب النمو، مثل التخلص من النفايات، وتنظيف النفايات السامة والتسرُّب النفطي، وتوفير

الرعاية الصحية لضحايا الأمراض الناتجة عن البيئة، وإعادة بناء ما بعد الفيضانات الناتجة من الأنشطة البشرية مثل إزالة الغابات، وتمويل أجهزة مكافحة التلوث.

إن المفاضلة النسبية بين المجالات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية غالبا ما تؤدي إلى حلول دون المستوى الأمثل والتي تحتاج إلى إتفاق عن طريق التفاوض بين مختلف أصحاب المصلحة، كما هو موضح في حالة إدارة واحة الأزرق في الأردن.

**واحة الأزرق في الأردن: تخصيص استخدام المياه بين المستخدمين المتنافسين**

واحة الأزرق هي منطقة مستنقع تقع في شرق الصحراء الأردنية. و هي من الأمثلة البارزة لواحة تقع في منطقة قاحلة مع وجود نظام بيئي فريد من نوعه، و ذات قيمة حيوية و ثقافية و اجتماعية و اقتصادية هائلة. و تقع الواحة في قلب حوض الأزرق مع مساحة ما يقرب من ١٢٧١٠ كم$^{٢}$، و تدعم الواحة الحيوانات و النباتات المائية الغنية و المتنوعة و التي هي نادرة جدا في المنطقة. و هي أيضا مهمة جدا بالنسبة للطيور المهاجرة، حيث أن مليون طائر يستفيد من المنطقة أثناء الهجرة، مشكلة بذلك واحد من أكثر النظم البيئية الفريدة في العالم.

إن الواحة تحت ضغط شديد و النظم البيئية في مرحلة متقدمة من التدهور. و السبب الرئيسي في تدمير واحة الأزرق في آخر عشرين عاما هو الإفراط في استغلال المياه الجوفية من أجل استخدامات المياه المختلفة. و خلال عام ١٩٧٠، و ما بعد ذلك، بدأت الأنشطة الزراعية بالنهوض في منطقة الازرق، مما أدى إلى مستويات عالية من الإستخراج؛ أكثر بثلاث مرات من إنتاج مستدام آمن.

ومع ذلك، فإن الفجوة بين إمدادات المياه و الطلب عليها اتسعت، و تجاوزت استخدامات المياه الناتج الآمن بشكل كبير، و الذي هو حاليا حوالي ٢٤ مليون متر مكعب، و في النسب المئوية نحو ٢٦٠٪ أكثر من المعدل الآمن، في حين أن الإفراط في الإستخراج هو ٥, ٣٨ مليون متر مكعب كما هو موثق في وزارة البيئة الأردنية؛ و ذلك في الملف البيئي من الأردن (٢٠٠٦). و يعود هذا العجز في المياه إلى أكثر من سبب ، منها: النقل بين الأحواض بين الأزرق و عمان، و الأنماط الزراعية غير الملائمة، و الآبار غير القانونية. و نتيجة لذلك الإفراط في إستخراج المياه، أصبحت واحة الأزرق في خطر و فقدت التنوع الحيوي و الجذب السياحي. و يتنافس العديد من المستخدمين المحليين في مجالات الزراعة و البيئة و الصناعة لتأمين حصة عادلة. و لكن السؤال المطروح هو: ما هي الحصة العادلة و المعقولة؟، و كيف يمكننا تطوير سياسة معينة لتمكين المستخدمين من رؤية الحقائق و المخاطر و لتغيير آرائهم حول كيفيه تحقيق التنمية المستدامة.

## إعادة النظر في الاستدامة: وجهة النظر الإسلامية

بيّن Nomani وRahnema (١٩٩٤)، وChapra (٢٠٠٨) الخطوط العريضة لمجموعة من مفاهيم النظام الاقتصادي الإسلامي ومعنى المال في الإسلام. ويعتمد هذا الفصل على أعمالهم. إن حجر الزاوية في العقيدة الإسلامية هو الوحدانية أو التوحيد للخالق، ووحدانية أصل الإنسان، ووحدانية مصيره. وبما أن الاستدامة تسترشد بمعايير وقيم، فسوف نستعرض فيما يلي بعض المفاهيم الأساسية في الإسلام التي من شأنها أن تساعد على تحديد وتأطير الاستدامة على نطاق أوسع.

## وحدة المنشأ والمصير

وفقا للرأي الإسلامي، لقد خلق الله تعالى الكون لمنفعة جميع البشر. وقد جعل الله تعالى موارد هذه الأرض متاحة للبشر الذين تقع عليهم مسؤولية الحفاظ على هذه الموارد والاستفادة منها بطريقة عقلانية. وقد أعطى الله البشر قدرات ضرورية لفهم الكون والطبيعة والحياة. وينظر إلى البشر على أنهم الأمناء والرعاة الذين يتحملون مسؤولية احترام القوانين الطبيعية، وضمان العدالة والاستدامة لتسخير الموارد الطبيعية. جميع المساعي البشرية والأفعال هي أشكال لعبادة الله وليس هناك فصل بين الروحانية والحياة المادية أو بين الحياة والآخرة. هذه الوحدة في الوقت والمعتقد تلهم الإنسان للاحتفال بتنوع الحياة والمضي قُدما باستمرار في السعي لاكتشاف وفهم وعيش هذا العالم والتمتع به.

إن وجهة النظرة الإسلامية للأصل والوحدة الإنسانية بسيطة وواضحة. فالإسلام يرى أن جميع البشر أبناء لآدم عليه السلام. وكبشر، هم جميعا متساوون، وهم جزء من الأسرة العالمية، وعليهم أن يعرفوا بعضهم البعض، ويتشاركون في المعرفة. وبالتالي، فإن الوضع الحاضر، حيث البلدان الفقيرة مثقلة بالديون للدول الغنية، لا يتفق مع الرؤية الإسلامية. إن العدالة الاجتماعية والاقتصادية والبيئية أخلاق إنسانية عالمية ويجب أن تُحترم من قبل الجميع. ويستند نموذج الاقتصاد الإسلامي على العدالة الاجتماعية، ويشجّع الإبتكار الفردي (الاجتهاد)، ولكن مع بعض الضوابط والتوازنات لتوضيح الحدود ودرجة تدخل الحكومة التي من شأنها منع زيادة التركيز في الثروة والقوة الاقتصادية.

يعلمنا الإسلام أن هناك هدف لهذا الخلق، وأن البشر مُحَاسَبين. ولديهم مسؤولية (أمانة) كأولياء لله، وهم مسؤولون أمام الله عن جميع أعمالهم يوم القيامة. وهكذا، فإن الإسلام ينص على نظام قوي من المساءلة على جميع المستويات. وهذا صحيح على المستوى الدولي كما في حالة الجدل حول تغير المناخ. ولا يتطابق الوضع الراهن، حيث بعض الدول القوية والشركات العالمية ليست مسؤولة أمام أي شخص في هذا العالم، مع النظرة الإسلامية. ويدعو الإسلام لعالم يكون فيه من يملك السلطة مسؤول عن أفعاله. وكذلك، فالإسلام يُعلمنا أنه يجب حماية جميع الكائنات؛ الإنسان والموارد الطبيعية، من المخلفات والاستنزاف والتدمير.

## النموذج الاقتصادي الإسلامي

إن الأساس الكامن وراء النظرية الاقتصادية الغربية هو افتراض أن سلوك البشر عقلاني

ورشيد، وأنهم قادرون على مضاعفة المنفعة. وفي ذلك إشارة ضمنية إلى أنانية البشر بحيث يتركز إهتمامهم على جني الفائدة القصوى؛ وهذا بدوره يجلب منفعة إيجابية للمجتمع ككل. وبعبارة أخرى، وبحسب النهج الرأسمالي، يعتبر السلوك الإنساني الفردي للبشر والأمم مبرر ومشجع عليه أيضا. وبالتالي، وعلى الصعيد الفردي، يُنظر الى السلوك الفردي الذي يبدي إهتماما قليلاً لتحسين أحوال الناس والطبيعة على أنه مقبول ومعقول. وعلى الصعيد المحلي، يُعتبر اعتماد الأفراد والدول لسياسات تخدم مصالح ذاتية عملا مشروعا تماما.

في المقابل، يدرك الإسلام الطبيعة المزدوجة للبشر. فعلى الرغم من كون البشر أنانيون إلا أنهم يتصفون بالإيثار. فالإسلام، مع ذلك، يشجّع الإنسان على إيجاد توازن ما بين الاحتياجات والرغبات. كما يسعى إلى السيطرة على الأنانية البشرية وتعزيز دوافع الإيثار لدى البشر لمساعدة المجتمع في الحياة عموما كجزء من مسؤوليتهم الاجتماعية. ومن ناحية أخرى، يضع نموذج النهج الرأسمالي قيمة عالية جداً لتراكم المواد وينظر إليها كوسيلة لتحقيق السعادة. فقد سرّع النهج الرأسمالي للحياة من الإفراط في الاستهلاك والتلوث واستنزاف الموارد الطبيعية غير المتجددة وإزالة الغابات والاختلالات البيئية التي تسهم في تغير المناخ، كما عبر عنها Hussain (٢٠٠٧).

يعامل الإسلام الممتلكات المادية كوسائل وليست غايات وينظر إليها بإعتبارها وسائل ثانوية بالنسبة للتنمية الأخلاقية والروحية لرأس المال البشري والاجتماعي. فهو يشجع إنشاء المشاريع لزيادة الرفاهية المادية للفرد باستعمال وسائل طيّبة لكي يكافأ في الآخرة (يوم القيامة). ويقدم هذا التغيير في التركيز على السعي البشري نهجاً متوازنا للتنمية الاقتصادية من حيث الزمان والمكان. ويحث النهج الإسلامي على تجسيد واعتماد ضوابط في المسعى البشري لإدارة الثروة أو استهلاك المواد وهو ما يشار اليه بالزهد.

أدت الحقبة الإستعمارية إلى الإستغلال المفرط للعديد من البلدان وتدهور رأس المال الطبيعي والبشري والاجتماعي لها. ويقع على عاتق الحكومات والقطاع الخاص في الغرب الصناعي مسؤولية استعادة وإصلاح الأضرار التي أدت إلى تدهور العالم النامي. فالظلم الحالي ما هو إلا نتيجة لعقود من الاستغلال الإستعماري لرأس المال الطبيعي والبشري. وفي السياق نفسه، ينبغي، لتحقيق مفهوم العدل البيئي عند مناقشة المناخ العالمي، أن يؤخذ بعين الإعتبار المسؤولية التاريخية والأخلاقية لدول العالم الصناعية نحو الجنوب الفقير.

يصف الإسلام «السوق الحرة» على أساس العرض والطلب. في الوقت نفسه، فهو يضمن

عدم تراكم القوة الاقتصادية بيد عدد قليل من الناس. فيحرِّم الإسلام استيفاء الفوائد على رأس المال وبالتالي يشجّع على الاستثمار الهادف والعمل الأخلاقي لتحقيق التقدم للمجتمع. فالقاعدة العامة في الاستثمار الإسلامي هو أن على كل من يريد كسب الربح أن يتحمل، مخاطر الخسارة. وينظر الإسلام إلى المجتمع بإعتبار أنّ الفرد عضو منتج ومستقل. فالإسلام يعترف بحاجة الفرد إلى تحقيق قدراته الكامنة. وعليه، فالإسلام يرى مجتمعا فيه العدد الأكبر من الناس مستقلين في كسبهم وعيشهم. ولعل هذا واحد من الآثار المترتبة على الإيمان بإله واحد كونه الرزّاق للكون بأكمله. وأشار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى مدونات لقواعد السلوك البشري لضمان الانسجام بين البشر والطبيعة. تقليديا، وضعت المجتمعات الإسلامية قيمة منخفضة للعمل المأجور. وفي المقابل، شجّعت هذه المجتمعات دائما على أشكال العمل الحُر من خلال ما يشار إليه «بالمضاربة». فقد شجّع الاقتصاد الإسلامي مثل هذه الأشكال للتنمية المرتكزة في جوهرها على الناس بحيث يقوم السكان المحليين بتسخير الموارد المحلية لتحقيق الفوائد المحلية.

تشجع الأُمه الإسلامية على الأخذ بالتكنولوجيا الجديدة وعلى الإجتهاد. وعلاوة على ذلك، فهي تحث الصناعيين على تحمل تكاليف الإختلال أو الأزمة الاقتصادية التي يمكن أن تنشأ عن إستعمال تكنولوجيا جديدة وذلك إستنادا إلى مبدأ «لا ضرر ولا ضرار». بالإضافة إلى ذلك، يؤدي تنظيم الاقتصاد على مبدأ ملكية العامل إلى نشر فوائد التكنولوجيا الجديدة تلقائياً وتوزيعها على الاقتصاد ككل.

وبما أن الإسلام لا يسمح باستيفاء الفائدة على رأس المال المقترض، فلن تكون جميع احتمالات الأعمال الإئتمانية بدون فائدة متوفرة على مدى واسع. وبالتالي، فان مسألة المسؤولية المحدودة للمساهمين في شركة مساهمة محدودة سوف تفقد الكثير من أهميتها. وهذا بدوره سيحد من ضعف السوق واحتمالية انهياره. كما لا يشجع الاقتصاد الإسلامي على الاحتكار لضمان منافسة حقيقية وتجارة عادلة.

وفي النموذج الاقتصادي الإسلامي، لن تأخذ مسألة خلق الطلب، كما تروج لها وسائل الإعلام والإعلانات، إهتماما ملحوظا كما هو الحال في النموذج الرأسمالي. اذ تؤدي حقيقة عدم استيفاء الفوائد على رأس المال حالة يتطلب معها إزالة القيود التي تحد من التوسع في الإستثمار. وبالتالي فمن المرجّح أن يصل الاقتصاد إلى تسوية تتطلب التوظيف الكامل للعمالة او الوصول إلى مستوى قريب من التوظيف الكامل لها. كما لن تجبر منظمات الأعمال على خلق حالة من الطلب الوهمي من خلال الإعلانات. باختصار، يفضِّل الإسلام مجتمعا تتوزع فيه الموارد على نطاق واسع.

كما يسعى إلى الحفاظ على مستوى عال من الطلب الفعّال بحيث يتم إستخدام الموارد بشكل تام. لتحقيق هذه الغاية، أوجد الإسلام طريقة يتم فيها نقل الثروة من الأغنياء إلى الفقراء. كذلك، جعل الإسلام هذه الطريقة إلزامية على كل شخص يملك حدا أدنى معيّن من الثروة، بحيث يقوم بدفع مبلغ ثابت كالزكاة للإنفاق لرعاية الفقراء والمحتاجين. إلى جانب ذلك، يشجّع الإسلام على إقتسام الموارد من خلال الأعمال الخيرية المسماة بالإنفاق. كما يساهم قانون الميراث الإسلامي أيضا بتوزيع الثروة على نطاق واسع. هكذا، يدعو الإسلام لنقل القوة الشرائية الكافية للفقراء من أجل إبقاء الطلب الفعال مرتفعا بما يكفي للحفاظ على الكرامة البشرية ومكافحة الفقر لبليون فقير في أسفل السلم الاقتصادي. هذا ووضع النموذج الاقتصادي الإسلامي مجموعة من الإستراتيجيات للتصدي للفقر. وتشمل هذه الإستراتيجيات ما يلي:

١) التركيز على التنمية البشرية وتمالك النفس، وعلى نوعية التعليم وبناء القدرات.
٢) تعزيز المشاريع التنموية الصغيرة ،التي يكون محورها الناس.
٣) تقاسم الربح والخسارة في التمويل والإستثمار.
٤) الحكم الرشيد أو «العدل» لمعالجة الأسباب الجذرية للفقر.
٥) التعاون بين البلدان المختلفة على أساس المشاركة في رأس المال، وفي المشاريع المشتركة.
٦) إنشاء الصناديق الإئتمانية أو الهِبات (الوقف) لدعم إحتياجات المجتمع في جميع مجالات الحياة.
٧) الضمان الاجتماعي على المستوى المحلي من خلال جمع وتوزيع الزكاة.

**المفهوم الإسلامي للمال**

بالمقارنة مع الرأسمالية، يعامل الإسلام المال كوسيلة للتبادل وليس كسلعة. ويصبح المال مفيد فقط عند تحويله الى أصول حقيقية أو عند استخدامه لشراء خدمة. لذلك، لا يمكن بيع المال أو شراؤه. ويعالج النموذج الاقتصادي للإسلام، من خلال حظر الفائدة، مشاكل البطالة والتضخم وتذبذب أسعار صرف العملات ودورات الأعمال والاستنزاف المفرط للموارد الطبيعية.

يستند النظام المصرفي في الاقتصاد الإسلامي على مفهوم تقاسم الأرباح والخسائر. والمبدأ العام هو أن أولئك الذين يرغبون في الحصول على عائد على مدخراتهم ينبغي أيضا أن يكونوا على استعداد لتحمل المخاطر. ويجب على البنوك أن تشارك خسارة المشاريع أيضا إذا كانت ترغب في الحصول على عائد على رأس المال.

يفسَّر سلوك المستهلكين في الاقتصادات الرأسمالية من خلال سيادة المستهلكين. ويزعم أن

أي أحد حر في شراء أي شيء يحب. ويتأثر المستهلكين بشكل مفرط بعقلية بطاقات الائتمان ووسائل الإعلام والإعلانات. ويتم تحفيز الرغبة في شراء أشياء جديدة كقيمة اجتماعية، وهو الذي يحرك السعي للابتكار بشكل عالي جدا. يتم إقناع المستهلكين لتحقيق السعادة من خلال تكديس البضائع، رغم أنهم قد لا يملكون الوقت للاستفادة منها.

إن تأثير مثل هذا السلوك الاستهلاكي من الناس الذين يعيشون في البلدان المتقدمة يسرِّع تبديد الموارد الطبيعية، فهم بالكاد ٢٥ بالمائة من سكان العالم ويستهلكون ١٥ ضعف من الورق و١٠ أضعاف من الحديد و١٢ ضعف من الطاقة مما يستهلكه النسبة الباقية، وهي ٧٥ في المائة من الناس. ومن الواضح أن موارد العالم ليست كافية لتلبية نفس نمط الحياة للجميع على هذه الأرض. لذا هناك حاجة كبيرة لضبط النفس. لكن النظام الرأسمالي لا يملك آليات كافية لكبح جماح الناس من الاستهلاك المُسرف. بدلا من ذلك، فإن البنوك وأجهزة الإعلام والشركات التجارية والحكومات جميعهم لديهم مصلحة في تشجيع الاستهلاك بحيث يتم الحفاظ على مستوى عال من الاستثمار .

**العيش البسيط: «الزهد»**

هذا النوع من الاقتصاد، الذي يبدو أنه في وئام مع روح الأمة الإسلامية، هو اقتصاد الاستهلاك المنخفض. وهذا بدوره سيقلل من الآثار البيئية ويساعد على تحويل المجتمعات إلى اقتصاد منخفض الكربون. إن المنهج الإسلامي يتطلب من الأفراد أن يستخدموا الموارد بشكل مكثف قدر الامكان، ولا يتم استبدالها حتى يتم التأكد بأنه تم استخدامها حتى آخر رمق، كما وضح Al Jayyousi (٢٠٠٩). وضع النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أهمية كبيرة جدا على العيش البسيط، وثبط من استخدام الكماليات. ويتصوّر الإسلام مجتمعا يحقق العدالة، حيث الاختلافات النسبية في الظروف الاجتماعية والاقتصادية ستكون أقل بكثير مما نلاحظه في المجتمعات الرأسمالية. الرؤية الإسلامية للحياة تتطلب من الذين يستطيعون الحصول على مستوى مادي عالي التخلي، طوعا، عن بعض من وسائل الراحة ومساعدة الآخرين لتحسين اقتصادهم وذلك للتمتع بأسلوب حياة مماثل. ويجب على المجتمع ككل أن يتحرك إلى مستوى اجتماعي واقتصادي أعلى فقط بعد أن يكتسب معظم الناس مستوى معيشي متشابه.

يدعم نظام القيم في الإسلام نمط الإستهلاك أعلاه ويُعتبر المجتمع الإسلامي الذي تأسس وإعتمد على تقوى الله مجتمع مستدام. وتضم التقوى مجموعة من القيم مثل العدل والإحسان وإنفاق الخير في سبيل الله. وتوجه التقوى طاقات الناس بعيدا عن الاستحواذ إلى جهد مستدام

يستهدف غنى النفس الروحي والوعي البيئي والاجتماعي. كذلك يتصور الإسلام اقتصاد يتم فيه حفظ الموارد بدلا من استنزافها واستهلاكها. وفي سياق الوقت الحاضر، يحتاج المنهج الإسلامي إلى تعاون وثيق بين جميع دول العالم لتسخير الموارد المتجددة للأرض والحفاظ عليها.

على الرغم من هذا، لا يمكن أن ننكر أن عددا من البلدان في الجنوب بذلت جهودا جدية لبناء البنية التحتية الاقتصادية اللازمة للتنمية. ولكن، يبقى السؤال الأساسي؛ لماذا هذه الجهود لم تكن قادرة على تحقيق خطوة للإمام؟ يبدو أن الأسباب في المقام الأول هي أسباب اجتماعية وسياسية أكثر من أنها أسباب اقتصادية كما هو مبين أدناه:

أ) جذور هذا التخلف متأصلة في فلسفة التنمية التي إنتهجتها هذه البلدان. تعني التنمية، وفقا للنظريات السائدة، زيادة في المخزون المادي لرأس المال والبنية التحتية. وكان الناتج القومي الإجمالي محور كل جهود التنمية بغض النظر كيف يتم زيادته ومن يستفيد من هذه الزيادة. وخلال هذه العملية تجاهلت الدول الإسلامية والعديد من الدول النامية رؤوس الأموال البشرية والمجتمعية والطبيعية.

ب) الفقراء في هذه البلدان لا يمكنهم الوصول إلى موارد بلدهم. عدد العمال الذين لا يملكون أرضا مرتفع جدا. وحتى أولئك الذين يملكون قطعة أرض لا يمكنهم الوصول إلى التمويل والتكنولوجيا وإمدادات المياه والسوق والأسمدة والمبيدات الحشرية. ولذلك، فإنهم يبيعون قطعة الأرض ويفضلون أن يصبحوا عمالا مرة أخرى.

ج) هنالك فساد متفشي في العديد من البلدان النامية، الامر الذي يحرم الناس من الموارد. ويتم إعداد فئة مفضلة من الناس من خلال التراخيص والتصاريح والحصول على الامتيازات الأخرى على حساب الفقراء.

**المسؤولية المجتمعية**

يشكل المجتمع المحلي على مستوى الضواحي (الأَحياء) جوهر التضامن الاقتصادي والتماسك الاجتماعي. وتهدف الزكاة والإنفاق الى تقاسم الموارد من خلال الإنفاق على الآخرين وعلى الاحتياجات الاجتماعية للمجتمع وذلك لالتماس مرضاة لله عز وجل. كان العرب قبل الإسلام أيضا على بينة من الأعمال الخيرية. لكن الإسلام وسّع مفهوم عمل الخير في العديد من الطرق. أولا: ألزم الحد الأدنى من الإنفاق الاجتماعي (و تسمى الزكاة) على جميع أولئك الذين لديهم فائض ويزيد

عن حاجتهم. ثانيا: الإنفاق، في معناه الأوسع، يغطي إنفاق المرء على أسرته وعلى أسرة أخرى ليست أسرته في حال الخير. ثالثا: يعطي الإسلام الحق للفقراء والمحتاجين بالحصول على حصة من ثروة الأغنياء. رابعا: إنفاق الميسور يجب أن يكون خالصا لوجه الله الذي وعد بالأجر في الآخرة. إنفاق الميسور بالمعنى الإسلامي هو آلية لتغذية الروح. نص القرآن على أن إنفاق الميسور شرط لتحقيق النجاح والإزدهار (الفلاح). يؤدي وفاء العهود نحو الناس والطبيعة إلى الفلاح. وهذا يعني الوفاء وإحترام الالتزامات الشخصية للمجتمع والطبيعة. بالتالي، أن تلويث البيئة هو ضد تحقيق الفلاح والجهود المبذولة لتسخير الموارد الطبيعية هي شروط أساسية لتحقيق الفلاح.

بإختصار، ترى النظرة الإسلامية بأن الله خلق العالم كله لصالح جميع البشر كما ناقش Al-Jayyousi (٢٠٠١). بالتالي، هنالك حاجة كبيرة لجميع شعوب العالم للتشاور والتعاون مع بعضها البعض، في حين انتهجت سياسات اقتصادية قد تؤثر سلبا على الآخرين. إن الحكومات العالمية والإقليمية والمحلية بحاجة إلى أن تضع في إعتبارها الضرورات الأخلاقية والعقلانية لتحقيق السلام والرخاء العالميين. ان توفر المفاهيم الواردة أعلاه في النظام الاقتصادي والاجتماعي في الإسلام هي الأسس اللازمة للإستدامة وللحياة الطيبة.

## المراجع

Abouleish, I. (2005). Sekem: A Sustainable Community in Egyptian Desert. Floris. University of Michigan, USA.
Adams, W.M. and Jeanrenaud, S.J. (2009). Transition to Sustainability. World Conservation Union.
Al-Jayyousi, O.R. (2001). 'Islamic water management and the Dublin Statement', in Faruqui, N., Biswas, A. and Bino, M. (eds), Water Management in Islam, United Nations University Press, Tokyo, pp. 33–8.
Al-Jayyousi, Odeh. (2008). The State of Ecosystems and Progress of Societies. Proceedings of the International Conference on Statistics, Knowledge and Policy: Measuring and fostering the progress of societies. OECD.
Al-Jayyousi, Odeh. (2009). 'Islamic Values and Rural Sustainable Development'. Rural 21 Journal. Vol. 41,Issue 3.
Ben-Eli, Micjael. (2005). Sustainability: The Five Principles – A New Framework. NY, USA: The Cybertec Consulting Group, Inc.
Boulding, Kenneth E. (1966). 'The Economics of the Coming Spaceship Earth',
in Jarrett, H. (ed.), Environmental Quality in a Growing Economy, Resources for
the Future, Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, pp. 3–14.
Capra, F. (2002). The Hidden Connection: A Science for Sustainable Living. NY: Doubleday.
Carson, R. (2002). Silent Spring. Boston: Mariner.
Chapra, U. (2008). Islam and Economic Development. New Delhi: Adam.
Crutzen, P. J (2000). Geology of Mankind. Nature, 415, p. 23.
Fanelli, Daniele. (2007) 'World failing on sustainable development', New Scientist, 2624.
Habermas, J. (1985). The Theory of Communicative Action. Boston: Beacon Press.
Hussain, Muzammal. (2007). Islam and Climate Change: Perspectives and Engagements. UK. Weblink: www.lineonweb.org.uk/Resources/reading.htm (accessed in Jan. 10, 2011).
Hawken, P., Lovins, A. and Lovins, L. (1999). Natural Capitalism. CO, USA: Rocky Mountains Institute.
International Panel on Climate Change (IPCC) 2007. Special Report on IPCC-Renewable Energy sources and Climate Change Mitigation: Working Group III.
Kiuchi, T. and Shireman, W. (2002). What We Learned in the Rainforest: Business Lessons from Nature. San Francisco: Berrett-Koehler Publications Inc.
Korten, D.C. (1995). When Corporations Rule the World. San Francisco: Berrett-Koehler Publishers, Kumaian Press.
Korten, D. (2009). Agenda for New Economy. San Francisco: Berret Koehler.
Latouche, Serge. (2004). 'De-Growth Economics: Why Less Should Be so Much More', Le Monde Diplomatique, November 2004.
Lessem, R. and Palsule, S. (1997). Managing in Four Worlds. Oxford: Blackwell.
Lessem, R. and Schieffer, A. (2009). Transformation Management: Towards the Integral Enterprise. Farnham: Gower Publishing.

Meadows, D. (1993). Beyond the Limits: Confronting Global Collapse. Vermont: Chelsen, Green.
Meadows, D. et al. (1979). The Limits to Growth. NY: Macmillan.
Millennium Ecosystem Assessment (MEA). (2005). Ecosystems and Human Well-Being. Washington, DC: Synthesis, Island Press.
Mostert, E. (1998). A Framework for Conflict Resolution, Water International, Dec. 1998, 206-215.
Nomani, F. and Rahnema, A. (1994). Islamic Economic. London: Zed Books.
Rijsberman, M. (2000). Sustainable Water Management, Delft, issue number 85, Netherlands.
Sachs, J. (2005). End of Poverty. NY: The Penguin Press.
Sardar, Z. (1987). The Future of Muslim Civilisation. London: Mansell.
Schumacher, E.F. (1994). Small is Beautiful: Economics as if People Mattered. London: Abacus.
Sen, A. (1999). Development as Freedom. NY: Anchor.
Smith, A. (2003). The Wealth of Nations. NY: Penguin.
Soros, G. (1999). The Crisis of Global Financial Capitalism. NY: Little, Brown.
Soros, G. (2000). Open Society. NY: Little, Brown.
UNEP. (1995). Global Biodiversity Assessment. UNEP.
UNEP (2007). Global Environment Outlook (GEO). GEO Year Book, UNEP.
Ward, B. (1966). Spaceship Earth. New York: University of Columbia Press.
WCED. (1987). Report of the World Commission on Environment and Development. Oxford University Press. Worldwatch Institute (WWI). (2008). State of the World 2008: Innovations for a Sustainable Economy. Washington.
World Bank (2000). World Development Report: Attacking Poverty, Empowerment, and Security, Washington, DC. USA.
Yunus, M. (2008). Creating a World Without Poverty. NY: Public Affairs.

## الفصل الثاني

## إطار للتنمية المستدامة: رؤى إسلامية

**ملخص:**

يهدف هذا الفصل إلى تحديد إطار لخطاب إسلامي مستنير لمعالجة القضايا البيئية العالمية. والإسلام، كطريقة حياة، يعتبر رحمة للبشرية جمعاء إذ يوفر بعض الحلول والأفكار للنقاش العالمي حول الفقر والتمويل ورفاهية الإنسان والتقدم والتنمية المستدامة والحياة الطيّبة. وسيتم التعرض في هذا الفصل لجوهر المعرفة ودور الإنسان والبيئة من منظور اسلامي. وسيتم تحديد الخطوط العريضة لمفهوم الاستدامة الذي يمثل أربعة مكونات؛ العدل والإحسان والأرحام والحد من الفساد.

**الأهداف:**

١. تحديد وابتكار مفاهيم جديدة للاستدامة مستمدة من الإسلام.

٢. تطوير فهم شامل للتنمية من منظور إسلامي.

٣. تحديد خصائص الأبعاد الروحية والثقافية السائدة في مجال الاستدامة.

٤. تحديد تصور أوسع لمفهوم الاستدامة والرعاية من وجهة نظر إسلامية.

**المقدمة:**

تتحقق السعادة والرضا في الإسلام من خلال كون الفرد راعيا وشهيدا وخليفة يقوم بدوره في عمارة الارض، وباعتباره في انسجام مع نفسه ومع الكون ومع البيئة. فتحقيق السعادة جزء من الحياة، والاحتفال بسمفونيتها من خلال حركة التسبيح الكونية «لأن كل شيء يسبح بحمده».

(المؤلف)

يتميّز القرن الحادي والعشرين بعدد من التحديات العالمية منها الاقتصادية (الأزمة المالية في عام ٢٠٠٨)، والأمنية ( أحداث ١١ / أيلول) والاجتماعية (إنتشار مرض نقص المناعة المكتسبة - الإيدز HIV/AIDS) والبيئية (التغيّر المناخي) والتي تشكّل وتحدّد خطاب وأجندة الغرب فيما

يتعلق بالعالم النامي، وعلى وجه التحديد العالم الإسلامي. ويهدف هذا الفصل إلى إلقاء الضوء على التحديات البيئية العالمية وكيفية مساهمة الإسلام في تقديم وشرح رؤى لمعالجة هذه التحديات.

سيتم وضع الخطوط العريضة لمعايير قياس التنمية المستدامة وتقدم المجتمعات. بالإضافة إلى ذلك، وبما أن الاستدامة مرتبطة بمفهوم الحياة الطيّبة، سنحاول مناقشة وتحديد مكونات الحياة الطيّبة.

في الفترة ما بين العامين ١٧٠٠ م و١٩٨٠ م، تم إستغلال ١,٢ مليار هكتار من الأراضي الزراعية على حساب مساحة متساوية تقريبا من الغابات (Richards، ١٩٩٠). وينطوي مثل هذا التحوّل على فقدان بعض الكائنات الحية والتنوع الحيوي الذي يحد بدوره من توفير خدمات النظام البيئي. ولقد تفاقمت المشكلة بسبب التلوث الناتج من إستخدام الأراضي وتغيرات النظام البيئي. لقد جلب تحويل المناطق الطبيعية إلى مناطق زراعية فوائد عديدة فيما يتعلق بالإنتاج الغذائي، الاّ أنه تسبب بخسارة التنوع الحيوي وأدى إلى تغيرات في وظائف النظام البيئي. ويتمثل جزء من المشكلة بأنه يمكن رؤية فوائد الزراعة من خلال العوائد التجارية الناجمة عنها، في حين لا تنعكس فوائد التنوع الحيوي «الخدمات البيئية» بشكل واضح ماليا. ويتمثل التحدي في ما تواجهه المناهج الاقتصادية من أسئلة عن فوائد مبدأ المحافظة على النظام البيئي، وعن القيمة الاقتصادية لخدمات النظام البيئي والأحيائي. وهناك حاجة ماسة لشرح أسباب ضرورة الحفاظ على التنوع الحيوي، وماذا يعني هذا التنوع لتقدّم المجتمع. ويتطلب هذا أن يقوم خبراء الاقتصاد بفهم علم البيئة وخدمات النظام البيئي، وأيضا يتطلب أن يكون علماء البيئة على وعي بالتقييم الاقتصادي وبالنموذج الفكري للاقتصاديين.

يرى Sachs وReids (٢٠٠٦) بأن هناك حاجة إلى الاستثمار في البنية التحتية البيئية في البلدان الفقيرة، وإقامة تقييم دوري للمنافع التي يحصل عليها الناس من النظم البيئية. والاستنتاجات الرئيسية من تقييم النظام البيئي للألفية (Millennium Ecosystem Assessment (MEA))) هي:

١. يشكل التدهور البيئي عائقا رئيسيا لتحقيق الأهداف الإنمائية للألفية؛ فمن أصل ٢٤ خدمة للنظام البيئي فقد تعززت إنتاجية أربع منها فقط على مدى السنوات الخمسين الماضية. ويعيش أكثر من ٧٠٪، من أصل ١,١ مليار شخص فقير، على أقل من دولار امريكي واحد في اليوم ويتواجدون في المناطق الريفية ويعتمدون اعتمادا مباشرا على خدمات النظام البيئي (مثل الزراعة

وصيد الأسماك والأدوية الطبيّة وغيرها).

٢. الاستثمار في الأصول البيئية والإستراتيجيات العادلة أساسي لتحقيق الأهداف الوطنية للتخفيف من الفقر والجوع والمرض.

٣. يتطلب الوصول إلى الأهداف البيئية إحراز تقدم في القضاء على الفقر.

يجب تحقيق تغييرات ملحوظة في أنماط الاستهلاك والتعليم لضمان مستقبل مستدام (AlJayyousi ٢٠٠١، ٢٠٠٨). وهناك ايضا حاجة إلى إعادة التفكير في مفاهيم الاقتصاد الأخضر (Green Economy) والتقنيات النظيفة، والتمويل الأخضر (Green Fund) (المبني على أساس الوقف) لدمج البيئة في إستراتيجيات التنمية الوطنية، وإجراء تقييمات دورية للنظام البيئي للألفية (MEA) ووضع قيمة أعلى لاستغلال النظم البيئية مما قد يؤدي الى عكس التدهور في خدمات النظم البيئية على مدى السنوات الخمسين القادمة.

لقد ناقش الإتحاد الدولي لحماية الطبيعة(IUCN) مفهوم التنمية المستدامة (التنمية الطيّبة)، ومستقبل الاستدامة وذلك لتطوير نموذج جديد للإستدامة (IUCN، ٢٠٠٦). وقال Zaidi (١٩٨١) بأن الأزمة البيئية هي في الواقع أزمة أخلاقية، ووضّح لماذا تتطلب الأزمة البيئية وجود أخلاقيات متأصلة في مصفوفة دينية تشكل قانونا مبني على مبادئ سماوية. ويختم بالقول بأن الإيمان في الإسلام يترجم إلى أفعال، وذلك من خلال ما أسماه «عملية القرار والفعل»، كما صيغت في القرآن على شكل الإيمان والعمل الصالح.

يرى Ban (١٩٩٩) بأنه يتم تحديد تاريخ البشرية من خلال البيئة والسلوكيات البشرية. فنتيجة للعصر الجليدي الأخير تحولت حديقة عدن الخضراء، الفريدة من نوعها، إلى صحراء قاحلة في شمال أفريقيا والشرق الأوسط، في حين إستبدل الغطاء الجليدي في أوروبا، تدريجيا، بغابات كثيفة وخصبة. وأعتقد أن هذا إشارة واضحة تعكس مصير الحضارات المائية القديمة، حيث أسفر الإفراط في استغلال رأس المال الطبيعي إلى انهيار الحضارات المائية على طول نهر النيل ونهر الفرات ونهر الأردن.

ساهم Foltz وآخرون (٢٠٠٣) في نشرات مدرسة هارفارد اللاهوتية (Harvard Divinity School) التي حاولت إعادة تفسير الإسلام من وجهة نظر بيئية. وركّزت هذه الأدبيات والنشرات على مفهوم «الإستخلاف والأمانة»، وربطت بين الفهم الإسلامي للعدالة والشؤون البيئية. وقد

وضح Erdur (١٩٩٧) كيف بدأت الحركة البيئية الأمريكية كنقد جذري للحداثة الغربية، وكيف إستوعبتها بعد ذلك. وأعتقد أن هناك حاجة لتفكيك وإعادة النظر في الأسس المكونة للنموذج الاقتصادي الغربي بعد الأزمة المالية (٢٠٠٨ – ٢٠٠٩)، وذلك لتطوير تصور بيئي إسلامي متجانس مع البيئة والمجتمع والثقافة.

أشار Foltz (٢٠٠٠) إلى تركيز غالبية العلماء المسلمين على الظلم الاجتماعي أكثر من تركيزهم على الظلم البيئي. وشدد على الحاجة إلى إعادة إحياء التقاليد الإسلامية للتفكير العقلاني كقوة إيجابية للتصدي للأزمات البيئية العالمية. ومن المهم جدا -في إعتقادي- أن تكون كلا من القيمة والعقلانية الجمالية (الإحسان) مستمدة من العقلانية الاقتصادية لضمان الاستدامة والتقدم.

أشار Nasr (١٩٩٢) الى العنصرين الأخلاقي والفكري باعتبارهما المكونات الأساسية للدين. كما اقترح بأنه يمكن حل الأزمة البيئية من خلال العلاج الروحي للبشرية. وانتقد أيضا آراء داروين (Darwin) التطورية، فمن وجهة نظره؛ يجب تضمين أي فهم بيئي مستوحى من الإسلام على تنمية «الذكاء الوجودي» وهو التواصل بين الأنسان والكون. وسوف يتطلب ذلك -حسب اعتقادي- تعليم تحولي والذي من شأنه تأمل قصة خلق الكون والإنسان بناء على نظام القيم والتصور الإسلامي المستمدة من المذهب الفكري، ونظرية المعرفة والمعايير والقيم. ينظر الإسلام إلى دور الفرد بإعتباره المولّد للقيمة والمعرفة والراعي والشاهد والمصلح الذي يسعى للمساهمة في عمارة الأرض والتقدم وتحقيق الحياة الطيّبة (AlJayyousi، ٢٠٠٨). وحتى نكون قادرين على تحقيق ذلك، يجب علينا أن نُنشئ نماذج تنمية مستمدة من الثقافة والبيئة.

لا يجب النظر إلى الإسلام على أنه دين فقط بل على أنه منهج وطريقة حياة ورؤية عالمية وثقافة شاملة ورؤية لمجتمع عادل ومُنصف وحضارة إنسانية. ويوفر الإسلام أيضا آفاقا جديدة لاكتشاف وتوضيح الأسباب الجذرية للأزمات البيئية والاقتصادية والاجتماعية الحالية التي تتجلى في التغير المناخي، وإنتشار فيروس نقص المناعة المكتسبة (الإيدز) والفقر والأمن الإنساني. وعلى وجه التحديد، ومن وجهة النظر الإسلامية، فإن المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تتجلى في الفقر العالمي والأزمة المالية والتغيّر المناخي هي دلائل تشير إلى فشل اقتصاد السوق والفكر الليبرالي. وإلى جانب ذلك، يعزي الإسلام السبب الجذري للإحتباس الحراري العالمي والأزمة البيئية إلى غياب قوامة الإنسان وإلى الانحراف والخروج عن الفطرة.

يركز هذا الفصل على كيفية تصور الإسلام لمفهوم الاستدامة كمؤشر جيد لتحقيق التقدم.

وأعتقد أنه لا يجب النظر إلى الإسلام على اعتباره مجرد دين ولكن بوصفه رؤية كونية، ومنهج حياة لمعالجة المشاكل العالمية الحالية بما في ذلك الأزمات البيئية. ولمعالجة مفهوم الاستدامة على مدى أوسع، سوف أناقش الركائز الثلاث للاستدامة، وهي حفظ الموارد الطبيعية والبيئية والتنمية الاجتماعية والنمو الاقتصادي. وسوف يتم تعريف وتحديد مفهوم الاستدامة وتقدم المجتمعات فيما يتعلق بخمس ركائز هي: رأس المال الطبيعي (النظم البيئية والطاقة المتجددة) والاجتماعي والبشري والمالي والصناعي (التكنولوجيا).

يناقش الجزء التالي قيمة وأهمية إدراج رأس مالنا الطبيعي في عملية قياس الاستدامة وتقدم المجتمعات. كما سيسعى إلى إلقاء الضوء على الروابط والتآزر بين البيئة والثقافة عند تحديد نموذج جديد للاستدامة.

### رأس مالنا الطبيعي - التعلم من البيئة والثقافة

يحدد النموذج العقلي (Mental Model) الذي يوضح كيفية تصور البشر للمفاهيم المتعلقة بالروابط بين البيئة والاقتصاد والمجتمع الطريقة التي ننظر فيها للمفاهيم والمجالات الجديدة للاستدامة. بُني النموذج التقليدي للاستدامة على المجالات الثلاثة للإستدامة وهي: البيئة والاقتصاد والمجتمع على أنها ثلاثة مجالات متداخلة كما هو مبين في الشكل ١.١. مما يعني بأن للمكونات الثلاثة أوزان متساوية وبالتالي يمكننا أن نعمل مفاضلة باستخدام آليات السوق وتقنيات التسعير للتعويض عن الضرر البيئي. مُؤخّرا، نشأ نموذج جديد يرى أن هذه المجالات الثلاثة تتمثل في ثلاث حلقات محتواه داخل بعضها ومشتركة بنفس المركز كما هو مبين في الشكل ١.٢.

تشير الدائرة الأكبر الى رأس المال الطبيعي (البيئة)، وتشير الدائرة الثانية الأصغر الى رأس المال الإجتماعي، أما الدائرة الثالثة الأصغر فتشير الى رأس المال النقدي. ولهذا النموذج بعض التداعيات والمعاني البسيطة كما هو موضح أدناه:

أ) تدعم الطبيعة وخدمات النظام البيئي جميع رؤوس الأموال الأخرى. وبالتالي، فإن التقدم يعني الحفاظ على ضمان الحياة وأداء ومقاومة الطبيعة (Resilience).

ب) نحن بحاجة للاستثمار في الطبيعة لضمان الاستدامة والتقدم نظرا لأننا لا يمكن أن نستثمر على كوكب ميت.

ج) يجب أن يشمل التقدم على مراعاة وموازنة بين جميع رؤوس الأموال الخمسة.

د) التكنولوجيا والطاقة هي مكونات رئيسية في تحديد الاستدامة والتقدم.

هـ) يمكننا أن نتصور الإسلام على أنه البعد الظاهري السادس الأكبر (والذي يعني الروحانية) والذي يشكل ويوحد كل رؤوس الأموال (طبيعي، بشري، اجتماعي، مالي، صناعي).

إن الروابط بين البيئة والثقافة واضحة من خلال الإستخدام الغني للإستعارات والتشبيهات في الثقافة الإسلامية. وشجّعت مصادر المعرفة في الإسلام، القرآن والحديث النبوي، على التفكير في خلق الكون والطبيعة والإنسان. وآيات الخالق واضحة في كل من النص القرآني وفي خلق الله في الطبيعة والكون والبشرية.

يستلزم المفهوم الإسلامي لقوامة (خلافة) الإنسان في الأرض وجود مسؤولية عميقة. وقد اعتبر القران الكريم أن الكائنات الحية الأخرى هي أيضا شعوب أو أمم، كما في قوله تعالى: ( وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾، (سورة الأنعام، آية ٣٨). يمكن التفكر في الخليقة بحد ذاتها، بكل ما فيها من تنوع وتعقيد لا يعد ولا يحصى على أنها كون شاسع من علامات قدرة الله وحكمته وخيره وجلاله. الإسلام ليس دين جديد بل هو استمرارية لرسالة النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام. وينطوي الإيمان بالإسلام على الإيمان بجميع الأنبياء بما في ذلك موسى وعيسى عليهما السلام. فقد حرص الإسلام على تمكين الإنسانية من رؤية مبدأ الوحدة (التوحيد) ضمن التنوع من خلال تعزيز الحوار وتعلّم وتلاقح الحكمة بين الثقافات.

يعلمنا القرآن الكريم أن كل الخليقة في حالة من الصلاة (التسبيح والسجود)، والتي أدعوها «سمفونية الحياة» التي فيها كل المخلوقات تمجّد الله. قال الله تعالى: «هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ * لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ * يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ * وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ «، (سورة الحشر، آية ٢٤). وفقا للقرآن الكريم، فإن خلق الكون هو حقيقة أعظم من خلق البشرية، قال الله تعالى: «لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ «، (سورة غافر، آية ٥٧). لقد صوّر الإسلام الأرض بأنها مسّخرة للبشرية ولكن مع ذلك ينبغي أن تُدار وتُستخدم بشكل مسؤول. قال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): (إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل).

من المهم تسليط الضوء على مبدأ تسخير كل شيء إيجابي من الطاقة لتخضير الكوكب، والاستثمار في الطبيعة كجزء من خدمة الله من خلال الإمامة البيئية. يعتبر هذا المثال مؤشرا جيدا للتأكيد على أن الإسلام حث على العمل الإيجابي والأمل والتفاؤل للتعامل مع المخاطر البيئية بما في ذلك التغيّر المناخي، التلوث، التصحر، وإزالة الغابات. هذه الدعوة الإيجابية للزراعة، كما ورد في

حديث الرسول عليه السلام (فليغرسها)، يجب تسخيرها لتشكيل تحالف من أجل نشاط أخضر (أو حراك أخضر) وتبنّي اقتصاد أخضر وتأسيس تنمية محورها الأنسان.

كما عبر Kiuchi وShireman (٢٠٠٢)، الطبيعة هي مصدر المعرفة ومختبر البحث والتطوير منذ ٣و٨ مليار سنة من تطور الإنتاج الطبيعي. يمكن للمجتمعات الحصول على الإلهام والمعلومات من الثقافة والبيئة. إن مجتمع المعرفة، والذي يملك نمط حياة وأفكار تعكس فكرة أن المعرفة والتخطيط هي المصدر الجذري للقيمة المضافة، هو المجتمع الذي يجب أن تنشده الاقتصادات الناشئة في الجنوب. إن رؤية الوحدة (التوحيد) في إطار التنوع بين مجالات ومواضيع البيئة والثقافة يمكن أن تفتح إمكانيات جديدة لتسخير أفضل تناغم بين رؤوس الأموال الخمسة.

في اقتصاد المعرفة، لا تعتمد إدارة الأعمال التجارية والمجتمعات على استخدام الوقود الأحفوري والمواد الخام فقط، بل أيضا على الأفكار والمعلومات والإلهام. وقد اصبحت أكثر فأكثر تشبه أنظمة الطبيعة الإبداعية، ومن الأمثلة على هذه النظم؛ المروج والشعاب المرجانية والغابات المطيرة/ الاستوائية. إن أنماط ودورات الغابات المطيرة، على سبيل المثال، تستطيع أن تخبرنا كيف أن مراحل مختلفة نراها في الطبيعة يمكن أن تتطور لتصبح أنماطا أكثر إبداعا ومولّدة للقيمة ومعززة للحياة. إن التركيز الشديد للاقتصاد الصناعي على التكرار المتماثل يميل لغرس معتقدات كاذبة حول مصدر القيمة. وفقا لنموذج الآلة (Machine) للأعمال والمجتمع، من الطبيعي أن نعتقد أننا نخلق القيمة من خلال الأخذ من الموارد وذلك لتطوير منتجات جنبا إلى جنب مع انتاج التلوث والنفايات.

ونحن نغادر اقتصاد الآلة ونغرس اقتصاد حي يعتمد على البيئة والثقافة ويتشكل من خلالهما، نكتشف محركات جديدة للتحول المجتمعي والبشري. على سبيل المثال، يُعزِّز التنوع الاستدامة لأن التنوع، ببساطة، هو اختيار. وكلما كان التنوع في الكائنات الحية في النظام البيئي أكثر، تصبح أنواع الموارد المتاحة للتعامل مع أي تحدي أكثر، وتزداد إحتمالات النجاح.

بصفة عامة، إن الثراء المادي واسع في ثقافات الشمال والغرب وفي أوروبا وأمريكا الصناعية وآسيا. ومع ذلك، فإن التردي في التواصل مع المجتمع والعزلة التي سببها الغنى المادي والاستهلاك المفرط يمكن أن يضعف أسس المجتمع ويقوض قدرة ثقافتنا على الحفاظ على نفسها. لكن في ثقافات الجنوب والشرق وأجزاء من الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا، يتم تذكيرنا بقيمة الإيمان، والتواصل والتعاطف الأنساني (Empathy).

يتم تنظيم الأنظمة الحية، مثل الدورة الهيدرولوجية، من خلال عوامل محددة مثل

المواسم والطقس والشمس والتربة، والتي تحكمها حلقات ردود الفعل. وردود الفعل في الطبيعة مستمرة. ويتم إعادة تدوير عناصر مثل الكربون والأكسجين والنيتروجين بشكل مستمر. لم تتأثر المجتمعات والأعمال بالطبيعة، لذا يجب أن يعاد تشكيلها من خلال الطبيعة (الكتاب المنظور) والثقافة (الحامض الأميني المجتمعي). والمصطلح العربي والإسلامي الذي يستخدم لوصف هذا هو: الوصول لمفهوم «الظاهر» من خلال الطبيعة و»الباطن» من خلال الثقافة ونظام الاعتقاد. ويوضح هذا الثنائي من الظاهر والباطن جوهر وشكل الواقع الكامن للتقدم والاستدامة.

يحتاج المجتمع المستدام والبيئة المستدامة، إلى حالة توازن دقيقة تعكس حالة خدمات النظم البيئية وتعزز من تدفق رأس المال المالي والصناعي والبشري والاجتماعي والطبيعي. إن المقاييس الاقتصادية الحالية لا تأخذ بعين الإعتبار قيمة وفائدة خدمات النظم البيئية. ووفقا ل Hawken وآخرون (١٩٩٩) فإن المفتاح لتحقيق الاستدامة هو السعي لإدارة جميع أشكال رؤوس الأموال (المالية والصناعية والطبيعية والبشرية والاجتماعية) بحكمة. ويُعتقد أن الثورة القادمة، بعد الثورة الصناعية والرقمية، هي الثورة البيئية. وتشمل الآثار والمتطلبات الرئيسية اللازمة لهذه الثورة البيئية زيادة إنتاجية الموارد وتعزيز التدفق والخدمة وتخفيض أو إزالة النفايات. يمكن الحد من النفايات والتخلص منها عن طريق إعادة تصميم النظم الصناعية وفق خطوط حيوية.

وهذا يساعد في تغيير طبيعة العمليات والمواد الصناعية، مما يؤدي إلى تمكين المجتمع المستدام حديثا من تطوير إستخدام ثابت للمواد في حلقات مغلقة مستمرة والحفاظ عليها. ينطوي هذا على تصور جديد للقيمة، والتحول من اقتناء البضائع إلى شراء الخدمات، حيث السعي لتحقيق الجودة والفائدة والأداء بشكل مستمر لتعزيز الرفاه الطبيعي والاجتماعي.

### النظم البيئية والاستدامة

شهدت نهاية الألفية ثلاث عمليات مستقلة، وهي: ثورة تكنولوجيا المعلومات، والأزمة الاقتصادية الرأسمالية، وظهور الحركات الاجتماعية الثقافية، مثل حقوق الإنسان والحركة النسائية وحماية البيئة. ذكَرCastells و Blackwall (٢٠٠٠) أن التفاعل بين هذه العمليات وردود الأفعال التي سبّبتها جلبت إلى حيز الوجود هيكلا اجتماعيا مهيمنا جديدا ومجتمعا متشابكا واقتصادا جديدا؛ اقتصاد معلوماتي عالمي وثقافة جديدة. والمنطق المترسخ في هذا الاقتصاد والمجتمع يكمن وراء كل المؤسسات في عالم مترابط.

يجب إن يضمن تقدم هذه المجتمعات المتشابكة الجديدة استخدام متوازن لجميع رؤوس

الأموال بما فيها الإنسان ورأس المال الطبيعي ورأس المال الاجتماعي والمالي والصناعي (التكنولوجيا). يعتمد قياس وتحديد (أو إعادة تحديد) تقدم المجتمعات بشكل أساسي على تجسيد مجتمعي للحلم الذي يجمع بين رؤوس الأموال. والهدف من هذا الفصل هو تطوير وإحياء فكرة مستمدة من الثقافة لتقدم المجتمعات والتي تعكس قيم الإسلام.

ومن المفارقات، اعتبار الإسلام، حاليا، تهديدا بدلا من اعتباره وسيلة علاج لتجزئة وانفصال المعارف والمادة والروح والإنسان والمجتمع. سوف أناقش في هذا الفصل فكرة انفصال المعارف الإسلامية خارج نطاق الفصل بين الكنيسة والدولة ونسق التفكير الغربي لعلمنة العلم والمعرفة. ويستطيع الإسلام ان يقدِّم حلولا مبدعة للأزمات العالمية الحالية التي تشمل صحة الإنسان والفقر والتمويل والبيئة، وأن يقدم نموذجا جديدا ومتجددا لإعادة تعريف تقدم المجتمعات. ويتحقق هذا من خلال صياغة فكر جديد لتعريف ما الذي يشكل الحياة الطيّبة وأيضا هو جزء من عملية أوسع للتجديد والإسهام الحضاري (Al-Jayyousi، ٢٠٠٨).

في النظرية الاقتصادية الليبرالية، كانت السعادة مقياس اقتصادي تستخدم بالتبادل مع الفائدة بالإضافة إلى الرفاه العام. حاول خبراء الاقتصاد قياس كمية السعادة من خلال قياس الاستهلاك والأرباح. والافتراض الأساسي هو أنه عندما تستهلك المجتمعات من منتج معين بشكل أكثر فهذا يعني أنها تولد السعادة. وواجهت هذه المنهجية، التي تدعو للمساواة بين مستويات الإستهلاك العالية والسعادة، النقد من قبل أنصار المدرسة التي تعتمد مقياس السعادة القومية الإجمالية (Gross National Happiness (GNH)). يعتمد مؤشر أو مقياس السعادة القومية الإجمالية (GNH) على سلسلة من الأحكام الذاتية حول الرفاه لمعالجة أوجه القصور في اعتماد الناتج المحلي الإجمالي (Gross Domestic Product (GDP)).

ومع ذلك، يبقى الناتج المحلي الإجمالي (GDP) المؤشر الأساسي للأداء الوطني لمعظم البلدان المتقدمة. ويغطي قياس التقدم مجموعة واسعة من الخصائص التي تشمل الأبعاد الصحية والاجتماعية والروحية. طعن عدد من الخبراء في الناتج القومي الإجمالي (GNP) كمعيار كافي لتقييم تقدم المجتمعات (Korten، ١٩٩٥). نتيجة لذلك، تم تطوير مؤشر التقدم الحقيقي (Genuine Progress Indicator (GPI)) ومؤشر الكوكب السعيد (Happy Planet Index (HPI)) كمقاييس بديلة عن الناتج المحلي الإجمالي لمعالجة أبعاد أخرى مثل حالة البيئة والجوانب الاجتماعية والصحية.

يهدف مؤشر التقدم الحقيقي إلى عكس الرفاه الاقتصادي المُستدام. إستندت صياغة مؤشر التقدم الحقيقي على أسس الناتج المحلي الإجمالي ولكن تم تعديلها لمعالجة قيمة عمل كل من الأسرة والمجتمع، ويخصم تكاليف كل من التنقل والتلوث وتدهور الأراضي والحوادث الصناعية. ومع ذلك، لا يعتبر مؤشر التقدم الحقيقي (GPI) أيا من تراكم أو انخفاض رأس المال البشري (الصحة والمهارات والمعرفة والخبرة) أو رأس المال الاجتماعي على أنه مؤسسات سليمة ومستقرة ومجتمعات داعمة.

يجادل دعاة مؤشر التقدم الحقيقي (GPI) بأن الناتج المحلي الإجمالي (GDP) قاصر، لذا يجب أن يستبدل بمقياس يرتكز على اعتبارات الاستدامة. ومن ناحية أخرى، هناك مؤشرات أخرى تشمل مؤشر الكوكب السعيد (HPI)، وهو المقياس الذي يبيّن الكفاءة البيئية المرتبطة برفاهية الإنسان. هذا المؤشر مبني على ثلاثة مؤشرات مختلفة، اثنان منهما موضوعيان، وهذه المؤشرات هي: متوسط العمر المتوقّع والآثار البيئية، ورفاهية الناس أو «الرضا عن الحياة «. ومؤشر التنمية البشرية (Human Development Index (HDI)) هو مؤشر آخر وضع في عام ١٩٩٠، ويتكون من ثلاثة عناصر وهي: مستوى المعيشة، ومتوسط العمر المتوقع، والمعرفة. باختصار، تسعى هذه المقاييس إلى التأكد من أن الأسواق تخبرنا بالحقيقة البيئية والاجتماعية.

**الإسلام وإعادة تعريف التقدم:**

من الضرورة استيعاب الدور التاريخي للثقافة ووجهات النظر الإسلامية في تعزيز التعايش والتنشئة الاجتماعية للمعرفة والحوار بين الثقافات. قدم ابن خلدون في مقدمته نظرية اجتماعية لشرح نهوض وسقوط الأمم إبان الحكم الإسلامي في إسبانيا وشمال أفريقيا. لقد طوّر ابن خلدون نظرية الدورات الحضارية التي هي تحليل عبر الزمان للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وقد وضّح أيضا التحول المجتمعي من البداوة إلى المدنية. وقال ابن خلدون أن المكوّن الاجتماعي للمجتمع هو الذي يحمل سر النمو الاقتصادي وانخفاضه.

سوف يعلمنا فهم التفاعل بين العوامل السكانية والتكنولوجية والمؤسسية برؤى أساسية حول تطور المجتمع. قدم ابن خلدون أيضا مفهوما له أهمية خاصة وهو «العصبية» (الرأسمال الاجتماعي)، وذلك لشرح التماسك الإجتماعي. العصبية هي شعور وطاقة الجماعة التي تنبثق من وحدة المصالح الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. يؤدي التضامن الاجتماعي القائم إلى تقديم أنشطة اقتصادية توفّر مزيدا من الزخم للرابط الاجتماعي والتآزر.

ينظر الإسلام إلى تحديات القرن الحادي والعشرين باعتبارها أزمة قيم. فهو يدرك ضرورة إعادة النظر في الأسس التي بُني عليها هيكل المجتمع برمته. إن الأزمة في العلاقات الاقتصادية والبيئية والسياسية ما هي إلاّ نتيجة طبيعية للقيم والمؤسسات التي تميّز الحضارة الحديثة. ويعتقد أن من خلال فهم دقيق للقيم الاجتماعية للإسلام، في سياق التنمية المستدامة، ستتمكن المجتمعات المبنية على القيم من تطوير (وتحويل) نهج خلاّق ومبتكر لمواجهة التحديات التي تواجه البشرية اليوم. ومن المفارقات أنه يُنظر الى الإسلام اليوم كتهديد عالمي محتمل وذلك نتيجة للصورة التي حدّدت أطرها ورسمتها صناعة وسائل الإعلام. أهدف في هذا الكتاب إلى تغيير وتحويل هذا الاعتقاد الخاطئ وتقديم الإسلام كمصدر للتحرر والإنصاف والعلاج والرحمة للعالمين وطريقة لإعادة تعريف الحياة الطيّبة ولقياس تقدّم المجتمعات.

يتناول الإسلام بوصفه طريقة حياة كافة جوانب الحياة البشرية. كما ينظّم الإسلام العلاقة بين الله، سبحانه وتعالى، والبشر والطبيعة. فهو مبني على الإعتراف بوحدانية الله تعالى وخضوع الإنسان إلى إرادته وحده. فالله تعالى هو خالق كل شيء وكل شيء مسؤول أمامه. ويُنظر للإنسان كشاهد وكخليفة الله على الأرض. إن دور الإنسان ومسؤوليته تتمثل في ضمان استخدام كافة الموارد المادية والبشرية بطريقة معقولة ومنصفة ومستدامة.

ينص الإسلام على أن الله تعالى خلق الطبيعة لمنفعة البشر. وتقوم العلاقة بين البشر والطبيعة على الانسجام نظراً لطاعة جميع المخلوقات لشريعة الله وسننه. فيُشجع الإسلام البشر على استكشاف واستخدام الموارد الطبيعية بطريقة مستدامة. ويمكن القول بأن الخضوع لإرادة الله سبحانه وتعالى هو السبيل الوحيد لتحقيق السلام والسلم المجتمعي. كما يؤدي الانسجام بين إرادة الإنسان وإرادة الله إلى حياة مسؤولة ومتوازنة. فلكل نشاط إنساني بُعد سامي؛ بحيث تصبح معه هذه الأنشطة مقدسة وهادفة وذات مغزى. لذا، لا يَسمح الإسلام بقطع الأشجار والشجيرات غير المنتجة. فللبشر الحق في الاستفادة من ثمار هذه الأشجار والشجيرات إلاّ أنهم لا يملكون الحق في تدميرها. كما لا يسمح الإسلام بالتبذير والإسراف، حتى عندما يتعلق الأمر بالأشياء غير الحية، بقدر ما أنه لا يجيز الإسراف في استخدام المياه حتى إذا لم يكن هناك شح في المياه. وبالتالي، يهدف الإسلام إلى تجنّب الهدر والتبذير بكافة أشكاله وضمان الاستخدام الأمثل لكل الموارد.

لقد وهب الله البشرَ عددا لا يُحصى من القوى والقدرات العقلية. فهم يملكون العقل والحكمة اللازمة لتحقيق التوازن في هذا الكون. ويعتمد نجاحهم في الحياة على الاستخدام السليم لهذه القوى. كما منح الله البشر جميع الوسائل والموارد اللازمة لجعل قدراتهم العقلية الطبيعية

قادرة على تحقيق وظائفها وبالتالي تمكينهم من الوفاء بإحتياجاتهم. فتحتوي البيئة، وما يحيط بها، على الموارد التي تم تسخيرها لمنفعة البشر. وذكّر القرآن الكريم بأنه ينبغي على البشر من جميع الأديان والأمم التعاون فيما بينهم وتبادل المعرفة والحكمة من أجل إيجاد حياة أفضل وكلمة سواء. وينتج عن الإستخدام السليم للقوى البشرية تحقيق المنفعة للعامة أو ما يشار إليه بعمارة الكون. ويعتبر كل استخدام آخر للموارد يؤدي إلى تبذير أو تدمير لها تَصرُّف خاطئ وغير مقبول. وأناقش في هذا الكتاب هذا بأن النموذج الغربي - بارتكازه على اقتصاد السوق والاستهلاك - كوسيلة لتحقيق السعادة قد خذل الناس والطبيعة والاقتصاد. فقد خذل هذا النموذج الناس، حيث أننا نعيش في عالم يوجد فيه بليون من الناس يعيشون في فقر مدقع، وأن دخل أغنى ٢٠٠ من الناس في العالم يزيد عن دخل ٢,٥ بليون من سكان العالم. كما خذل هذا النموذج الطبيعة، نظراً لما نشهده من إنقراض الكائنات الحية وفقدان الغابات والإحتباس الحراري العالمي. أيضا، خذل هذا النموذج التنمية الاقتصادية لما خلقه من معنى مصطنع للتنمية والتقدم مما أدى إلى انهيار الأسواق المالية وتشجيع سِباق التسلّح وحالة الإدمان على النفط.

وبناءاً عليه تبرر الحاجة لإعادة التفكير في النموذج الغربي الحالي للتنمية وتطوير نموذج جديد مستوحى من الثقافة الإسلامية. ومن هنا، سأُناقش مفهوم وإطار التنمية المستدامة المستمد من القيم الإسلامية التي تأخذ بعين الاعتبار المكونات الأساسية لأسس الحياة الجيدة والتقدم وذلك كمحاولة لإلقاء بعض الضوء على كيفية تحديد الإسلام، باعتباره اسلوب حياة، لكل من التنمية المستدامة ومعنى الحياة الجيدة والزُهد. وتشمل هذه القيم: العدل والإحسان وقيم الأسرة والمجتمع المحلي (الأرحام) والحد من الفساد.

ولتناول مفهوم التنمية المستدامة والتقدم، سأقوم بعرض مجموعة من المفاهيم المستمدة من الإسلام بحيث تشمل جميع القيم المذكورة أعلاه. ويضم هذا الإطار، كما هو مبين في الشكل ١,٢، دائرة أساسية تمثل الحياة الطيّبة ودائرة أكبر تمثل مفهوم عمارة الأرض. تلخص العناصر الأربعة بما يلي:

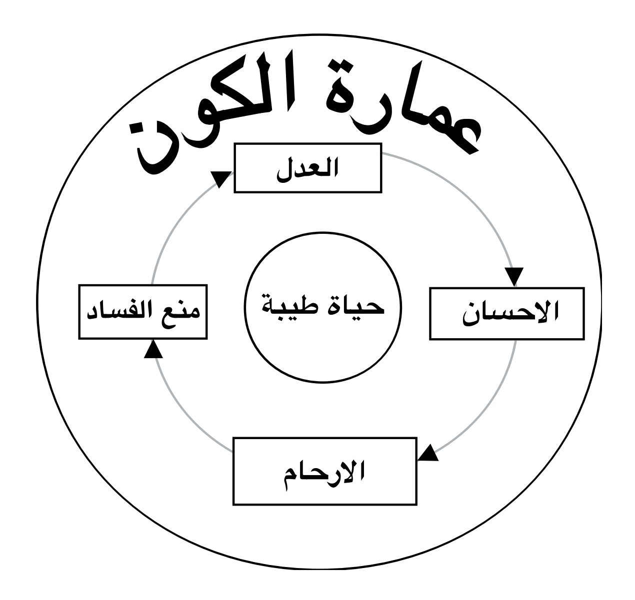
• العدل أو الميزان الذي يتوافق مع العدالة الكونية والبيئية والبشرية والانسجام في الكون. ومن ثم يعتبر الحكم الرشيد والأخلاقي حجر الزاوية لتحقيق واستدامة التقدم وبالتالي تحقيق الحياة الطيّبة.

• الإحسان والذي يعني الجمال الداخلي وتطوّر وعي الأفراد والمنظمات والمجتمع (الأمة).

ويستتبع هذا أيضا التحسين المستمر وخلق القيمة والمعرفة والحكمة للبشرية جمعاء.

• قيم الأسرة والمجتمعات (الأرحام) التي تشير إلى الشبكات الاجتماعية التي تتكون من الأسرة إلى الحي والمجتمع الإنساني العالمي بوجه عام. فينص الإسلام بأن جميع البشر خلقوا من أمم مختلفة لتحقيق «التعلم والذكاء الاجتماعي « أي «ليتعارفوا» كما أشار إلى ذلك القران الكريم.

• الحد من الأذى والفساد الذي يُعد مؤشرا للانحراف عن الحالة الطبيعية، أو ما يسمى بالفطرة والتوازن الذي خلقه الله سبحانه وتعالى. ويُعزى هذا الخلل إلى الأنشطة البشرية التي لا تأخذ بعين الاعتبار القيم البيئية والأخلاقية. فيمكن أن تشكِّل هذه المفاهيم الإسلامية مقاييس جديدة لتقدُّم المجتمعات. وسيساعد الفهم الجديد للإسلام إلى تطوير نظرة مستندة إلى المعرفة والتنوع لكل من أنظمتنا البيئية والمجتمع العالمي على حد سواء.




الشكل ١,٢ نموذج الاستدامة ضمن الرؤية الإسلامية

يؤسس نظام القيم الإسلامية علاقة واضحة بين البشر، كونهم مخلوقات غير خالدة، والله الخالق الأبدي. فوحدانية الله وخضوع البشر إلى الخالق هي مبادئ أساسية في العقيدة الإسلامية. ومن ثم، فقد خلق الله سبحانه وتعالى البشر للقيام بدور الشاهد. يأمر الإسلام، باعتباره منهج حياة، أن يقوم البشر بالمحافظة على البيئة نظراً لأنها من خلق الله. فخلق هذه الأرض وجميع ما عليها من موارد طبيعية ما هو إلا علامة وآية على حكمة الله الخالق ورحمته وقدرته. فتحتوي البيئة على

مخلوقات الله سبحانه وتعالى التي تشبه المجتمعات البشرية وتستحق بالتالي الحماية (أو ما يسمى بالحمى أو المحميات الطبيعية) كما علمنا الإسلام. علاوة على ذلك، يشجع الإسلام مفهوم الخير ومن ثم تعتبر «حماية البيئة» عمل خير وله ثواب.

من الجدير بالذكر هنا، أنه تم إستيراد مبدأ الفصل بين الروحانيات و»العلم» وتقديمه إلى العالم الإسلامي عندما نشأت الثقافة المادية والصناعية التي فصلت بين النظام السياسي وقيم المجتمع. فكان لهذا أثر مدمر على ثقافة الشعوب الأصلية وعلى البيئة وأحيائها.

على الرغم من أن موقف الإسلام فيما يتعلق بالمناقشات النظرية البيئية واضح وموّثق، تشهد أجزاء عديدة من العالم الإسلامي حاليا إختلافات ثقافية وبيئية. ويُعزى هذا إلى السرعة التي غزى فيها العصر الصناعي هذه البلدان دون أي إعتبار لأنظمة القيم المحلية. ومن ثم، ينبغي إعادة اختبار القيم الغربية الصناعية لضمان وجود نظام قيِّم يتفق مع الواقع الراهن والسياقات المستمدة والمستوحاة من رؤى العالم الإسلامي وقيمه. فلا بد لكل علماء المسلمين من تطبيق الاجتهاد بطريقة هادفة والبحث عن حلول مستدامة للناس والطبيعة تعالج الخلل في النموذج الاقتصادي الغربي.

نتج عن النموذج الغربي للتنمية الاقتصادية باقتصاديات السوق الحرة ومؤسساته السياسية والاقتصادية والاجتماعية عددا من التكاليف البيئية. وباسم التنمية، حُرم السكان المحليون والأصليون من حقوقهم. فسُلبت الحقوق والموارد الطبيعية للسكان المحليين وتمّت الاستعاضة عنها باحتياجات جديدة كما عرّفها النموذج الغربي. وكما أشار Sardar (٢٠٠٦)، فكيفما تقوم بتعريف وإعادة تعريف التنمية أو صياغتها وإعادة صياغتها أو إعادة التفكير فيها، فإنها لن تلائم البلدان غير الغربية وهي، إذا ما فُرضت عليهم، تقوم بتقسيم المجتمعات إلى شظايا وتنشر الفوضى فيها وتدمرها.

يمكن القول بأن التكلفة البيئية العالية الغير مسترجعة للنموذج الاقتصادي الغربي واضحة ومثبّتة. فلا تخبرنا الأسواق بالحقيقة البيئية وبأن المخاطر الناجمة عن تغير المناخ والأزمات المالية العالمية ما هي إلاّ دليل على فشل هذه الأسواق. فتُعتَبر إعادة تعريف المفهوم الأساسي لما يشكل «حياة طيّبة» وكيفية تحقيق السعادة أمراً أساسياً لفهم الاستدامة من منظور إسلامي. ويرتبط مفهوم التقدم والسعي لتحقيق السعادة أو الحياة الطيّبة من منظور إسلامي بالقيمة المضافة للحياة من خلال الأعمال الطيّبة والمعرفة التي تعتبر جزءاً أساسياً للدور الذي يلعبه الإنسان في عمارة الكون ومساعدة الآخرين والتربية الطيبة للجيل القادم بالإضافة إلى العيش الزهيد والقضاء على مفهوم

التبذير أو الإسراف في الإستهلاك. فلا يرتبط الحلم الإسلامي بتراكم الثروات أو العيش برخاء، بل بالمحافظة على رأس المال البشري والاجتماعي والطبيعي والتي تشكل ما يسمى بالضروريات.

تتسبب نماذج التنمية الغربية بتقويض الوجود للمجتمعات المحلية وقمع التقاليد وتفتيت المجمعات الريفية من خلال تعزيز التنمية الحضرية وزيادة إنعدام الأمن الاجتماعي بالقضاء على الزراعة التقليدية وتشجيع الافتراض والتمويل بالدّين. فالذي يحوّل التنمية إلى «تنمية مستدامة» هو مبدأ أن تُلبي التنمية حاجات الأجيال الحالية مع عدم المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية إحتياجاتها مع ضمان مبدأ العدالة بين الأجيال الحاضرة والأجيال القادمة. فمن المهم أن ندرك بأن قيم تعزيز الحياة ارتبط دائما بالمحافظة على الموارد. ومن ثم يمكن إعتبار القيم الإسلامية والمعرفة والممارسات المحلية نموذجا للإستدامة والتقدم والحياة الطيّبة. ويعرض الإسلام مفهوم الأصالة الثقافية الذي يتضمن إحترام القواعد واللغة والمعتقدات ونظم المعرفة والفنون والحرف لجميع البشر بإعتبارها العوامل التي توفّر الثراء والمعنى لحياتهم.

وفيما يلي ملخص لرؤية الإسلام لمفهوم الاستدامة والتقدّم كما يتجلى ذلك في الأعمدة الثلاثة للاستدامة (البيئية والاجتماعية والاقتصادية).

### البيئة والروحانية

تعتبر أهم سمة للرؤية الإسلامية العالمية تقديمها لوجهة نظر تفاعلية ومتكاملة. وبالتالي، يؤدي الفهم المُعاصر لفكرة المصلحة العامة إلى فهم نظري لمفهوم الاستدامة بنطاقه الواسع. ويمّثل الإسلام خيار الفطرة أو الجذر الأساسي للخير. وتفترض الفطرة الإنسجام التام بين الطبيعة والبشر والبيئة. كما تعني الفطرة الإدراك أو الوعي الكامل لدور الإنسان الوصي والشاهد (خليفة الله على الأرض). كما تمكّن الإنسان من الإلتزام وتقدير كافة أشكال الإصلاح والتنوير المستمدة من الإسلام.

ويوفّر الإسلام وصفا لأصل الكون والبشر؛ والقصة بسيطة ومثيرة. فقد خُلِقت الأرض لمنفعة البشر. والبشر هم الأمناء والخلفاء على هذه الأرض لضمان إستخدام جميع مواردها بطريقة مستدامة. يَنظر الإسلام إلى المخاطر المحتملة لتغير المناخ على إعتبارها مشكلة ناجمة عن غياب الوصاية البشرية التي يُشار إليها بالفساد. ويعتبر الإسلام جميع أنواع الكائنات أمما تماما كالجنس البشري. ويمكن للمرء من خلال قراءته للقرآن الكريم أن يستنتج العلاقة الترابطية والمتداخلة ما بين رأس المال الطبيعي ورأس المال الاجتماعي.

وينص الإسلام على أن جميع مخلوقات الله سبحانه وتعالى، بما في ذلك النباتات والحيوانات البرية، هي في حالة تسبيح له. فإلحاق الضرر بأي نوع من أنواع المخلوقات يؤدي إلى تعطيل سمفونية الحياة وإسكات العباد عن التسبيح. يرفع القرآن الكريم ويعمّق مفهوم الذكاء الجمالي(Aesthetic Intelligence) ومحاكاة الطبيعة (Bio-mimicry) والتعلم منها. فيحتوي كل من القرآن الكريم والطبيعة على آيات وعلامات كثيرة من شأنها أن تثبت وتقدّم رؤى وتوجيهات للذكاء الطبيعي والابتكار والتعلم. ويعني مفهوم الإحسان الجمال الداخلي والتحسين المستمر وزيادة الوعي. فالإحسان هو مفهوم رئيسي في الإسلام وهو يعتبر القائد والوقود لتسيير البشرية من خلال المسؤولية والتميّز. ويشير الزهد إلى العيش اللطيف على الأرض وهو مفهوم إسلامي يعزز الحفاظ على الموارد والاستخدام الرشيد لها. والوقف هو عبارة عن صندوق هبة يتم تمويله من قبل القطاع الخاص والمجتمع المدني كأداة اقتصادية لضمان الأمن الاجتماعي والاقتصادي والبيئي، كما يُستعمل كوسيلة لتعزيز مفهوم المسؤولية الاجتماعية للشركات (Corporate Social Responsibility "CSR") ولوضع أُطر واضحة للمنظمات المبنية على أساس القيمة. وقد أوجز كل من غازي بن محمد ورضا شاه-كاظمي وأفتاب أحمد (٢٠١٠) العناصر الأساسية للبيئة في الإسلام والتي سيتم تلخيصها في القسم التالي. كما ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف المبادئ التوجيهية لمفهوم الكون من منظور إسلامي بالإضافة إلى خلق الأرض ومصدر المعرفة والعلاقة بين البشر والطبيعة.

### الكون كانعكاس للحقيقة

لم يتم خلق البيئة (المحيط) بشكل عشوائي فهي إنعكاس للحقيقة التي تعد واحداً من أسماء الله الحسنى (المحيط). وفي الواقع، تُظهر البيئة وتعكس عدداً من أسماء الله الحسنى وصفاته. ويمكن التعرّف على هذه الصفات من خلال وصف الله تعالى لنفسه في القرآن الكريم. وورد أربعة من هذه «الأسماء الإلهية» في الآية التالية: «هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»(سورة الحديد، آية ٣). كما أعلمنا الله سبحانه وتعالى بأن الطبيعة ما هي إلا انعكاس لإسمه «الظاهر» كما هو واضح في الآية القرآنية التالية: «وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ»، (سورة البقرة، آية ١١٥).

### الإنسان مسؤول ومسائل

تغرس الفكرة القائلة، بأن البيئة الطبيعية مقدسة وأن الله تعالى عالم بكل تغيير في الكون، في قلب وعقل المؤمن كل الاحترام للطبيعة. «وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا» (سورة الأنعام، آية

٥٩). وتحمل الآية أعلاه رسالة بسيطة؛ وهي أنه يجب على المؤمن أن يكون على إدراك تام بأنشطته ومعرفته والتفكير في عواقب كل شيء يفعله خلال تفاعله مع البيئة. فالله تعالى العليم الرقيب على خلقه البديع المتقن المتوازن. «مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ»، (سورة الملك، آية ٣).

## الطبيعة ككتاب منظور

يشار إلى الظواهر الطبيعية للبيئة بالآيات، وتُستخدم ذات الكلمة للإشارة إلى النصوص القرآنية أيضا. وبالتالي يمكن إعتبار البيئة كالكتاب المنظور مما يتوافق ويرفد آيات القرآن الكريم (الكتاب المسطور). ويمكن لنا من خلال مراقبة الطبيعة أو التواجد فيها اكتساب معرفة عميقة عن طريقة عمل الكون وعن الخالق وعن أنفسنا. تشير العديد من عناوين الفصول في القرآن الكريم إلى أهمية العالم الطبيعي مثل «الرعد» و«النجم» و«القمر» و«الشمس» و«الفجر» و«الضحى» و«الأحقاف» و«الدخان» و«الذاريات» و«الحديد» و«النمل» و«النحل» و«العنكبوت» و«الأنعام» و«الفيل» و«التين». تدعو هذه الإشارة المستمرة إلى الظواهر الطبيعية الناس إلى التفكير والتأمل بما حولهم بإعتبارها أمثلة على الإبداع الإلهي.

يربط الله تعالى في هذه الآيات الدالة على الخالق في الأرض والنفس. وهذا يعني إنعكاس وتكامل آيات الكون والإنسان. وبعبارة أخرى، يعتبر الإنسان كعالم صغير ويعتبر الكون هو العالم الكبير وبالتالي يؤدي التعرف على العلامات في كلا العالمين الى التوصل إلى معرفة «حقيقة الله» حيث توجد علامات الله سبحانه وتعالى في داخلنا كبشر وفي داخل العالم. «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»، (سورة فصلت، آية ٥٣). وكما قال تعالى: «وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾»، (سورة الذاريات، الآيات ٢٠-٢١).

## كل شيء يسبح بحمد الخالق

توجد سمفونية الحياة في الجبال والبحار والأشجار والشمس والقمر والنجوم وجميع المخلوقات. وبالتالي، يجب على الإنسان أن يكون على علم بأصل وجمال ووظيفة كل شيء من حوله. ويوفر القرآن الكريم مفتاح لهذا المفهوم: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ»، (سورة النور، آية ٤١). «تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا»، (سورة الإسراء، آية ٤٤).

وعلاوة على ذلك، تعتبر كافة الأنماط المعززة للحياة في الطبيعة في حالة تمجيد لله سبحانه وتعالى. وهناك أكثر من مجرد تمجيد وجودي لله في الطبيعة؛ فهناك تمجيد نشط وعن معرفة وقصد. وقد أشار الله تعالى إلى ذلك من خلال الآية التالية عن النحل: «وَأَوحى رَبُّكَ إِلَى النَّحلِ أَنِ اتَّخِذي مِنَ الجِبالِ بُيوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمّا يَعرِشونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلي مِن كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسلُكي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخرُجُ مِن بُطونِها شَرابٌ مُختَلِفٌ أَلوانُهُ فيهِ شِفاءٌ لِلنّاسِ إِنَّ في ذلِكَ لَآيَةً لِقَومٍ يَتَفَكَّرونَ ﴿٦٩﴾»، (سورة النحل، الآيات ٦٨-٦٩).

### إنشاء المعرفة من خلال الشبكات الاجتماعية

يعتبر تنوع الحياة والثقافات مصدرا لتوليد الحكمة والمشاركة في إنشاء وتطوير وعي جديد وتقوى لله كما ورد في القرآن الكريم. «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّـهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّـهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»، (سورة الحجرات، الآيه ١٣).

تجدر الإشارة إلى أن جميع المخلوقات تشكل فيما بينها مجتمعات تفاعلية أو ما يسمى بالأمم (ومفردها الأمة) كما هو الحال بالنسبة للبشر. ويقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: «وَما مِن دابَّةٍ فِي الأَرضِ وَلا طائِرٍ يَطيرُ بِجَناحَيهِ إِلّا أُمَمٌ أَمثالُكُم ما فَرَّطنا فِي الكِتابِ مِن شَيءٍ ثُمَّ إِلى رَبِّهِم يُحشَرونَ»، (سورة الأنعام، الآيه ٣٨).

يتفاعل كل نوع من أنواع الكائنات الحية، «أمة»، مع غيره من الأمم في مجتمع متوجه للخالق. ويشكل كل نوع من أنواع الكائنات «مجتمع» كما البشر وهذا في حد ذاته توجه قوي للبشر للتعاطف (Empathy) مع الحياة بجميع مخلوقاتها. واحدة من الآثار المترتبة على الوعي القرآني التام بالعالم الطبيعي هو أن فقدان أي نوع من أنواع المخلوقات أو الكائنات الحية يعتبر إشارة إلى عدم التزام البشر بواجب الأمانة والا ستخلاف التي أولاها الله لهم.

### الإنسان كشاهد وراعي

يعتبر البشر أوصياء على الأرض وليسوا مالكين. وتتلخص حقوق الإنسان ومسؤولياته تجاه البيئة بكلمة «خليفة» كما وردت في القرآن الكريم. وجُعِلت الأرض خاضعة للبشر وتقدم لهم المنافع المتعددة. وعلى الرغم من ذلك، يجب أن يتم تقنين هذا الخضوع في ضوء ما تم مناقشته أعلاه عن كل شيء في الطبيعة التي خلقها الله سبحانه وتعالى بوصفها إشارة إلى صفاته عز وجل وإعتبارها في

حالة تمجيد مستمرة لله تعالى. ولا يعني جعل الأرض خاضعة للبشر أن يملك البشر الحرية المطلقة بالتصرف فيها بطريقة غير مسؤولة أو القيام بأعمال من شأنها أن تخل بتوازن الطبيعة. وهذا ما أشار اليه الله تعالى في القرآن الكريم بقوله:

«خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿٠١﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿٢١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣١﴾»، (سورة الرحمن، الآيات ٣-٣١).

### الفساد الناتج من النشاط البشري (بما كسبت أيدي الناس)

يرى الإسلام أن فساد البشر الداخلي لا ينعكس على فساد العالم الخارجي فقط، بل هو السبب الفعلي له. وهذا هو السبب الحقيقي لعدم تمكن أي قدر من العمل البيئي العلمي أن يعمل بشكل كامل دون تجديد روحي. هذه الرؤية، تحديدا، غير موجودة في معظم الآراء البيئية والإجراءات. يعتقد خبراء البيئة أنهم يعرفون العالم، وأن بإمكانهم إنقاذه دون الحاجة إلى معرفة أنفسهم وإنقاذها أولا. إن التجديد الداخلي أو «الإحسان» هو شرط أساسي لتحقيق بناء حقيقي للأرض «عِمارة الأرض»، وتحقيق وعيش حياة طيبة.

إن أنماط الحياة المتميزة بالإسراف والهدر، التي يتبعها المزيد والمزيد من الناس، ما هي إلا مؤشرا على نهب وتدمير الأرض. فالنزعة الإستهلاكية الحالية التي يتسم بها نمط حياتنا هي وصفة لتدمير النظم البيئية والكائنات الحية. وتؤدي هذه الطريقة من العيش إلى خروج البيئة عن توازنها، وهذا يعني أن الآخرين سوف يعيشوا حياة البؤس والفقر. ينظر الإنسان المعاصر إلى ظواهر الحياة على أنها كيانات فردية منفصلة، وبالتالي فإنه يمكن التلاعب بأي منها من دون الإهتمام بالكيانات الأخرى، وهذه النظرة سببها أن الإنسان لا يدرك العلاقة المعقدة بين هذه الظواهر. وباسم تحقيق التنمية والنمو من أجل النمو نقوم بتدمير الجبال ولكن نبني الجزر، ونمحو الغابات ولكن نملأ البحار بالسموم والنفايات، ونقضي على الحيوانات البرية ولكن نستنسخ الحيوانات الأليفة، ونقتل الطيور ونصنع حظائر في السماء ومكبات القمامة في الأرض ونستنفذ الأرض من كنوزها وندمر السهول ولكن نبني ملاعب الغولف في الصحراء. تتفاعل الطبيعة مع الفساد الروحي للإنسان، والعواقب هي الفيضانات الشديدة والجفاف وانقراض الكائنات الحية وتدمير الموطن وتغيير المناخ والتصحر.

قال الله سبحانه وتعالى:

« ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»، (سورة الروم، آية ١٤).

### التحول في النفس البشرية: مُتطلَّب لتحقيق التنمية والتقدم

يتحقق الفكر المستمد من الطبيعة عن طريق الانتباه إلى قدسية البيئة، وادراك أن جميع الأشياء تسبِّح الخالق وأنها العلامات الظاهرة على عظمة الله. وسوف تغيِّر هذه التذكرة الطريقة التي ندرك بها الأشياء، وهذا بالطبع سيؤثر على أعمالنا.

قال الله سبحانه وتعالى:

«... إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوْا مَا بِأَنفُسِهِمْ...»، (سورة الرعد، آية ١١).

ينظر الإسلام إلى الكفاح من أجل تحقيق السيادة الذاتية والعيش بزهد على أنه شكل من أشكال الجهاد الداخلي. ويمكن تحقيق النضال من أجل كسر العادات السيئة لدينا ولموائمة أنفسنا مع وسائل عيش أنقى وأبسط من خلال المواءمة مع مدونة قواعد السلوك للإسلام «صبغة الله». يعلمنا الإسلام أن تحقيق سيادة الذات يمكن أن يدرك من خلال التواضع وممارسة البساطة والرضا ومقاومة الرغبات التي لا تنتهي وتذكر الله. هذا الموقف الجديد في نمط الحياة سوف يخفض آثار الكربون لدينا ويقلل من المخاطر المستقبلية لظاهرة الإحتباس الحراري.

### تشبيه الخطاب الطيب بالشجرة المزدهرة الطيّبة

يؤكد الإسلام، بإعتباره رحمة للبشرية، على مفهوم التواصل مع الآخرين بالكلمة الطيّبة وذلك للتأكيد على الأمل والتفاؤل بأن المستقبل يمكن أن يكون مشرقا إذا قمنا بتغيير نماذجنا الذهنية (Mental Models). ويستخدم القرآن الكريم الإستعارة فيشبه الكلمة الطيّبة بأنها مثل الشجرة الطيّبة:

«أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُها فِي السَّماءِ* تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرار»، (سورة إبراهيم، الآيات ٢٤-٢٦).

واعتمادا على جميع المبادئ المذكورة أعلاه حول الوصاية على البيئة التي تستند على القرآن الكريم، يمكننا وضع نهج شامل لتحقيق الاستدامة التي هي متعددة الأبعاد وشاملة للكون والطبيعة والإنسان، كما هو مبين في الجدول ٢.١.

الجدول ١,٢ المبادئ والآثار المترتبة على إستدامة الإسلام.

| المبدأ | التطبيقات العملية للإستدامة |
|---|---|
| الخلق هو إنعكاس للحقيقة | الروحانية أساس التنمية |
| الإنسان مسؤول | الحاجة الى عمل بشري هادف |
| الطبيعة عبارة عن كتاب من العلامات | رعاية الفكر الطبيعي |
| كل شيء يثني على الله | تعميم الوئام و المصالحة |
| خلق المعرفة من خلال التفاعل الثقافي | التنوع في الثقافات له قيمة مضافة في تبادل المعرفة |
| الإنسان هو وصي | رأس المال البشري أساس التنمية المستدامة |
| الروابط بين الإنسان و الكون | تعزيز الفكر البيئي الكوني |
| الفساد و دور الإنسان | استعادة التوازن من خلال ردود الفعل |
| تحول النفس البشرية | تغيير الذات كجزء من المرونة |
| الكلمة الطيّبة مثل الشجرة الطيّبة | خطاب عالمي من أجل تعزيز السلام |

### ب. البعد الإجتماعي

من وجهة النظر الإسلامية، فقدان البوصلة الاجتماعية يعني نقص أو غياب تجسيد التعاليم الإسلامية (التي تعتبر رمز المرجعية). وسيؤدي هذا إلى حالة من التدهور البيئي أو «الفساد»، وإلى الانعزال البشري والاجتماعي أو «تقطيع الأرحام» على حد سواء. أما الركيزة الثانية للإستدامة فهي تحقيق البعد الإنساني والاجتماعي للتنمية. يعتبر مفهوم الإنصاف والعدالة الاجتماعية والمشاركة العامة «الشورى» والقلق العميق على جيل المستقبل حجر الزاوية في الإسلام. دور الأمة كمجتمع من الناحية العملية هو وضع معايير لقواعد السلوك الأخلاقي، وكذلك لخلق معرفة جديدة قائمة على تحقيق المصلحة والمنفعة العامة.

الجوانب المادية والروحية للحياة متكاملان؛ وذلك ضمن إطار الطريق الإسلامي للتنمية. ولنكون قادرين على عيش الحياة الطيّبة، يجب علينا تحقيق أفضل إستخدام للموارد المادية في عالمنا. إن التحدث عن التنمية دون الإهتمام بالجانب الروحي للناس لا معنى له، حيث يجب على

التنمية الحفاظ على جوهر إنسانيتنا. من بين المبادئ الديناميكية للحياة الاجتماعية، ركز الإسلام بوجه خاص على الاستخدام الأمثل للموارد واستخدامها العادل وتوزيعها لتحقيق رخاء الإنسان عن طريق تعزيز جميع العلاقات الإنسانية على أساس الحقوق والعدل. إن الإهتمام بالفقراء والمهمشين من خلال تقاسم الموارد والمساهمة المالية من جمعية خيرية (الزكاة) والوقْف هي المفاهيم الأساسية في الإسلام التي تحتاج إلى تسخيرها من خلال الابتكار المؤسسي أو «الاجتهاد» وإصلاح الحكم.

### ج. البعد الاقتصادي

فرضت الأزمة المالية العالمية الحالية، بالإضافة إلى الفقر وفيروس نقص المناعة المكتسبة «الإيدز» وتحديات تغير المناخ، حاجة ماسة لنموذج اقتصادي جديد يمكنه مواجهة هذه التحديات العالمية. وهناك حاجة أيضا إلى نقد وإعادة النظر في الإفتراضات التي يقوم عليها اقتصاد السوق الحالية الذي ينظر إلى الإنسان والطبيعة والثقافة على أنهم سلع. إن العيب الرئيسي لنموذج السوق الموجود حاليا هو اهماله للأجيال القادمة، وقيامه على معدل فائدة مركّبة ونظام مصرفي يشجع على القروض والإفراط في الاستهلاك. عند النظر إلى تحليل التكاليف والفوائد المترتبة على تغير المناخ، فإن معدل الفائدة، (القيمة التي نعطيها للمستقبل)، سيبرر عقلانية إتخاذ الإجراءات الوقائية. وبعبارة أخرى، كلما كان عدم إعطاء قيمه للمستقبل أكبر فإن آثار تغيّر المناخ من الناحية الاقتصادية ستحدث بشكل أكبر.

يحرّم الاقتصاد الإسلامي الفائدة المركبة التي هي مفهوم أساسي للنظام المصرفي الغربي. وبالإضافة إلى ذلك، يوفّر الإسلام إطارا تنظيميا يضمن بأن تصب مشاريع التنمية في مصلحة المجتمع الأوسع، وليس لعدد قليل من الأفراد. ويقدّم الإسلام أيضا إطارا لتقييم الفائدة والقيمة التي تتجاوز البشر إلى الكائنات والموارد الطبيعية وأجيال المستقبل.

إن المفهوم الأساسي في الاقتصاد الإسلامي يحرّم الربا ويعطي قيمة للمستقبل، مما يعني أن النفط الأحفوري في الوقت الحالي لن يتم إستهلاكه في المستقبل، وبالتالي يحد الإسلام من الإفراط في إستخدام النفط الأحفوري، وهذا يساهم في الحد من انبعاثات ثاني أكسيد الكربون والذي يسبب تغيّر المناخ. وخلافا للنظام المصرفي القائم الذي يشجع القروض والمشاريع الضخمة التي تستغل رأسمالنا الطبيعي، يشجّع الإسلام التنمية المحلية، الأمر الذي سيؤدي إلى تقليل المسافة التي تنتقلها السلع، وتخفيض انبعاثات الغازات الدفيئة والآثار البيئية في قطاع الأعمال.

درس Rutledge (٢٠٠٦) العلاقة بين الإسلام والنفط. يضيء الربط بين النفط والإسلام

عددا من المجالات، بما في ذلك النموذج الاقتصادي الذي يقوم على السياسات التي يقودها السوق، والإستهلاك المفرط، والإستثمار المصرفي التجاري المبني على أساس الفائدة المركبة. وتجدر الإشارة إلى أن Rutledge (٢٠٠٦)، من النرويج، كشف عن وجود عدد من الملاحظات والنتائج على النحو المبين أدناه. وتشمل:

## الإسلام كنموذج اجتماعي-اقتصادي معاصر

ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية، قبل حوالي ١٤٠٠ سنة، في مجتمع من العائلات التجارية الحضرية، التي كانت محاطة بمحيط من الرعاة البدو الرُحّل، ومجتمع قبلي كان محافظا ومتساويا في نفس الوقت. وبالتالي، فإن الإسلام كديانة توحيدية كان طريقة فعّالة لتوحيد الفصائل المختلفة فكريا من مجتمع معقد. ونتيجة لذلك، كان لهذه الحركة، منذ البداية، آثارا اقتصادية واجتماعية واضحة. من جهة، الإسلام يحتوي على عناصر من كل من الرأسمالية والنظام الإشتراكي، مع تأكيده على المسؤولية الفردية، والملكية الخاصة، والتراكم الخاص للثروة من خلال التجارة والعمل الإنتاجي. إلى هذا الحد، فإنه يمثل مصالح طبقة التجار في المناطق الحضرية. ومن جهة أخرى، فإن الإسلام يؤكد أيضا على العدالة الاجتماعية، وتقاسم الثروة والرفاهية مع الجهات الأكثر فقرا في المجتمع. التعاطف مع الفقراء هو العنصر المركزي في الإيمان. وبهذه الطريقة، فالإسلام يمثل أيضا مصالح الفقراء في المناطق الريفية والحضرية، بالإضافة إلى من لا صوت لهم والمهمشين.

## الإسلام كرؤيه عالمية: تنوير وتجديد

أكد Noreng (٢٠٠٦) على المدى الذي طور به الإسلام فكرة أن الإسلام لم يعترف بفصل الدنيوية عن الألوهية. فالإسلام هو أكثر من مجرد دين، فهو عبارة عن وجهة نظر عالمية جديدة ووسيلة للحياة ومدونة للسلوك ولتحول الفرد والمجتمع ويهدف إلى حضارة إنسانية مدنية ومجتمع مدني. وبالتالي، فإن التضامن الاجتماعي والمجتمعي أو «التكافل والتراحم» هو مفتاح الحل في الإسلام لأنه يشكل إتفاقا إجتماعيا حيث الأغنياء لا يستغلون ميزاتهم من خلال إستهلاك الكماليات بينما هناك غيرهم يفتقرون إلى الضروريات الأساسية في الحياة. يعترف الإسلام ويقبل بوجود الأفراد الأغنياء في المجتمع، لكن ذلك بشرط أن يساهموا في التنمية الاجتماعية والاقتصادية في العديد من أشكال مساعدة الفقراء وذلك من خلال أشكال مختلفة من الأعمال الخيرية مثل الزكاة والصدقة والوقف.

## الإسلام ومفهوم الزهد

حدّد الإسلام الخطوط العريضة لإتفاق اجتماعي يدعو إلى حظر الإفراط في الاستهلاك كجزء من مدونة السلوك الأخلاقية. ويمارس هذا الإتفاق من خلال وجود الزكاة، والتي تعني دفع جزء قليل من الدخل ما يعادل ٢,٥ في المائة من الرصيد النقدي السنوي. اليوم، معظم المصادر الإسلامية أصبحت تعرف الربا بمصطلح «الفائدة»، والذي يعني: تقاضي أي مبلغ ثابت من المال فوق كل مبلغ رأس مال معار (ما عدا، ربما، للحصول على قرض لتضخم أسعار). يتوافق حظر هذا النوع من الدخل مع الفكر الاجتماعي والاقتصادي في الإسلام، والذي يقبل تراكم الثروة من خلال جهد شخصي في الوقت الذي يرفض النمط الريعي للنشاط الاقتصادي.

تدعونا هذه الأفكار المستوحاة من الإسلام إلى، وتحثنا على، إعادة التفكير في سياسة الطاقة في القرن الحادي والعشرين. نحن بحاجة إلى أن نضع في الإعتبار أن احتياطيات النفط هي موارد طاقة غير متجددة. إن مشكلة تحديد السرعة التي ينبغي فيها استهلاك مصادر الطاقة غير المتجددة قد أقلق خبراء الاقتصاد منذ بداية عام ١٩٣٠م. ومع ذلك، ليس هناك من ينكر حقيقة أن، بالنسبة لأي بلد، هناك أفق زمني محدود للحياة لاحتياطياتها النفطية، وكما يزعم البعض بأننا قد وصلنا بالفعل إلى عصر ذروة النفط. وبناء على ذلك، استخراج واستهلاك أو بيع النفط اليوم هو إنكار فائدة القيام بذلك للأجيال القادمة. العدل هو مفهوم أساسي في الإسلام من أجل حكم رشيد وعدالة بين الأجيال. من الناحية النظرية، الالتزام الصارم بتحريم الإسلام للربا (الفائدة)، سوف يستبعد الاستخفاف بالمستقبل وذلك عند صناعة الخيارات حول الاستهلاك في الحاضر مقابل الاستهلاك في المستقبل. والاستخفاف يعني ربط قيمة أقل لنشاط معين في المستقبل.

لأن الإسلام يحرم الربا، وهو تقاضي الفائدة، فإنه سيتم حظر هذا الإستخفاف وذلك في تفسير صارم وحرفي للإسلام، ونتيجة لذلك، فإن النظام الاقتصادي الإسلامي الذي كان يقارن مجموع ثروة المستقبل مع الزمن الحاضر، لا يستخدم الفائدة (معدل الفائدة يساوي صفر). وهو ما يعني أن، على عكس الاقتصاد الغربي، يجب على المسلمين وضع نفس القيمة بالضبط على ثروة المستقبل وثروة الحاضر، ولكن على شرط أن يتم قياس كلا منهم بمعايير حقيقية، وبعد السماح بتضخم أسعار متوقع.

وأهمية هذا في سياسة نضوب النفط هي أن منتجي النفط لديهم خياران أساسيان: استخراج النفط الآن أو الحفاظ على النفط لاستخراجه في المستقبل. بالنسبة لخبراء الاقتصاد الغربيين

الذين يخصمون من مبيعات النفط في المستقبل معدل فائدة، فإنه من الأفضل استخراج النفط عاجلا وليس آجلا. ومن ناحية أخرى، لا ينبغي أن يكون خبراء الاقتصاد المسلمين غير مبالين حول زمن استخراج النفط. وعلاوة على ذلك، إذا اختاروا الاستخراج الفوري، ذي القيمة العظمى، فإن ذلك من المحتمل أن يؤدي إلى خلق الثروة بشكل جيد بعيدا عن الاحتياجات الأساسية للمجتمع، وبالتالي، سيؤدي بكل تأكيد إلى الإفراط في الاستهلاك والإنفاق المسرف على الكماليات.

تاريخيا، بين عامي ١٩٨٥ و١٩٨٦، زادت دول الأوبك، من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، إنتاجها من النفط من ٩٦, ٩ مليون إلى ١٢,٤ مليون برميل باليوم. ونتيجة لذلك، فإن سعر تصدير النفط في الخليج إنخفض على الفور من ٥٣,٢٧ دولار أمريكي للبرميل إلى ٩٥ ,١٢ دولار أمريكي للبرميل. في التسعينيات إستمروا في زيادة إنتاج النفط، وعندما زادت فنزويلا الإنتاج أيضا في عام ١٩٩٨، حدث انهيار مفاجئ آخر في سعر تصدير نفط الخليج إلى ١٦, ١٢ دولار أمريكي للبرميل في عام ١٩٩٨.

إن الآثار المترتبة على السياسات العامة من خيارات هذه السياسة متباينة. في مجال واحد، لا يوجد تناقض بين الرغبة في ترك مزيد من النفط في الأرض للأجيال المقبلة (أو الإستثمار في الطاقة المتجددة)، وبين السعي وراء زيادة كبيرة في سعر النفط (والرفاه الحالي). ولكنّ المشكلة الوحيدة مع مثل هذه السياسة هو أنه، ومع مرور الوقت، قد يشجع سعر النفط المرتفع جدا على تطوير بدائل للبترول، وهذا بدأ يحدث منذ عام ٢٠٠٧.

**منذ عام ٢٠٠٨، بينما كنّا نشهدُ أزمة مالية عالمية بالإضافة إلى مخاطر تغيّر المناخ، يوفر الاقتصاد الإسلامي بفوائده المتقاسمة وعدم وجود الربا، قيودا سليمة لمنع المقترضين من الوقوع في ديون غير قابلة للسداد، مع تشجيع توزيع الثروة بعدالة. وهذا بدوره سوف يساعد في المساهمة في خفض الكربون وتحقيق الاقتصاد الأخضر الذي يتم تشكيله وتحويله من خلال النظرة الإسلامية للمال والاقتصاد.**

### الخلاصة

أعادت الحضارة والثقافة الإسلامية تعريف مفهوم الحياة الطيّبة وفقا للأفكار الإسلامية، مثل «الزهد» الذي يعني الإكتفاء والعيش برفق على الأرض، و«الإحسان» الذي يعني الجمال الداخلي. أنتجت أنماط الحياة الغربية ومستوى المعيشة وأنماط الاستهلاك لديهم آثارا بيئية عالية من حيث استهلاك الغذاء والطاقة والسلع. نقوم، من خلال التجارة العالمية، بالاستعانة بمصادر

خارجية للتطوير والتكاليف البيئية وذلك عبر الحدود إلى الهند والصين وأجزاء أخرى من العالم. إن حجم وكثافة التدهور البيئي في العقود الخمسة الماضية، والذي يشير إليه الإسلام بمصطلح الفساد، غير مسبوق في تاريخ البشرية.

هناك حاجة للتحول الكلي في وجهات النظر لدينا، وإعادة التفكير في أساسيات النموذج الاقتصادي الغربي لضمان الإنسانية ونموذج مستدام يتفاعل مع الثقافة ويضمن التوازن (الميزان) والعدالة الاجتماعية (العدل) ويحترم الإنسجام بين الطبيعة والناس والأسواق. فوق كل شيء، ما هو مطلوب هو نظرة جديدة وحديثة للإسلام كمصدر للسلام والرخاء والإلهام العالمي وإستعادة التوازن (الفطرة) بين المجتمع والأسواق والطبيعة.

وباختصار، يقدم الإسلام وجهات نظر عالمية وآفاق جديدة لتعريف الحياة الطيّبة والحضارة المستدامة التي تقوم على العدالة الاجتماعية، ونوعية الحياة بدلا من التراكم الفردي غير المحدود للثروة. وبالتالي، فإن المهم في الرؤية الإسلامية هو التحول الشخصي لإنسان متوازن ومتناغم، (النفس المطمئنة)، بدلا من مستهلك يسعى جاهدا لتراكم المواد. وببساطة، يمكن القول بأن النموذج الإسلامي يركز على توسيع التعاطف الإنساني وليس الإقليمي.

يعني الإزدهار والتقدم للمسلمين أن البشر أحرار، والوصول إلى العلاقات الغنية والمتنوعة مع الآخرين (لتعارفوا)، أو ما يسمى الإنتشار الاجتماعي للمعرفة بين جميع الثقافات في جميع أنحاء العالم. يركز النموذج الإسلامي الجديد أكثر على تحقيق الحياة الطيّبة، ونوعية الحياة، والإعتماد المتبادل. فمن المهم التوليف والجمع بين كل ما سبق من المفاهيم الإسلامية، وذلك لتطوير مقاييس جديدة تتجاوز الناتج المحلي الإجمالي لتعزيز الحضارة البشرية المستدامة التي تستند على السعادة وقيم الأسرة والتعلم الاجتماعي والسلام العالمي والسلم الاجتماعي والتصالح مع الآخر (رحمة العالمين) واقتصاد أخضر ونظيف.

وفي الخلاصة، علّمتنا الفيزياء الحديثة والنظرية النسبية عن البعد الرابع، وهو الوقت، والذي تجاوز قوانين نيوتن في الفيزياء الكلاسيكية. وفي اعتقادي، يستطيع الإسلام أن يوفر البعد الخامس لرؤية وجهات نظر جديدة في الحياة، مثل التقدم والعدالة والسلام والاستدامة بالنسبة لكل من البشر والطبيعة. وتقع علينا جميعا مسؤولية التطوير والمشاركة في خلق نماذج جديدة لتقدم الإنسانية من خلال جهود هادفة تعزز فهم وتفسير عميق للكون والثقافة والبيئة.

## المراجع

Al-Jayyousi, O.R. (2001). 'Islamic water management and the Dublin Statement', in Faruqui, N., Biswas, A. and Bino, M. (eds), Water Management in Islam, United Nations University Press, Tokyo, pp. 33–8.
Al- Jayyousi, Odeh. (2008). 'The State of Ecosystems and Progress of Societies', in Statistics, Knowledge and Policy: Measuring and Fostering the Progress of Societies. OECD.
Ban, E.G. (1999). The Constant Feud: Forest vs. Desert. New York, NY: Gefen. Castells, M. (1996). Rise of a Network Society. Oxford: Blackwell.
Chapra, U. (2008). Islam and Economic Development. New Delhi: Adam.
Erdur, Oguz. (1997). 'Reappropriating the "Green": Islamist Environmentalism.' New Perspectives on Turkey, 17 (Fall): 151–66.
Foltz, Richard. (2000). 'Is There an Islamic Environmentalism?'. Environmental Ethics, 22, no. 4: 63–72.
Foltz, Richard C., Baharuddin, Azizan and Denny, Frederick M. (eds). (2003). Islam and Ecology: A Bestowed Trust. Cambridge, MA: Center for the Study of World Religions, Harvard Divinity School, Distributed by Harvard University Press.
Hawken, P., Lovins, A. and Lovins, L. (1999). Natural Capitalism. CO, USA: Rocky Mountains Institute.
Kiuchi, T. and Shireman, W. (2002). What We Learned in the Rainforest: Business Lessons from Nature. San Francisco: Berrett-Koehler Publications Inc.
Korten, D.C. (1995). When Corporations Rule the World. San Francisco: Berrett-Koehler Publishers, Kumaian Press.
Lessem, R. and Palsule, S. (1997). Managing in Four Worlds. Oxford: Blackwell.
Lessem, R. and Schieffer, A. (2009). Transformation Management: Towards the Integral Enterprise. Farnham: Gower Publishing.
Millennium Ecosystem Assessment (MEA). (2005). Ecosystems and Human Well-Being. Washington, DC: Synthesis, Island Press.
Muhammad, Ghazi bin, Shah-Kazemi, Reza and Ahmad, Aftab. (2010). The Holy Quran and the Environment. The Royal Aal Al-Bayt Institute for Islamic Thought. Jordan.
Nasr, Seyyed Hossein. (1992). 'Islam and the Environmental Crisis', in Rockefeller, Steven C. and Elder, John C. (eds), Spirit and Nature, Boston: Beacon Press, 83–108.
Nomani, F. and Rahnema, A. (1994). Islamic Economic. London: Zed Books.
Richards, J. (1990). 'Land Transformation', in Turner, B., Clark, H., Kates, R., Richards, J., Mathews, J. and Meyer, W. (eds), The Earth as Transformed by Human Action. Cambridge: Cambridge University Press, pp. 163–78.
Norreng (2006). Crude Power. London: I.B. Tauris Publishing. Rutledge, Ian. (2006). Addicted to Oil: America's Relentless Drive for Energy Security. New Yok: I.B. Tauris.
Sachs, J. and Reids, D. (2006). 'Investments towards Sustainable Development'. Science, 312 (2776): 1002.
Sardar, Z. (1987). The Future of Muslim Civilization. London: Mansell.
The World Conservation Union – IUCN. (2006). The Future of Sustainability. Gland, Switzerland.
Zaidi, Iqtidar H. (1981). 'On the Ethics of Man's Interaction with the Environment: An Islamic Approach'. Environmental Ethics, 3, no. 1 (Spring): 35–47.

## الفصل الثالث

## الحكم الرشيد والعدالة

### ملخص

يهدف هذا الفصل إلى إلقاء الضوء على أحد المكونات الرئيسية لنموذج الاستدامة، وهو العدل. ولهذا المفهوم العديد من الأبعاد التي تشمل العدالة في المجالات الثلاثة؛ البيئية والاجتماعية والاقتصادية. ويتناول هذ الفصل مفهوم حقوق الأراضي والملكية، كما أنه يحدد جوهر وإطار العدالة الاجتماعية والاقتصادية في الإسلام. ويتناول القسم الأخير مفاهيم التجارة العادلة والحمى (المناطق المحمية) كمثال وتطبيق لمبدأ العدالة التي تعزز التنمية والإنصاف في عالم تسوده العولمة.

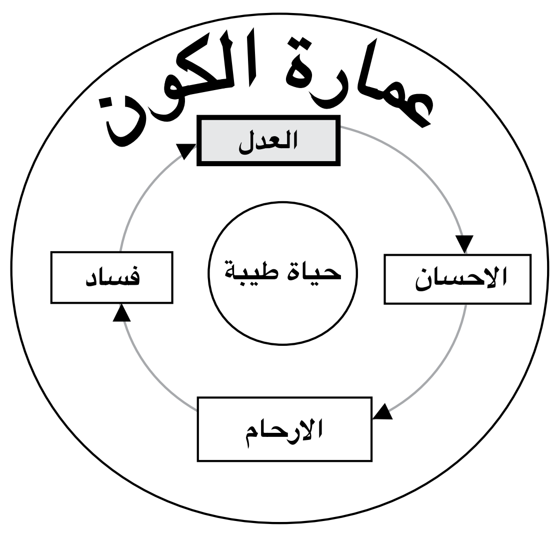
### الأهداف

**الأهداف الرئيسية لهذا الفصل هي:**

١. عرض المفاهيم الأساسية حول حقوق الأراضي والملكية في الإسلام وأهميتها للمناهج القائمة على الحق في إدارة الموارد الطبيعية.

٢. تحديد المفاهيم الأساسية للعدالة وآثارها على التنمية المستدامة.

٣. مناقشة مفهوم التجارة العادلة في ضوء القيم الإسلامية وقيمتها في عالم تسوده العولمة.




الشكل ١،٣ نموذج للتنمية المستدامة ضمن الرؤية الإسلامية

## خلفية: الحكم الرشيد والعدل

عبر المؤرخين والملوك العرب والفرس في العصور الوسطى عن مجموعة من الأمثال الشعبية التي تُنسب إلى الفيلسوف اليوناني Aristotle(٣٢٢ قبل الميلاد) وإلى Ardashir(الذي حكم في الفترة ٢٢٤-٢٤١ قبل الميلاد)، مؤسس سلالة «الساسانية الفارسية». ويؤكد هذا السرد الطرق التي أتبعها القادة آنذاك في تنظيم المجتمعات لتسهيل الإستقرار السياسي والنظام والرخاء الاقتصادي. وهو أيضا جزء من أدب الحكمة الذي ينير سياق البنية الاجتماعية والثقافية ومعايير المجتمع وكيفية تصور مفهوم الإنصاف والعدالة. وهذه الأمثال هي:

العالم هو عبارة عن بستان،
وسياجه هو الدولة؛
الدولة سلطان،
وتبقى على قيد الحياة من خلال السنن؛
والسنن طرق للحكم والسياسة،
ويتم تنفيذها من خلال الملك؛
والملك هو الراعي.

يستند هذا الفصل على أعمال كل من Normani (١٩٩٥)، وAli (١٩٨٩)، وIshaq (١٩٨٣)، وKhalid (٢٠٠٢) وKhan (١٩٩٤). ولكلمة «العدالة» في اللغة العربية معاني عدة: فهي تشير إلى مطابقة القانون والمساواة أو إلى مفهوم «العدل». وُجد القانون في جوهره لضمان العدالة، وكلمه العدالة مرادفة لكلمة الأخلاق. لقد وضع المفكرون، من القانونيين، أفكار العدالة بطرق مختلفة. فقد عرَّف مجموعة منهم العدل في مجالين؛ العدالة التوزيعية والعدالة التصحيحية. تتضمن العدالة التوزيعية المساواة في توزيع المنافع الاجتماعية والأعباء بين أفراد المجتمع المحلي، وتخدم التوازن بين أفراد المجتمع. وتسعى العدالة التصحيحية إلى استعادة المساواة في المجتمع. فيُفترض في النظام القانوني العادل، في أي دولة، إيجاد قواعد تهدف إلى تحقيق المساواة في التوزيع بين أفراد المجتمع الواحد من جهة، وإيجاد قواعد محددة لتطبيق العدالة التصحيحية من خلال النظام القضائي المتمثل بالمحاكم من جهة أخرى. باختصار، يتطلب العدل تحقيق المساواة والحرية وضمان الحقوق الأساسية الأخرى.

يضع الإسلام إطارا ومعيارا مطلقين لمفهوم «العدالة»، حيث أنه يستند إلى المبادئ السماوية والمبادئ الأساسية للقانون. ويعلمنا الإسلام بأن الحب لله سبحانه وتعالى، خالق الكون كله أساسي.

فيؤدي جوهر الحب والإخاء في الإسلام إلى تحقيق الخير للكون كله بما في ذلك الناس والطبيعة. وبالتالي، يؤدي الحب في الإسلام إلى تقدير واعي للخير وكراهية للشر، وليس لفاعل الشر. هذه هي السمة المميزة للعدالة الإسلامية. وهذا ما أمر الله سبحانه وتعالى به في سورة النساء عندما قال:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا»، (سورة النساء، آية ١٣٥).

العدل هو من أسماء الله الحسنى، ويتطلب الوقوف بحزم لتحقيق العدل وهذا يعني أن يكون الفرد شاهدا لله سبحانه وتعالى حتى لو كان ضاراً بمصالحه الخاصة أو مصالح أولئك المقربين منه أو الأعزاء عليه. ويعتبر العدل في الإسلام أعلى وأسمى من العدل في القانون الروماني أو أي قانون بشري آخر. وهو أيضا أكثر دقة وحذاقة من مفهوم العدالة في تأملات وأفكار الفلاسفة اليونانيين. فهو يبحث في الدوافع الباطنية للشيء على اعتبار أن الله يرانا وهو سبحانه وتعالى العالم بكل شيء والعالم بالأفعال والنوايا.

يطالب القرآن البشر بالوفاء بالأمانات بإعطاء كل شخص حقه والفصل بين الناس بنزاهة وعدل. ترتبط العدالة بمفهوم الأمانة؛ فيجب على الإنسان أن يكون مخلصا وصادقا. ووفقا للرازي وغيره من المعلقين، تشمل كلمة «الأمانات»، في صيغة الجمع، كل أنواع الأمانة التي يجب أن يتم الوفاء بها وأهمها ‹العدالة› وأنه لا ينبغي لأولئك الذين يتمتعون بالسلطة الفصل بين الناس وفقا لأهوائهم بل يجب عليهم الالتزام الصارم بالمدونة الأخلاقية الإسلامية.

كل شخص مسؤول ومُسائل عن أفعاله. فقد روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قوله:

«كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، (رواه البخاري ومسلم).

يُعد دور الانسان في مفهوم الوصاية أو الرعاية الذي يرتكز على مفهوم العدالة، في الواقع، السند والدعامة التي تربط الأسرة والمنظمات والمجتمع معا وتحولها إلى مجتمع واحد يعرف بالأمة. وجاء في القرآن الكريم ما يؤكد هذا بقوله عز وجل:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ»، (سورة المائدة، آية ٨).

العدالة في الإسلام هي مفهوم مقدس يجب على كل المؤمنين، والمجتمع بأكمله، التقيد بها على الرغم مما قد ينتج عنها من أضرار بمصالحنا الخاصة أو بمصالح أولئك المقربين إلينا والعزيزين علينا. فمفهوم العدالة في الإسلام أسمى بكثير من العدالة التوزيعية والتصحيحية، والعدالة الطبيعية والعدالة الرسمية أو أي قانون آخر من صنع الإنسان.

## معنى العدالة الاجتماعية

يتحدث أفلاطون في كتاباته عن العدالة الاجتماعية من حيث الخدمات والوظائف التي يؤديها الفرد تجاه الدولة. وبحسب هذه النظرية، عُرِّفت العدالة الاجتماعية في النظرية السياسية اليونانية على اعتبارها «مبدأ في المجتمع يتضمن مزيج من الناس الذين اجتمعوا بدافع الحاجة إلى بعضهم البعض بحيث شكل إتحادهم في مجتمع واحد وِحْدَة واحدة يمكن وصفها بأنها كاملة باعتبارها نتاج للعقل البشري».

في المقابل، لا تُعتبر الدولة، في الإسلام، إله ينبغي عبادته بل هي تنظيم اجتماعي يخضع للقانون الإلهي. فلا يجتمع الناس في المجتمع الإسلامي بدافع الحاجة إلى بعضهم البعض، بل يجتمع الناس في الإسلام كجماعة يهتم كل فرد فيها بالفرد الآخر كما يكون الفرد مسؤولا عن رعاية الجماعة. باختصار، يمكن تعريف العدالة الاجتماعية كما يلي:

١. معاملة الفرد (رجل أو امرأة) بعدالة وضمان حريته باعتبارها حق مكتسب بالولادة؛

٢. توفير فرص متساوية للإنسان لتطوير شخصيته بحيث يصبح كُفْء لمليء مكانه في المجتمع؛

٣. تنظيم علاقة الفرد بالمجتمع لمنفعة جميع أعضاء المجتمع.

يضع الإسلام مجموعة من المبادئ الأخلاقية الأساسية والإرشادية التي ينبغي على الإنسان إتباعها في تصرفاته كما دونها Izzi Dean (١٩٩٠) وFarouqi وآخرون (٢٠٠١). ونشهد في

القرن الحادي والعشرين معرفة اقتصادية جديدة وشراكات عالمية تقوم بإدارة الأعمال بطرق جديدة تتطلب مؤسسات اجتماعية وسياسية واقتصادية. ويشجع الإسلام البحث المستمر عن معرفة جديدة وتقدُّم وتنمية هذه المؤسسات لتلبية الحاجات الحالية.

توصف الأيدولوجية الإسلامية بأنها وسطية ما بين الرأسمالية والشيوعية. فهي تقف بحزم إلى جانب العدالة الاجتماعية من خلال جميع الأطر الوطنية بينما تكفل كرامة وحرية الفرد. إن مهمة المجتمع الإنساني هي الاستمرار بالتقدم في حدود أخلاقية ليضمن لنفسه تطور ثوري ضمن العدالة الكونية. وكما عبّر عنها Iqbal (١٩٣٤)، فالحياة عبارة عن عملية تحوّل تدريجية تتطلب قيام كل جيل بحل مشاكله بنفسه.

## حقوق المُلكية في الإسلام

يؤلف المسلمون خُمس سكان العالم بمجموع ١,٢ بليون مسلم يشكلون أغلبية السكان في ٥٧ دولة. وبحسب Sardar (١٩٨٧)، يجب إعادة النظر في المفاهيم الإسلامية وتحليلها لدعم دور الإسلام المؤمل في تنوير حضارة القرن الحادي والعشرين في جميع مجالات الحياة وذلك نظراً لما يحتويه من تنوع ثقافي في ظل هيمنة الافكار العلمانية .

يعتبر مفهوم الملكية المزدوجة بين الإنسان والله سبحانه وتعالى أحد أهم الصفات التي تميز النموذج الإسلامي كما دوّنها كلاً منNormani وRahnema (١٩٩٤) وAli (١٩٨٩)، وIshaq (١٩٨٣)، وKhalid (٢٠٠٢) وKhan (١٩٩٤). يحمي الإسلام الحق الشخصي في التملك وينظر اليه بوصفه حقاً مقدسا. حتى الآن، تُعتبر الملكية البشرية من منظور إسلامي مسألة وصاية بحيث يكون للإنسان سلطة مؤقتة في الاستفادة من الممتلكات. يصور إطار حقوق الملكية الإسلامية الأرض كأمانة مقدسة كما يعزز المُلكية الفردية ضمن ضوابط. ويناقش هذا الجزء الأحكام الإسلامية الخاصة بحقوق الأراضي التي تدعم المبادرات المتعلقة بحقوق الأراضي في المجتمعات الإسلامية وتنعكس على التنمية المستدامة والحوكمة. في الرؤية الإسلامية، تعتبر علاقات الملكية علاقات اجتماعية تسمى في الشريعة الإسلامية بالمعاملات (خلافاً للعبادات). كما أن مفاهيم الشورى والعدالة راسخة في الوعي الإسلامي والحكم.

يـُجمِع كافة علماء المسلمين على أن حقوق الملكية هي واحدة من الأركان الأساسية الخمسة للشريعة الإسلامية التي يجب حمايتها. كما أكد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) على أهمية حقوق الملكية في حجة الوداع عندما أعلن بأن: «ولا يَحِلُّ لأمرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه».

إن حقوق الملكية الخاصة راسخة في الإسلام وهي مبنية بإعتبارها أمانة مقدسة وذلك إستناداً إلى مبدأ التوحيد والخلافة والأمانة. كما يحق للبشر استعمال الممتلكات والأراضي بشكل مؤقت فهي أمانة من الله سبحانه وتعالى المالك والحافظ.

يُشترط في حقوق الملكية في الإسلام أن لا يتم استخدام الملكية بإسراف أو بطريقة تحرم الآخرين من حقوقهم في الملكية وذلك كما ناقشها Forni (٢٠٠٥). ويُلزِم القرآن الجميع باحترام حقوق الملكية لكافة الأشخاص بغض النظر عن العقيدة الدينية. فيتمتع جميع أعضاء المجتمع؛ المسلمون وغير المسلمون، بحقوق الملكية ذاتها. وتقترن الملكية الإلهية بإشارات قرآنية بأن من حق البشرية جمعاء الاستفادة من الموارد الطبيعة. وتتمتع الدولة بحق «مُلكية» الأراضي بإسم الله سبحانه وتعالى وهي ملكية مشروطة بمنفعة المجتمع. وتشمل حقوق الملكية في الإسلام على عنصر إعادة التوزيع الذي يتجلى في مؤسسات مثل الهبات (الأوقاف) والصدقة (الزكاة). وتُظهر مراجعة تاريخ المجتمع المدني التقليدي أن مؤسسات مثل صناديق الأوقاف هي عناصر رئيسية للمسؤولية الاجتماعية التي ساهمت في دعم المؤسسات العامة والبنية الأساسية والتنمية الاجتماعية والصحة العامة وتوفير المياه والحماية والتعليم وذلك كما وثقه AlJayyousi (٢٠٠٧، ٢٠٠٨).

يمكن فهم مبادئ إدارة الأراضي كما استُمِدّت من الشريعة الإسلامية من منظور المصلحة
يمكن فهم مبادئ إدارة الأراضي كما استُمِدّت من الشريعة الإسلامية من منظور المصلحة العامة؛ فحماية مصالح الملكية، كجزء من ضروريات النظام الإسلامي، مرهونة بالمصلحة العامة باعتبارها مسألة ذات أولوية. ويشجع الإسلام على التنمية ذات النطاق المحلي والتي محورها الإنسان وتعود بالفائدة على المجتمعات المحلية. لذا، فالتحديات البيئية نتجت عن نموذج التنمية الغربية الحالي المستند إلى آلية السوق. على سبيل المثال؛ إن تغيّر المناخ والتلوث والتحضر والإفراط في استخدام الموارد كل هذه التحديات تشكل عائقا للتنمية المستدامة؛ ولذلك نشأت الحاجة الى تطوير نموذج جديد للتنمية. ومن ثم، تمت الدعوة إلى نماذج تنمية بديلة تتصف باللامركزية والنطاق المحدود والتي من شأنها أن تعود بالفائدة على الفقراء وذلك كما دعا إليها كل من Younis(٢٠٠٨) و Korten(١٩٩٥، ٢٠٠٩).

ينظر القرآن الكريم إلى كل شيء خُلق على الأرض بإعتباره نعمة من الله سبحانه وتعالى للجنس البشري يتم التصرف به بعناية بإعتباره أمانة. كما وضعت الشريعة الإسلامية مجموعة من السياسات والمناهج والمبادئ التوجيهية التي من شأنها أن تعزز الاستدامة مثل الحِمى وإحياء الأرض الموات والوقف. وهناك عدد كبير من المؤسسات والآليات التي تهدف إلى تعزيز حماية البيئة.

وخلافا للنظرية الإسلامية الكلاسيكية التي تنص على أن جميع الأراضي أمانة لصالح كل المجتمع، تم شراء حقوق المياه على الأراضي للأفراد وبيعها خلال الفترة العثمانية، ويستمر هذا الوضع حتى يومنا هذا.

يتضمن مفهوم حقوق الملكية في الاقتصاديات الإسلامية آثاراً تمتد إلى ما هو أبعد من المجال المادي إذ أنها تشدد على مبدأ المسؤولية والتخفيف من حدة الفقر وإعادة التوزيع. كما وتؤيد المذاهب الإسلامية حق الحصول على حقوق ملكية الأراضي لمجموعة واسعة من المنتفعين بها بما في ذلك النساء والأطفال والذين لا يملكون أرضا والأقليات. ويُعتبر تأكيد الإسلام على واجبات الإحسان والعدل والحد من الفقر ذا تأثير واضح في مجال حقوق ملكية الأراضي وذلك إستناداً إلى مدونة حقوق أراضي تتصف بأنها شمولية وأصيلة ومعنوية وأخلاقية وقانونية.

يُنظر إلى الدولة وفقاً للنظرية الإسلامية على إعتبارها المشرف على إدارة الأراضي التي تعود ملكيتها في النهاية إلى الله سبحانه وتعالى. وهكذا، تكلف الدولة بإدارة الأراضي بكفاءة وعدل وفقا لقوانين الله سبحانه وتعالى والمبادئ الأخلاقية والمعنوية لله. ويعطي الإطار الإسلامي للدول مساحة واسعة لتعزيز أمن ملكية الأراضي والحصول عليها.

يَعتبر المسلمون الإسلام ذو نظرة كونية وشمولية وأنه طريقة ومنهج حياة. وتجدر الإشارة إلى أن المبادئ والممارسات الإسلامية المتعلقة بالأراضي تعمل بموازاة– في مجالات متعددة- القوانين والقواعد والمعايير الدولية المعاصرة أو تتشابه معها. وهذا يعني بأن الرؤى الكونية الإسلامية أتت برؤية جديدة وبديلة لوجهات النظر الغربية. على الرغم من أن تطبيق الرؤى الإسلامية في مجال التمويل والسياسة الاجتماعية محدود، إلاّ أن هناك مجموعة من المبادئ الإسلامية والآليات والعمليات التي من شأنها أن توفر حلولاً لحضارة بشرية مستدامة.

**النموذج الإسلامي: مقارنة مع وجهات نظر عالمية أخرى**

يطرح الإسلام نظرة جديدة لحياة توصف بأنها هادفة وعقلانية وتكيّفيّة ومرنة كما عبر عنها Al-Jayyousi (٢٠٠٧، ٢٠٠٨). ووضعت Hammoudeh (٢٠١١) نموذجاً أُطلق عليه إسم «نظرية I» يؤكد على مفاهيم العدالة والوحدة والتميز. يعتبر تحول نموذج التنمية الحالي إلى نموذج قادر على تضمين البعد الثقافي أمراً أساسياً لمواجهة ومعالجة التحديات العالمية من خلال تشجيع الحلول المحلية كما أشار اليه Abouleish (٢٠٠٥) وLessem وآخرون (١٩٩٧، ١٩٩٩). وتؤكد الرؤية الإسلامية على الأسس الأخلاقية للنظام الاجتماعي الاقتصادي وعلى موائمة الجانب المادي للنظام مع

الجانب الروحاني له. وينشأ عن مفهوم توحيد الله مفهوم التوحيد والأخوَّة الإنسانية. وبُنيت أسس العقيدة الإسلامية على العدل والسببية والتعاطف والإيمان.

يأتي الإسلام برؤية متوازنة فيما يتعلق بحق الملكية بالمقارنة مع كل من الرأسمالية والشيوعية. يعد حافز الربح في النظام الرأسمالي دافعا أساسيا إلى جانب الحق المطلق في الملكية الخاصة. وتقوم المبادئ والدوافع الأساسية في المذهب الرأسمالي على فكرة الربح سعياً لتحقيق الرفاهية بغض النظر عن العواقب الاجتماعية. ويقال بأن الرأسمالية - إلى حد ما - هي مؤسسة عديمة الحيوية قائمة على دافع الربح والنمو كمحرك أساسي وتفتقر إلى دافع حقيقي لتحقيق العدالة الاجتماعية.

في الطرف الآخر، تقف الشيوعية التي تأخذ بالرأي القائل بأن الملكية الخاصة هي مصدر لجميع أنواع الاستغلال. وبالتالي تقضي الشيوعية على الملكية الخاصة لأدوات الإنتاج بحيث تصبح جميعها مُلكاً للدولة. وفي مجتمع منظم كهذا، يصبح الأفراد مجرد أدوات لعملية تخطيط. لذلك يفتقد الفرد هويته الشخصية وقدرته على الابتكار. ومع ذلك، وعلى مدى عقود من الزمن، تطورت الرأسمالية وتم تكييفها لتصبح قابلة للتطبيق وأكثر قبولا، ساعيةً لتحقيق التوازن بين دَور الأسواق والحكومات. وعلّق Rodinson (١٩٧٣) بأننا نعيش الآن في عالم من رأسمالية متعددة مختلطة مع وجود إهتمام كبير بتنظيم الدولة والضمان الإجتماعي والإستثمار في التعليم والإسكان والشعب. وهو ما أُطلق عليه مفهوم «رأس المال الاجتماعي». تتبنى معظم البلدان الرأسمالية وجهة النظر الداعمة لدور الدولة في تشجيع النمو الاقتصادي وتوفير الرفاهية للشعب.

تتفق الرأسمالية الحديثة بتشديدها على حرية الإنسان والرعاية الاجتماعية مع الأيديولوجية الاقتصادية الإسلامية. فيعترف الإسلام بالمبادرة الفردية والحق في الملكية الشخصية والتنوع في القدرات البشرية ومن ثم الفروق في الدخل والملكية. وقام الإسلام بإضفاء الطابع المؤسسي على الضمان الاجتماعي من خلال الجمعيات الخيرية والزكاة والوقف وذلك لمعالجة أوجه التفاوت في الدخل والملكية بين الفقراء والأغنياء. ومع ذلك، تخضع جميع الملكيات الخاصة لمسؤولية أخلاقية تجاه المجتمع ككل. وبالتالي يُعتبر حق الملكية مجرد أمانة ينبغي أن يُمارس في إطار وظيفته الاجتماعية. فلا يؤيد الإسلام اكتناز الثروة بل يشجع على استخدامها بصورة إنتاجية. ولا يسمح بالاستغلال المفرط من دون مبرر أو البذخ والإسراف للتباهي. بل شجع الإسلام على الزُهد في العيش والدفع الفوري للأجور العادلة والإنفاق على الأعمال الخيرية.

ينص الإسلام على عدم إغفال الأفراد للعيش الجيد في العالم. فيجب على كل فرد العمل الشاق وكسب ما يمكن كسبه عن طريق الوسائل المشروعة والعادلة. كما عليه الوفاء بالتزاماته

تجاه المجتمع. وعلى الفرد الامتناع عن فعل الآثام التي تشمل الإثراء الشخصي غير المبرَّر والتعاملات غير العادلة والاحتيال والباطل والفساد. ولا يجب تبديد الثروة والملكية لتحقيق متعة شخصية بحتة. بدلاً من ذلك، يجب زيادة هذه الثروة والملكية من خلال الاستخدام الاقتصادي لهما كما هو الحال من خلال الإقدام على التجارة بتراضي الطرفين وليس من خلال القيام باستغلال الأمم الأخرى وشن الحروب من أجل السيطرة على الموارد. وفرَض الإسلام قواعد أخلاقية يجب إتباعاها في تملك الممتلكات والكسب والإنفاق. فالربا محرَّم والإسراف منكر والاعتدال مفروض.

تتجلى روح الجماعة الإسلامية في هذا المجال بأفضل طريقة من خلال ما يأمر به القرآن الكريم بعدم احتكار الثروة بين الأغنياء فقط. فمن خلال الإطار الإسلامي، يُنظر إلى الحق في حيازة الممتلكات باعتباره وصاية تقوم بها الدول والأفراد بحيث يتم ممارسة هذا الحق في إطار وظيفته الاجتماعية ويكون خاضعاً لمسؤولية أخلاقية تجاه المجتمع ككل.

### الإسلام كرؤية كونية عالمية: مبادئ عامة

الإسلام هو دين عالمي منطقي، بسيط وسهل الفهم يقوم على ثلاثة مبادئ أساسية وهي؛ التوحيد والخلافة والعدالة. لا تحدد هذه المبادئ النظرة الإسلامية فحسب، بل تُكوِّن أيضا مقاصد الشريعة الإسلامية على النحو المبين من قبل Chapra (١٩٧٠، ١٩٩٢، ٢٠٠٨). وفيما يلي لمحة عامة عن معنى وأهمية هذه المبادئ الأساسية الثلاثة اعتمادا على عمل Chapra (١٩٩٢).

### التوحيد (الوحدانية)

التوحيد هو أساس العقيدة الإسلامية، وينبثق كل شيء آخر منطقيا من فكرة التوحيد. وهو ما يعني أن الكون قد تم تصميمه وخلقه، الذي هو واحد وفريد من نوعه. ولم يأت الكون إلى حيز الوجود عن طريق صدفة أو حادث؛ قال الله تعالى: «رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا» (سورة آل عمران، آية ١٩١)، «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا» (سورة ص، آية ٢٧)، «ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ» (سورة المؤمنون، آية ١٥)،»أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا»( سورة المؤمنون، آية ١١٥). كل شيء خلقه الله له هدف يعطي معنى ومغزى لوجود الكون؛ والذي يعتبر الإنسان جزء منه. بعد خلق الكون، ويدبر الله شؤون الكون. قال الله تعالى: «إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ» (سورة يونس، آية ٣)، «يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ» (سورة السجدة، آية ٥)، ويَعْلم الله تعالى كل شيء ويحيط علمه بكل

شئ؛ قال الله تعالى: «يَـبُنَىَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّة مِّنْ خَرْدَل فَتَكُن فِي صَخْرَة أَوْ فِى السَّمَـوَتِ أَو فِى الأرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ» (سورة لقمان، آية ١٦)، «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» (سورة الملك، آية ١٤).

**الخلافة**

مُنح الإنسان مجموعة من الخصائص الروحية والعقلية، بالإضافة إلى الموارد المادية، التي تمكّنه من أداء مهمته كخليفة على الأرض والارتقاء إلى مستوى هذه المهمة والقيام بها بشكل فعال. وفي هذا السياق، قال الله سبحانه وتعالى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً» (سورة البقرة، آية ٣٠)، «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ» (سورة الأنعام، آية ١٦٥)، «هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ» (سورة فاطر، آية ٣٩)، «أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ»(سورة ص، آية ٢٨)، «آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ» (سورة الحديد، آية ٧). ويعتبر الإنسان حراً عند قيامه باختصاصاته الممنوحة اليه ضمن إطار مهمّته كخليفة على الأرض. فهو قادر على التفكير والأخذ بالأسباب وله أن يختار بين الحق والباطل وبين العدل والظلم كما له الحق في تغيير ظروف حياته ومجتمعه وتغيير مسار التاريخ إذا رغب في ذلك. فالإنسان بفطرته طيّب ونبيل، وقادر على الحفاظ على طيبته ونبله والارتقاء إلى مستوى التحديات التي تواجهه إذا تلقى التعليم والتوجيه المناسبين وتم تحفيزه بشكل صحيح. وبما أن الإنسان طيب بحكم طبيعته فسيشعر بالسعادة وبرضا الذات طالما بقي على طبيعته الداخلية أو كلما اقترب منها، وسوف يشعر بالتعاسة والبؤس إذا ما انحرف أو ابتعد عنها.

منح الله سبحانه وتعالى العالم موارد غير محدودة. وتكفي هذه الموارد لتلبية احتياجات الجميع وتحقيق الرفاه لهم إذا ما تم استخدامها بكفاءة وإنصاف. فالإنسان حر في الاختيار بين الاستخدامات البديلة لتلك الموارد. ومع ذلك، لم تُمنح مهمة الخلافة لفرد واحد فهناك الملايين من البشر غيره وهم أيضا خلفاء مثله، وهم إخوته ومتساوون معه. وواحد من الاختبارات الحقيقية لكل فرد هي قدرته على استخدام الموارد التي وهبها الله له بطريقة فعالة ومُنصفة تضمن الرفاهية والرخاء والفلاح للجميع.

تُعتبر مفاهيم التوحيد والخلافة بطبيعتها متناقضة مع مفاهيم «أن الانسان قد وُلد آثم». كما يتناقض مفهوم الخطيئة الأصلية ،أيضا، مع صفات الله الرحمن الرحيم. وسيكون من المستحيل لله تعالى أن يفعل ذلك؛ فهو المُحب والمُتسامح ويحمل جميع الصفات الحسنة التي يمكن تصورها. قال الله تعالى: «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ» (سورة الأعراف، آية ١٨٠).

لدى الإسلام وجهة نظر مختلفة لفهم سلوك البشر وتاريخهم. وتحدد وجهة النظر الغربية حياة الإنسان من خلال قوى التاريخ المادية (Marx) أو تعتبرها مشروطة بتأثيرات نفسية (Freud) وغريزية (Lorenz) وبيئية (Pavlov, Watson , Skinner). وهذا يؤدي إلى الفكرة التي تبناها Skinner عندما قال بأن «الحرية الفردية هي خرافة». لا يمكن التوفيق بين الحتمية ومسؤولية الإنسان. فالحتمية تلغي مسؤولية الإنسان عن الظروف السائدة وعن التوزيع غير الفعال وغير العادل للموارد.

وعلى الطرف الآخر للحتمية، تقف وجودية Sartre التي تَدَّعي بأن الله غير موجود وأن الإنسان قُدِّر له أن يكون حرا وليس هناك حد لحريته، إلا أنه ليس حُرا في إنهاء حريته. ويقول Sartre بأن هذا الحرية هي حرية مُطلقة - فكل شيء مباح. ولا يوجد أي معنى أو هدف في حياة الإنسان، ولا يوجد أي قِيم هادفة ومُحفِّزة للبشر ولا لقوانين الله. فالبشر مهجورون في هذا العالم وعليهم الاعتناء بأنفسهم. والأساس الوحيد للقيم هو حرية الإنسان ولا يمكن أن يكون هناك أي مُبرِّر خارجي أو موضوعي للقيم التي يتبناها أي شخص. يمكن أن يؤدي مثل هذا المفهوم للحرية المطلقة إلى مفاهيم الرأسمالية للحرية في جميع أوجه النشاطات الانسانية.

تتناقض النظرة الإسلامية بشكل حاد مع هذه الأفكار، ويَرْفَع مفهوم الخلافة البشر إلى مرتبة شريفة وكريمة في الكون، ويُقدِّم لحياة الإنسان، رجل أو امرأة، معنى ومهمة. فقد قال الله تعالى «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى ءَآدَمَ وَحَمَلْنَهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنهُم مِّنَ الطَّيِّبَـتِ وَفَضَّلْنَـهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا» (سورة الإسراء، آية ٧٠). والدليل على وجود معنى لحياة الإنسان قوله تعالى بأنه لم يَخْلق الإنسان عبثا بل خلقه لإنجاز مهمة «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ» (سورة المؤمنون، آية ١١٥). ومهمة الإنسان هي العمل وفقاً للتعاليم الإلهية على الرغم من كونه حرا. ويتم تطبيق ذلك حسب المفهوم الإسلامي من خلال العبادة؛ قال الله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (سورة الذاريات، آية ٥٦)، وهي ضرورة حتمية لا يجب انتهاك حُرمتها، ومنها وفاء الفرد بالتزاماته تجاه غيره من البشر (حقوق العباد) وذلك لتعزيز رفاهيتهم وتفعيل المقاصد. لا عجب أن الإسلام، مثله كمثل بعض الأديان العظيمة الأخرى، يركز على الواجبات أكثر من تركيزه على الحقوق. والحكمة الأساسية من وراء ذلك هي أنه إذا استُوفيت الواجبات من قبل الجميع تتحقق المصلحة الذاتية تلقائيا ضمن حدود، وبالتالي تصبح حقوق الجميع محمية دون شك.

يتطلب النجاح في هذه المهمة السمو الروحي من خلال الإلتزام الكامل لتوجيهات الخالق؛

الله الحكيم والعدل والكريم والودود. يجب على البشر الخضوع لله وحده، ولقيمه وحدها، وعليهم القيام بالمهمة التي أوكلها الله لهم. فهم مسؤولون أمامه عن أعمالهم في هذا العالم. ومع ذلك، هم مسؤولون عن تصرفاتهم الخاصة وليس عن تصرفات الآخرين، سواء كانت من الماضي أو الحاضر، إلا بالقَدر الذي كانوا هم أنفسهم مسؤولون عنها؛ قال الله تعالى: «وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» (سورة الأنعام، آية ١٦٤)، و«مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» (سورة الإسراء، آية ١٥)، و«وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ» (سورة فاطر، آية ١٨). على الرغم من ذلك، قدَّر الله تعالى للإنسان أن يموت، ولكن لا تقتصر حياته على هذا العالم وحده، فهذا العالم هو مكان للتجربة والاختبار، وبالتالي فهذا العالم مؤقت. قال الله تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُوْرَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (سورة آل عمران، آية ١٨٥)، و«أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ» (سورة النساء، آية ٧٨)، و«كُلُّ نَفْسٍ ذائقَةُ الْمَوْت ثُمَّ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ» (سورة العنكبوت، آية ٥٧). فالمرجع الحقيقي للإنسان هو الحياة الآخرة، فهناك يُكافأ الإنسان أو يُعاقب وفقا للطريقة التي قام بها بمسؤولياته في هذا العالم. فلا يمكن أبدا للإنسان أن ينجح بالتهرب من المُساءلة أمام الله سبحانه وتعالى. وبالتالي، فإن حياته ليست متجهة إلى الانقراض في حالة انتهاء النظام الشمسي، ولن تُدفن كافة إنجازاته تحت أنقاض الكون المنهدم كما توقع ذلك Bertrand Russell وفق نظرته المتشائمة.

لمفهوم الخلافة عدد من الآثار أو البديهيات التي حددها Chapra (١٩٧٠، ١٩٩٢، ٢٠٠٨) وذلك على النحو المبين أدناه.

**الأخوة العالمية**

تعني الخلافة الوِحدة والأخوَّة الأساسية بين البشر. إن الناس جميعا خلفاء على الأرض ولا يقوم بهذه المهمة شخص واحد متميز أو أفرادا من عرق أو جماعة أو بلد معين. مما يجعل المساواة الاجتماعية والكرامة لجميع البشر، بيضا كانوا أو سودا، أغنياء أو فقراء، عنصرا أساسيا للإيمان في الاسلام. كما لم يحدد قيمة الإنسان وفقاً للعرق أو العائلة أو الثروة بل وفقاً لإيمانه وخدمته للإنسانية.

وضمن إطار هذا المفهوم من الأخوة، لا يكون الموقف الصحيح تجاه باقي البشر «القوة هي الحق» أو الصراع لتحقيق «المصلحة الذاتية» أو «البقاء للأصلح»، ولكن التضحية المتبادلة والتعاون لتلبية الاحتياجات الأساسية للجميع ولتطوير الإمكانيات البشرية كاملة ولإثراء حياة الإنسان. إن تشجيع المنافسة ضمن الحدود المعقولة يرفع الكفاءة ويساعد على تعزيز رفاهية الإنسان.

**الموارد أمانة**

سَخَّر الله سبحانه وتعالى جميع الموارد لتكون تحت تصرف البشر، وبالتالي لا يُعتبر الإنسان صاحبها الأساسي بل يُعتبر خليفة عليها. فهو مجرد أمين عليها. وبالرغم من أن هذا الأمانة لا تعني «نفي للملكية الخاصة» إلا أنها تحمل عددا من الآثار الهامة جدا التي تخلق فرقا ثوريا في مفهوم الملكية الخاصة للموارد والنظم الاقتصادية الأخرى في الإسلام.

أولا، الموارد هي لمصلحة الجميع وليس لعدد قليل فقط، قال الله تعالى: «هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً» (سورة البقرة، آية ٢٩). فيجب أن تُستَخدم هذه الموارد بشكل منصف لتحقيق رفاهية الجميع. ثانيا، يجب أن يحصل الجميع على حقه من الموارد بالطريقة التي أشار إليها القرآن الكريم والسنة النبوية. والتصرف خلافاً لذلك يشكل إنتهاكا لشروط الخلافة. ثالثا، لا يجب استهلاك هذه الموارد المُكتسبة إلاّ وفقا لشروط الأمانة، وتتضمن هذه الشروط تحقيق المصلحة للمجتمع ككل وليس لفرد بعينه أو أسرته فقط.

رابعا، لا يجوز لأحد تدمير أو إضاعة الموارد. وقد ساوى القرآن الكريم القيام بذلك بنشر الفساد الذي يمقته الله، فقد قال الله تعالى: «وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ» (سورة البقرة، آية ٢٠٥). ووفقا لذلك، عندما أرسل أبو بكر، رضي الله عنه، الخليفة الأول، يزيد بن أبي سفيان، في مهمة حرب نهاه عن القتل دون تمييز أو تدمير النبات أو الحيوان حتى في أراضي العدو. وبما أنه لم يسمح بذلك حتى في الحرب أو في إقليم آخر، فإنه، بدون شك، لا يسمح بذلك في زمن السلم أو في أرض الوطن.

**نمط الحياة المتواضع «الزُهد»**

إن نمط الحياة الوحيد الذي يناسب خِلافة الله على الأرض هو النمط المتواضع الذي لا يعكس الغطرسة والعظمة. لأن مِثل هذه الأنماط من الحياة - الغطرسة والعظمة- من شأنها أن تؤدي إلى الإسراف والتبذير وتُسفِر عن ضغط لا حاجة له على الموارد، وتَحُد من قدرة المجتمع على تلبية إحتياجات الجميع. كما أنها تعزز طرق غير أخلاقية من الكسب وتُولِّد تفاوتات في الدخل بعيداً عن التوزيع الطبيعي المبرر من خلال أوجه الاختلاف في المهارة والمبادرة والجهد والمخاطرة. كما أنها تؤدي إلى تآكل شعور المساواة وتضعف أواصر الأخوة التي هي سمة أساسية في المجتمع الاسلامي (الأمة). بما أن البشر هم خلفاء الله، فهم خاضعون لعبادته هو وحده. لذلك، يعتبر أي نوع من العبودية، بغض النظر عمَّا إذا كانت إجتماعية أو سياسية أو اقتصاديه غريبة عن تعاليم الإسلام.

يبين القرآن أن أحد الأهداف الأساسية للإسلام هو تحرير البشرية من الأعباء والقيود التي فُرضت عليها. قال الله تعالى: «وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ» (سورة الأعراف، آية ١٥٧).

ووفقا لذلك، لا أحد، ولا حتى الدولة نفسها، له الحق في إلغاء هذه الحرية وإخضاع حياة الإنسان إلى أي نوع من القيود. هذا هو التعليم الذي دفع عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، الخليفة الثاني للمسلمين، إلى أن يسأل: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟»

ولكن هذا لا يعني أن البشر هم أحرار لفعل أي شيء يريدونه؛ فهم خاضعون لأحكام الشريعة الإسلامية التي تهدف إلى تحقيق الرفاهية والإنسجام بين البشر والطبيعة. ولكنهم أحراراً فقط ضمن حدود المسؤولية الاجتماعية على النحو الذي حددته الشريعة الإسلامية. فأي نظام يُخضع البشر للعبودية أو يعطيهم حرية لا مبرر لها تتجاوز القيود المفروضة من قبل الخالق نفسه والمبينة من خلال الشريعة الإسلامية، هو في صراع مع الكرامة والمساءلة التي تتجسد في مفهوم الخلافة ولا يستطيع المساهمة في تحقيق الرفاهية لجميع البشر.

**العدالة**

تبقى الأخوة الإنسانية في جميع أنحاء العالم، بغض النظر عن الإيمان الذي يعتبر جزءاً لا يتجزأ من مفاهيم التوحيد والخلافة، مفهوما أجوفا لا يحتوي أي معنى إذا لم تصاحبه العدالة الاجتماعية والاقتصادية. وقد أقيمت العدالة من قبل الفقهاء لتكون عنصرا لا غنى عنه على الاطلاق لمقاصد الشريعة، بحيث يستحيل تصور مجتمع إسلامي مثالي خالي من العدالة. إن الإسلام واضح جدا في هدفه المتمثل في القضاء على كل آثار «الظلم» في المجتمع البشري. والظلم هو مصطلح إسلامي شامل يشير إلى كل أشكال عدم المساواة والاستغلال والقهر، بحيث يَحرِم المرء غيره من حقوقهم أو لا يفي بالتزاماته تجاههم.

لقد أكد القرآن الكريم أيضا على تحقيق العدالة والقضاء على جميع أشكال الظلم كمهمة أساسية لرُسل الله جميعا، ويتمثل ذلك في قوله تعالى: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ»(الحديد، آية ٢٥). هناك ما لا يقل عن مئة تعبير مختلف في القرآن الكريم لتجسيد مفهوم العدالة إما بطريقة مباشرة، وذلك بإستخدام كلمات مثل «العدل» و«القِسط» و«الميزان»، أو من خلال مجموعة متنوعة من التعبيرات غير المباشرة. وفي الواقع، يضع القرآن الكريم العدالة بمنزلة قريبة من التقوى من حيث أهميتها في العقيدة الإسلامية؛ قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا

اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» (سورة المائدة، آية ٨). التقوى هي بطبيعة الحال أهم لأنها بمثابة نقطة انطلاق لجميع الإجراءات الشرعية، بما في ذلك العدالة. وقد أكد النبي محمد، عليه الصلاة والسلام، على ذلك وساوى عليه الصلاة والسلام بين غياب العدالة و»الظلام المطلق»وحذّر قائلاً» إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». و لا عجب أن أكد ابن تيمية على ذلك بقوله: «الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة. والدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام».

**السعي لتحقيق السعادة والحياة الطيبة**

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ» (سورة الأنفال، آية ٤٢)

من المهم جدا أن تتبنى البلدان الإسلامية نموذجاً يُجسد الرؤية الإسلامية للنجاح (الفلاح) والحياة الطيبة. يعتمد هذا النموذج، كما بين Chapra (١٩٧٠، ١٩٩٢، ٢٠٠٨)، على كل من الرقي الأخلاقي والعدالة الاجتماعية والاقتصادية. ومع ذلك، لا سيما بعد الحقبة الاستعمارية، لا تزال العديد من البلدان الإسلامية مقيَّدة بالديون والفقر بسبب تبنيها للأنظمة الرأسمالية والإشتراكية. ويتجلى التناقض في الثروة من خلال حقيقة أن البلدان الغنية ليست أكثر سعادة من البلدان الأكثر فقرا كما يزعم Korten (١٩٩٥).

ويُعزى هذا التناقض المتمثل بوجود الفقر مع الثروة في ظل النموذج الغربي إلى الوهم الذي تُروِّج له وسائل الإعلام والذي ينقل رسالة قائلة بأن السعادة ناتجة عن الإستحواذ المادي وتراكم الثروات. في حين إن السعادة في الإسلام هي انعكاس للنفس المطمئنة وهو أمر يمكن تحقيقه إذا كانت حياة الفرد في تجانس مع الطبيعة المحيطة به. ويحدث هذا عند إرضاء كلا من الحاجة الروحية والمادية بشكل متوازن. وبما أن الحاجة الروحية والمادية وِحدة واحدة وليست منفصلة، فإن الرضا المطلوب يحدث فقط عندما يمتزج البعد الروحي بجميع المساعي المادية لمنحها معنى وهدف.

ومن المحتمل عدم تلبية احتياجات جميع أفراد المجتمع إذا لم يتم التخلص من جميع الاستخدامات المُسرِفة وغير الضرورية للموارد أو التقليل من ذلك. كما يتطلب ذلك القيام بإصلاح جميع المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية التي تعزز عدم المساواة. ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا أخذ الأفراد بعين الإعتبار اختياراتهم الفردية الخاصة وقدراتهم المالية. لذلك، يحتاج كل فرد إلى أن يدرك الأولويات الاجتماعية في استخدام الموارد وإلى أن يكون متحفزاً للتصرف وفقا لهذه الأولويات.

يحتاج البشر إلى الإهتمام بتحقيق رفاهية الآخرين من خلال سعيهم لتحقيق الرفاهية الخاص بهم. ولتحقيق مثل هذا الانضباط، لن يكون هناك مُحفز أكثر ملاءمة من نظام أخلاقي قدَّمه خالق الكون، ومرتبط بالمساءلة أمام الله.

وضمن هذا الإطار من الانضباط، لا تحظى الممتلكات المادية بذاتها بأي قيمة. فهي تكون ذات قيمة إذا حققت الهدف الذي وُجدت من أجله وذلك كما تم تعريفه من قبل نظام القيم. ويؤدي مثل هذا الموقف إلى ضبط النفس الطوعي في استخدام الموارد النادرة، مما يُقلل من الاستهلاك غير الضروري والإفراط في استغلال الموارد. يُساعد هذا النظام الأخلاقي على تلبية احتياجات الجميع من خلال العيش بزهد، والإدراك بأننا نستطيع تحقيق الرخاء بدون نمو. ويؤدي هذا بدوره إلى التماسك الاجتماعي والتضامن بحيث يشعر جميع أفراد المجتمع بالقوة والتمكن عن طريق الانتماء للمجتمع وليس عن طريق ممتلكاتهم المادية.

وفي غياب البعد الأخلاقي، تصبح الممتلكات المادية غاية في حد ذاتها. وبالتالي، لن يبقى الرضا الذاتي هدفاً لإشباع الحاجة ولكن أكثر من ذلك بكثير، بحيث يشجع على المنافسة مع الآخرين ويخلق الاستهلاك المنافي للعقل رضاً مؤقتاً فقط دون أي معنى وهدف للحياة؛ وهذا نراه في عالم الموضة والأزياء والافلام الهابطة. الجميع مشغولون بإستمرار بالحصول على الموارد اللازمة تاركين القليل من الوقت للوفاء بالتزاماتهم تجاه الأسرة والمجتمع.

تؤدي الضغوط المفروضة على الفرد للتوسع الى ما هو أبعد من قدراته إلى المعاناة الإنسانية. وأصبحت الآلة الإنتاجية برمتها موجهة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة نحو تلبية أكبر قدر ممكن من الحاجات. وعندما يُروِّج النظام المصرفي إلى الإقراض السهل، يصبح من الممكن للناس العيش خارج حدود الوسائل التي يملكونها. وبالتالي تتضاعف المطالب على الموارد وتزداد الاختلالات ويتخلف أولئك الذين لن يستطيعوا مواكبة ذلك الصراع. مما يؤدي إلى عدم الرضا وإيجاد التوترات الاجتماعية وعزلة الإنسان.

يتطلب إدراك المقاصد من القوانين تحديد الأولويات المختلفة. وهذا يشمل إدراك أن السلع العامة بحاجة إلى أن تكون مُشتركة بطريقة مُنصفة وذلك لتحقيق المصلحة العامة من خلال خطط نزيهة كما سيتم توضيحه في القسم التالي. وهذا يعني أن على جميع الدول المتشاطئة، أو تلك التي لها حدود مائية مشتركة، أن تقوم بصياغة عقد اجتماعي يحترم احتياجات الجميع. وسيتم توضيح مفهوم الإنصاف والاستدامة في المربع أدناه من خلال النظر في توزيع مياه نهر النيل على النحو الموجز عن أعمال Allan (٢٠٠٠).

**دراسة الحالة: حوض مياه النيل - ما هي صفقة المياه العادلة؟**
**(مقتبس من Allan ، ٢٠٠٠).**

نهر النيل من الأنهار المهمة في الشرق الأوسط على الرغم من أن جميع مياهه تأتي من أفريقيا المدارية و الاستوائية. و تشكل الدول العشر الواقعة على حوض نهر النيل حوالي ٢٩ في المائة من القارة الأفريقية. في حين تشكل الدول المدارية و الاستوائية التي تقع جنوب حوض النهر أكثر من ٥٠ في المائة من الحوض. و تتمتع القطاعات الرطبة من الحوض بمتوسط هطول سنوي للأمطار يقدر بأكثر من ١٠٠٠ ملم. أما النصف القاحل من الحوض فلا يحصل على هطول مفيد للأمطار حيث يتراوح التبخر المحتمل على عمق مترين إلى ثلاثة أمتار سنويا. مما يجعل نهر النيل أحد أكبر الأنهار عالمياً من حيث الطول ولكن يعتبر معدل حجم مياهه قليل مقارنة بطوله و مساحة حوضه. تمت السيطرة بشكل كبير على النيل السفلي من خلال الأعمال الجديدة في أسوان فقط في العام ١٩٠٦. و أتاحت هذه الأعمال تأمين ما يقارب ٣٠ كيلومتر مكعب من المياه في السنة كحد أدنى بحلول عام ١٩٣٠ مما أدى إلى مضاعفة محصول ما يقارب ٨٠ في المائة من أراضي مصر المروية. وأدت الأعمال على النيل الأزرق في السودان في العام ١٩٢٥ إلى توفير ما يكفي من المياه لري مشروع الجزيرة في جنوب الخرطوم- بلغت مساحته في البداية مليون فدان (٤٠٠ ,٠٠٠ هكتار) ثم توسع في الستينيات من القرن العشرين لتصل مساحته إلى ٨٠٠, ٠٠٠ هكتار. ازدادت نسبة الإستفادة من تدفق سطح النيل في عام ١٩٧٠ لتصل إلى معدل ٤٠ كيلومتر مكعب في السنة، وذلك مع بناء السد العالي في أسوان (بما في ذلك كمية المياه غير المحسوبة المعاد استخدامها في الري). وقد كانت المياه الإضافية المتدفقة من خزان أسوان الجديد كافية لمضاعفة المحاصيل الناتجة عن الستة ملايين فدان المروية (٢ ,٥ مليون هكتار) من مصر منذ بداية السبعينيات في القرن العشرين. ومنذ عام ١٨٩٠ والهدف هو استصلاح حوالي مليوني فدان (٨٠٠, ٠٠٠ هكتار). و من حيث استخدام مياه النهر، تعتبر مصر المستخدم الرئيسي الوحيد لمياه النيل. و في عام ١٩٢٩، أثناء الانتداب البريطاني في مصر، خصصت إتفاقية حوض النيل ٩٦ في المائة من متوسط تدفق مياه النيل لمصر، و ٤ في المائة للسودان. و كان سد أسوان الذي شيد في تلك الحقبة قادرا على تخزين حوالي ١٦٨ كيلومتر مكعب من تدفق النيل. و في وقت لاحق، إعترفت إتفاقية مياه النيل عام ١٩٥٩ بأحقية السودان بنسبة ٢٥ في المائة من تدفق المياه. و تشكلت منظمة Hydromet في الستينيات من القرن العشرين و تأسست في الثمانينيات، و هي وكالة مستوحاة من هيئة الأمم المتحدة و قد أنشئت بإرادة معظم الدول التسع التي تشترك في حدودها المائية، عدا إثيوبيا، وذلك لرصد هيدرولوجية نهر النيل لتحقيق إدارة أفضل على نطاق الحوض و مناقشات تقنية أفضل. و في عام ١٩٩٩، تم إعادة تشكيل Hydromet ليكون مبادرة حوض النيل و ذلك بهدف تعزيز التعاون و التوزيع العادل للمياه. و السؤال الرئيسي هو كيف يمكن أن يوافق مستخدمي المياه على حل مستدام في حقبة جديدة من الديمقراطية في القرن الحادي و العشرين؟. و نشهد حاليا صراعا بين مصر و إثيوبيا حول تطوير و استغلال مصادر مياه النيل. لأن حوكمة الماء و توزيعه كانت ضمن سياق الماضي و معطياته و دبلوماسية المياه تخضع لمنطق المصلحة و القوة و توازن القوى و العلاقات الدولية.

### التجارة النزيهة كنموذج للعدالة

يعرض هذا القسم حالة العدالة، ويقيّم أهميتها بالنسبة لوجهات النظر الكونية الإسلامية. التجارة العادلة هي النموذج الاقتصادي الذي يؤكد على دفع سعر «عادل» للمنتجين بحيث يغطي تكلفة الإنتاج ويُمكّن من الإنتاج العادل اجتماعيا والسليم بيئيا. وتتماشى التجارة العادلة مع القيم الإسلامية التي تهدف إلى تشجيع توزيع الثروة بين الأغنياء والفقراء. وكما هو مبين في هذا الفصل، يدعم الإسلام مفاهيم ومبادئ المصلحة العامة والعدالة والمساواة. وتعني المصلحة العامة أنه لا ينبغي على الشخص أو المنظمة إجراء عمل أو تحريض على الصفقات التجارية التي من شأنها أن تسبب ضررا أكبر من المنفعة للمجتمع أو للبيئة. ويرشد القرآن الكريم الناس أن يكونوا عادلين ونزيهين، قال الله تعالى: "إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِين" (سورة الحجرات، آية ٩)، وقال: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ * وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ * إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا" (سورة النساء، آية ٢٩).

على الصعيد العالمي، تتناول حركة التجارة المنصفة (Fair Trade) اختلالات السوق ووصول صغار المنتجين إلى الأسواق وتقديم الدعم لهم لتسويق منتجاتهم بسعر عادل. كما أنه يعزز التنمية التي محورها الناس، وسبل العيش المستدامة والتنمية المستدامة. ووفقا للكاتب Krier (٢٠٠٥) ولمؤسسة التجارة النزيهة (Fairtrade Foundation )، بلغ عدد المنظمات المنتجة المعتمدة من مؤسسة التجارة المنصفة في جميع أنحاء العالم حوالي ٦٣٢ و ٥, ١ مليون مزارع وعامل، كما بلغ عدد التُّجار المعتمدين أكثر من ٨٠٠ تاجر. لقد أفادت مؤسسة التجارة المنصفة بشكل مباشرة أكثر من ٧ مليون شخص من المزارعين والعمال وأسرهم - في ٥٨ بلدا ناميا في جميع أنحاء آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية (مؤسسة التجارة المنصفة Fairtrade Foundation، ١١:٢٠٠٧). ووصلت المبيعات المنصفة السنوية في أوروبا تقريبا ٢ ,١ مليار جنيه إسترليني في عام ٢٠٠٧ (مؤسسة التجارة المنصفة Fairtrade Foundation، Bashir، ٢٠٠٨). وزادت مبيعات التجارة النزيهة حوالي عشرة أضعاف تقريبا في المملكة المتحدة في السنوات الأخيرة من ٥,٥٠ مليون جنيه إسترليني في ٢٠٠١ إلى ٤٩٣ مليون جنيه إسترليني في عام ٢٠٠٧ (مؤسسة التجارة المنصفة Fairtrade Foundation).

إلى جانب ذلك، استفادت صناعة تصدير الزهور المهمة في كينيا من المزايا الاقتصادية والاجتماعية لنظام التجارة المنصفة. وتؤكد المؤسسة أن عمال المزارع في كينيا هم أفضل حالا بوجود إنتاج زهور معتمد من التجارة المنصفة، حيث أصبح للعمال الحق في الإنضمام إلى النقابات العمالية وإعادة الاستثمار في مجتمعاتهم بنسبة من ٨ إلى ١٢ في المائة من قيمة الصادرات من الزهور. تبين

هذه الحالات مدى انتفاع المنتجين والعمال في بعض البلدان الفقيرة من نظام التجارة المنصفة (Dolan، ٢٠٠٧).

يعرض هذا القسم الروابط بين القيم الإسلامية والتجارة النزيهة. تاريخيا، لعبت التجارة والتبادل التجاري دورا رئيسيا في توسُّع الإسلام. وكانت مدينة مكة المكرمة، مهد الإسلام، سوقا ومركزا للتجارة. لم يشارك أوائل المسلمين في التجارة فقط بل ذهبوا إلى بلاد بعيدة من أجل الأعمال. وفي الواقع، وصل الإسلام إلى شرق وغرب أفريقيا، وكذلك جنوب وشرق آسيا من خلال التجار. وكان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) تاجراً ناجحاً ومعروفاً بنزاهته.

يشدد الإسلام على ضرورة وجود أوزان ومقاييس دقيقة وصحيحة، كما ويدين روح الظلم في المعاملات التجارية وإعطاء القليل جدا وطلب المقابل الكثير. وعلاوة على ذلك، يُعتبر الجشع تهديدا للعدالة الاجتماعية والاقتصادية .وفي كفاحه ضد النخبة من مكة المكرمة، انتقد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) جشعهم وقال: «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق» (رواه البخاري). وعلى نفس الصعيد، ينهى الإسلام بقوة عن الإحتكار، وذلك لأنه يُنتج ربحا غير قانوني ويؤدي إلى عدم المساواة. نهى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)عن تلك الاحتكارات محذرا بقوله: «من احتكر فهو خاطئ» (رواه مسلم). وهكذا، تُبرِز هذه المبادئ والتوجيهات الإسلامية توافق الإسلام مع مفاهيم العدالة والمساواة.

تهدف التجارة المنصفة إلى خلق فرص للمنتجين والعمال الأقل حظا في البلدان الفقيرة. وتساعد التجارة النزيهة في حماية المنتجين والعمال في البلدان الفقيرة ضد الاختلالات في سياسات السوق. وتتداخل التجارة النزيهة والعدالة مع بعضهما البعض. فتشمل العدالة الاجتماعية التوزيع العادل والمنصف للثروة لضمان الكرامة الإنسانية للفقراء. وينطوي الكفاح من أجل العدالة الاجتماعية على مكافحة الفقر وعدم المساواة. قال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): «ليس المؤمن الذي يبيت شبعان وجاره جائع إلى جنبه»، (رواه البخاري ومسلم). وشدد الإسلام على أهمية العدالة كقيمة إنسانية وذلك في قوله تعالى: «اِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى» (سورة المائدة، آيه ٨).

تعتبر التجارة النزيهة خير مثال على التنمية التي يكون الناس محورها الرئيسي والتي تتماشى مع القيم الإسلامية. ويشمل هذا تعزيز الطاقة النظيفة والزراعة العضوية والممارسات البيئية السليمة التي تحترم الإنسان والطبيعة. وفي هذا الصدد، يمكن النظر إلى التجارة المنصفة على أنها نموذج يلتزم بالقيم الإسلامية.  ويعتقد المسلمون أن الله قد أعطى البشر الإمامة على الأرض. الإمامة تعني الرعاية لإدارة وحفظ وحماية البيئة الطبيعية للأجيال القادمة. إضافة إلى ذلك، يدعو الإسلام

إلى الاعتدال في الاستهلاك، ويحث الإنسان على تجنب الهدر في إستخدام الموارد الطبيعية، ويأمر البشرية بالحفاظ على التوازن الطبيعي- وهي مبادئ هامة في إنتاج منتجات التجارة المنصفة وللمستهلكين الذين يشترون هذه المنتجات. يقول الله تعالى: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَر» (سورة القمر، آيه ٤٩).

تشمل مبادئ التجارة المنصفة إدارة شفافة وعلاقات تجارية تهدف إلى تعزيز النزاهة والاحترام بين الشركاء التجاريين. يشجع الإسلام على وجود تراضي مشترك بين الأطراف كشرط ضروري للصفقات التجارية الصحيحة. ويُدين الإسلام تدخل الوسطاء، الذي ينطوي على إستغلال جهل الفرد لظروف السوق. هذه المبادئ من التراضي والبيع والشراء بأسعار السوق العادلة في الإسلام هي في انسجام مع مبادئ التجارة العادلة.

تدعو التجارة النزيهة إلى توفير أجور وظروف عمل لائقة للعاملين وتوفير عقود تجارية طويلة الأجل لتحقيق قدر أكبر من الأمن وبيئة عمل آمنة وصحية للمنتجين والعمال. وهناك العديد من المبادئ الرئيسية التي توجه طريقة معاملة العمال. أولاً، يجب أن تكون العقود واضحة وسليمة. ثانياً، يجب أن تكون جميع الاتفاقيات، سواء أكانت شفهية أو مكتوبة، واضحة وشفافة وعادلة ومشروعة. وأخيراً، ينبغي على الموظفين أن يعرفوا واجباتهم ومسؤولياتهم ويكونوا على علم بحقوقهم من حيث الإجازات والبدلات الأخرى. ومن واجب كل من أصحاب العمل والعمال الوفاء باتفاقياتهم بكل ما لديهم من قدرات لقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» (سورة المائدة، آية ١).

أكد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) على الإلتزام بالعقود والاتفاقيات بقوله: «المسلمون على شروطهم، إلا شرطا حرَّم حلالا او أحل حراما» (رواه الترمذي). ويجب أيضا إحترام كرامة العمال، فينبغي أن يعامل العمال بكرامة وشرف وتوفير بيئة عمل إنسانية وآمنة لهم. قال النبي محمد (عليه الصلاة والسلام): «إخوانكم خَوَلُكُمْ جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم» (رواه البخاري).

وأخيراً، يجب إعطاء العمال أجور كافية ونزيهة ومحددة بوقت معين. في الواقع، إعتبر النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أن حرمان العامل من كامل أجره هو عمل غير أخلاقي. لا يسمح الأسلام باستغلال أي شخص ويجب أن يحصل الجميع على تعويض مناسب مقابل الأعمال التي يتم تأديتها. يقول الله تعالى: «فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ»(سورة الأعراف، آية ٨٥).

ومن الممارسات المشتركة بين الإسلام والتجارة المنصفة هي دعوة الإسلام إلى ضرورة دفع أجور العمال فورا وفي الوقت المحدد. فقد قال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه» (رواه الترمذي وابن ماجه).

إستنادا إلى جميع المبادئ المذكورة أعلاه، يمكننا أن نستنتج أيضاً أن للعمال الحق في ممارسة حرية تكوين الجمعيات والحق في تشكيل النقابات من أجل إقامة حقوقهم والحفاظ عليها واكتساب القدرة على المساومة للحصول على تعويض عادل.

وتعتبر قدرة العمال على ممارسة هذه الحقوق أمرا مهم حيث تهدف التجارة المنصفة إلى العمل من خلال جمعيات تعاونية للمزارع أو المنتج بحيث تسود الفائدة على نطاق المجتمع المحلي. يعزز إنشاء هذه الجمعيات قدرة المنتجين على التفاوض من أجل أجور وأسعار عادلة خارج نظام التجارة المنصفة- «يكتسب منتجي التجارة المنصفة قيمة من خلال العلاقات طويلة الأمد، والتجارة المباشرة والائتمان، ويساعدهم هذا كله في مفاوضاتهم لبيع منتجاتهم خارج نطاق التجارة المنصفة»(Nicholls، ٢٠٠٥).

أحد المبررات الرئيسية للتجارة المنصفة هي تعزيز التنوع والاستدامة ذات المدى الطويل وتضمن عوائد أكبر من خلال تشجيع الإستثمار في المجتمعات الأكثر فقراً. إن المبدأ الأساسي في الإسلام، فيما يتعلق بالتجارة، هو ضرورة إعطاء السوق حرية الرد على قوى العرض والطلب والمنافسة الطبيعية. ويعني هذا أنه يجب إزالة الرقابة على الأسعار والتعريفات الجمركية والحواجز الأخرى بحيث تصبح التجارة حرة ونزيهة. وخلاصة القول، كما نرى، فإنه يمكن لوجهات النظر الكونية الإسلامية أن تبني نماذج نزيهة وحديثة وتتكيف معها كجزء من عملية التبادل للخدمات والسلع. والقسم التالي هو مثال آخر على الطريقة التي يتناول بها الإسلام الموارد المشتركة أو المناطق المحمية (الحمى) باعتباره وسيلة مجتمعية لإدارة الموارد الطبيعية.

**المناطق المحمية (الحمى) كنموذج لإدارة الموارد الطبيعية**

يستعرض هذا القسم إحدى الممارسات الإسلامية في إدارة الموارد الطبيعية وتدعى الحمى. تاريخيا، رَعَت منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا نظاماً لإدارة الموارد الطبيعية المجتمعية يدعى الحمى ويعني «المنطقة المحمية». شجّعت المعرفة والحكمة المحلية أنظمة الحكم المحلي المناسبة كوسائل للمشاركة في إدارة الموارد المشتركة في نهج تعاوني للتغلب على التأثيرات غير المباشرة والعوامل الخارجية. في أعماق الثقافة العربية المحلية، تعتبر مفاهيم الاستدامة والمرونة من العناصر

الرئيسية اللازمة للبقاء في بيئة طبيعية قاسية ونادرة إلا أنها غنية في رأس المال الاجتماعي والبشري. وكانت تدار هذه المناطق المحمية الطبيعية (الحمى) من خلال الحكم المحلي السليم المبني على ثقافة التعايش والنزاهة والثقة والرعاية واحترام الطبيعة والحياة.

تتميز البيئة الطبيعية في شبه الجزيرة العربية بالجفاف والتذبذب وعدم الاستقرار. فمن المهم أن نفهم المحرك لإدارة الموارد الطبيعية المجتمعية التي تقوم على التقاسم والتضامن والتعاون. وقد ساهمت الحمى إيجابيا في إنقاذ وحماية الموارد الطبيعية وأراضي الرعي والغابات في منطقة الشرق الأوسط منذ ٥ ٠٠٠ سنة. إلى جانب ذلك، قدم نظام الحمى بيئة تمكينيه لإدارة الصراعات على الموارد الطبيعية والمراعي والغابات. وقد أدى الفهم العميق للدورات الطبيعة والتغيرات الموسمية والقدرة الاستيعابية للبيئة الطبيعية في بيئة قاحلة ونادرة إلى الابتكار الاجتماعي في إدارة الموارد الطبيعية المجتمعية المعروفة بإسم الحمى. وقد تطور عقد اجتماعي جديد من خلال التعلم الاجتماعي والإدارة التكيفية التي تقوم على احترام حقوق الإنسان والطبيعة، والمصلحة العامة والاستخدام المستدام للموارد.

تاريخيا، وُجد العديد من أنواع الحمى لمعالجة مختلف السياقات الاجتماعية والتي تتراوح من تقييد استخدام الرعي إلى مفاهيم الاستخدام الموسمي والمستدام. ساهم الإسلام في نظام القيم والبعد الأخلاقي للحمى وأضاف اليهما. كما أنه أدخل أيضا أوامر واحكام عقلانية للمفاضلة والموازنة بين المصالح العامة والخاصة وبين حقوق الإنسان والمحافظة على الطبيعة. ويمكن اعتبار الحمى على أنها مؤسسة مجتمع مدني لإدارة الموارد المشترك بطريقة تعاونية وقابلة للتكيف. وقدم نظام الحمى إطاراً للتنمية المستدامة مع الإدارة المحلية الجيدة التي يمكن أن تثري هياكل الحكم الموجودة لدينا في القرن الحادي والعشرين. وأضاف هذا النظام من الحكم المحلي قيمة لمعيشة ورفاهية المجتمعات المحلية وقام بتوضيح وتفعيل دور الإنسان في عمارة الكون والعيش بزهد.

وعلقSardar (٢٠٠٦) بأن أحد أهم عيوب بعض النماذج الغربية للتنمية هو أنها تضعف وجود الهوية المحلية من خلال تشجيع التنمية الحضرية وتزايد انعدام الأمن من خلال طرد الزراعة التقليدية وتعزيز تمويل الديون. جادل Al-Jayyousi (٢٠٠٨) بأنه يمكن النظر إلى القيم الإسلامية والمعارف والممارسات المحلية باعتبارها نموذجا للاستدامة والحياة الطيبة التي تجسد العدالة والازدهار الاقتصادي والاستدامة البيئية. وإلى جانب ذلك، تعتبر المشاركة العامة من خلال الشورى والتوصل إلى توافق في الآراء من خلال الحوار والتشاور من أساسيات صنع القرار في المجتمع. إن مفهوم العدالة الاجتماعية والمساواة (العدل) لجميع الناس في المجتمع بغض النظر عن ثقافتهم أو

معتقداتهم هو حجر الزاوية في القيم الإسلامية.

وضعت الشريعة الإسلامية قواعد محددة لصياغة السياسات العامة وصنع المفاضلة بين المصالح العامة والخاصة وقواعد تقييم التكاليف أو الضرر. قد يقود مفهوم المصلحة العامة إلى فهم الاستدامة بمعناها الأوسع. يمثل نظام الحمى عقد اجتماعي يحظر التدهور البيئي أو الفساد والعزلة الإنسانية والاجتماعية. ويتم تطوير هذا العقد الاجتماعي بشكل مستمر ويعاد تكييفه من قبل الأمة الممارسة التي وضعت معايير لقواعد السلوك الأخلاقية وأيضا لخلق معارف جديدة مبنية على أساس المصلحة والحاجة العامة.

لقد بدى واضحاً، من خلال صياغتي للمبادئ الرئيسية لنظام الحمى، أن القوانين والمبادئ الإسلامية المحافظة منسجمة مع المفاهيم الأساسية لنهج النظام البيئي كما هو موثق من قبل Ba Kader وآخرون (١٩٨٣). وتشتمل هذه المفاهيم على بناء توافق وإجماع مع أصحاب المصالح وتنمية شعورهم بالملكية، والتعامل مع النظام الطبيعي كوحدة واحدة تشمل النظام الاجتماعي والاقتصادي والبيئي والحوكمة، وضمان عملية التعلم الاجتماعي كما هو واضح في المعرفة والثقافة المحلية التي تم تشكيلها وتحديدها من قبل الإسلام.

ظهرت الحمى كمؤسسة اجتماعية نتيجة الحاجة إلى تعزيز التعايش والتصالح بين البشر والطبيعة. وقد تم تطوير هذا الابتكار الاجتماعي المستوحى والمستمد من قبل الثقافة المحلية من خلال العقل البشري والتجربة والاجتهاد. الحمى عبارة عن مثال جيد لنموذج تنمية محوره الإنسان باعتباره وصيا وشاهدا ومسؤولاً عن عمارة الكون. يمكن استدامة الحمى وتمويلها عن طريق نماذج التمويل المجتمعية مثل الوقف. ويعتبر الوقف وسيلة مبتكرة لتأمين الموارد مثل الأراضي والطاقة والمياه للفقراء من خلال تعزيز المسؤولية الاجتماعية والتضامن. ويمكن تسخير الوقف وتنظيمه لتعزيز تنمية محورها الإنسان حيث تدار وتُموَّل من قبل المجتمع المدني (Al-Jayyousi، ٢٠٠٧).

صاغت الحمى مفهوم السلع العامة التي يشترك في إدارتها المجتمع المحلي وفقا للقوانين المحلية. وفيما يتعلق بمفاهيم تقاسم الموارد الطبيعية وتعريف الموارد المشتركة، يعلمنا الإسلام أن الماء والنار (الوقود) والعشب هي جميعها سلع عامة (Public Goods). وأكد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) على حرية الوصول إلى ثلاثة أنواع من السلع العامة، وهي: الماء والكلأ والنار (Caponera، ١٩٧٣، ١٩٩٢). وقال صلى الله عليه وسلم: «الناس شركاء في ثلاثة الماء والكلأ والنار» (ابن ماجة بعد ابن عباس، Zuhaily، ١٩٨٩).

خلاصة ذلك، في عالم تسوده العولمة، يمكن القول بأن هناك قلق من تسويق الموارد الطبيعية ومن خطورة معاناة السكان المحليين والعزلة عن أرضهم وثقافتهم. نشهد في النموذج الإقتصادي الحالي تحكم مؤسسات المال بالعالم. مما يعني تقديم مصالح المؤسسات المالية والشركات على مصالح السكان المحليين. فيما يلي سوف نبين بعض الشروط الرئيسية لإحياء الحمى والتي تشمل التركيز على تكوين المعرفة وإيجاد مجتمع ممارس والاستثمار في البحث والتطوير وتنفيذ المشاريع التجريبية الريادية.

من أجل إحياء نظام الحمى في الشرق الأوسط، لا بد من تجسيد المبادئ الأساسية مثل؛ العدل وحقوق الإنسان والاستدامة البيئية جنبا إلى جنب مع الإدارة التكيفية وإدارة الموارد الطبيعية المجتمعية. هناك أربعة شروط يجب تحقيقها لإحياء نظام الحمى في المنطقة العربية. وتشمل هذه الشروط القدرة على ايجاد وخلق المعرفة بالحمى واستيعابها، وتشكيل أمة ممارسة من المهنيين القادرين على عكس أفكارهم ومستكشفي المعرفة القادرين على إعادة بناء نموذج جديد للحمى في القرن الحادي والعشرين وذلك باستخدام نهج التعلم عن طريق العمل وتنفيذ مشاريع تجريبية تستند إلى مفاهيم الحمى. وتمثل المتطلبات الأربعة المذكورة أعلاه سلسلة قيمة للمشاركة في خلق معرفة جديدة لنماذج جديدة لإدارة الموارد الطبيعية بالمشاركة ومستوحاة من الثقافة المحلية.

# المراجع

Abd Al-Kader, Ali. (1959). 'Land, Property and Land Tenure in Islam'. Islamic Quarterly, 5: 4–11.
Abouleish, I. (2005). Sekem: A Sustainable Community in Egyptian Desert. Floris.
Ali, Abdullah Yusif. (1989). The Holy Quran: Text, Translation and Commentary. (New rev. edn.) Amana Corporation, Maryland.
Al-Jayyousi, O.R. (2007). 'Environmental Waqf and Sustainable Development' (in Arabic). Environment and Development Magazine, 7. Beirut, Lebanon. August.
Al-Jayyousi, O.R. (2008). 'Rural development and Islam', Vol. 41, Issue 3. Rural 21, Germany.
Allan, T. (2000). The Middle East Water Question: Hydropolitics and Global Economy. London: I.B. Tauris.
Ba Kader, A., Al Sabagh, A., Al Glenid, M. and Izzi Deen, M. (1983). Islamic Principles for the Conservation of Natural Environment: A Joint Publication by the International Union for the Conservation of Nature (IUCN) and the Meteorological Protection Administration (MEPA) of the Kingdom of Saudi Arabia. Gland, Switzerland.
Caponera, D.A. (1973).Water Laws in Muslim Countries. Food and Agriculture Organisation of the United Nations, Rome: Irrigation and Drainage Paper No 20/1.
Caponera, D.A. (1992). Principles of Water Law and Administration: National and International. Rotterdam, Netherlands: Balkema Publishers.
Chapra, M. Umar. (1970). 'The Economic System of Islam: A Discussion of its Goals and Nature', Islamic Quarterly, 14: 3–23.
Chapra, M. Umar. (1992). Islam and the Economic Challenge. Jordan: The Islamic Foundation and the International Institute of Islamic Thought, International Islamic Publishing House.
Chapra, U. (2008). Islam and Economic Development. New Delhi: Adam.
Esposito, John. (1980). Islam and Development: Religion and Socio-political Change. Syracuse: Syracuse University Press.
Dolan, C. (2007). Market Affection: Moral Encounters with Kenyan Fairtrade Flowers. Ethos 72 (2): 239-261. Fairtrade Foundation. (2007). Annual Report 2007. Available at: www.fairtrade.org.uk/includes/documents/cm_docs/2008/a/annual_review.pdf. (site accessed Dec. 12, 2011).
Faruqui, Naser I., Asit K. Biswas and Murad J. Bino. (2001). Water Management in Islam. Tokyo: IDRC/UNU Press.
Forni, Nadia. (2005). Land Tenure Policies in the Middle East. Rome: FAO. www.fao.org//docrep/005/Y8999T/y8999t0f.htm.(site accessed Dec. 12, 2011).(site accessed Dec. 12, 2011).
Hammoudeh, M. (2011). Islamic Values and Management Practices. Farnham, Surry, UK: Gower Publishing.
Ishaque, Khalid M. (1983). 'The Islamic Approach to Economic Development', in Esposito,

John (ed.), Voices of Resurgent Islam. New York, Oxford: Oxford University Press.
Iqbal, M. (1934). Reconstruction of Religious Thought. Oxford: Oxford University Press.
Izzi Deen, M. (1990). 'Islamic Environmental Ethics, Law and Society', in Ethics of Environment and Development, ed. J. Ronald Engel and Joan G. Engel, Tucson: University of Arizona Press, pp. pp. 189–98.
Khalid, Fazlun M. (2002). 'Islam and the Environment: Social and Economic Dimensions of Global Environmental Change', in Timmerman, Peter (ed.), Encyclopedia of Global Environmental Change. Chichester: John Wiley, pp. 332–9
Khan, Muhammad Akram. (1994). An Introduction to Islamic Economics. Islamabad, Pakistan: International Institute of Islamic Thought and Institute of Policy Studies.
Korten, D. (2009). Agenda for New Economy. San Francisco: Berrett- Koehler.
Korten, D. (1995). When Corporations Rule the World. San Francisco: Berrett-Koehler.
Krier, J-M. (2005). Fairtrade in Europe 2005: Facts and Figures on Fairtrade in 25 European Countries.www.european-fair-trade-ussocieties.org/efta/Doc/FT-E-2007.pdf; accessed in Dec. 2010.
Lessem, R. and Palsule, S. (1997). Managing in Four Worlds. Oxford: Blackwell.
Lessem, R. and Schieffer, A. (2009). Transformation Management: Towards the Integral Enterprise. Farnham, Surrey: Gower Publishing.
Nicholls, Alex. (2005). 'Thriving in a Hostile Environment: Fairtrade's Role as a Positive Market Mechanism for Disadvantaged Producers'. Fairtrade Foundation.
Nomani, F. and Rahnema, A. (1994). Islamic Economics. London: Zed Books.
Normani, Farhad, and Rahnema, Ali. (1995). Islamic Economic Systems. Kuala Lumpur: S. Abdul Majeed & Co. Rodinson, M. (1973). Islam and Capitalism. (trans. Brian Pearce; 1st edn, French, 1966). New York: Pantheon.
Sardar, Z. (1987). The Future of Muslim Civilisation. London: Mansell.
Yunus, M. (2008). Creating a World without Poverty. NY: Public Affairs.
Zuhaily W. (1989). Islamic Fiqh and its Evidence, part 4. (3rd edn; Arabic). Beirut, Lebanon: Dar Al-Fikr.

# الفـصـل الرابـع

# الجمال (الإحسان) والتنمية المستدامة

"عالم الشهادة أثَر من آثار عالم الغيب، يجري منه مجرى الظل"

(الغزالي، مشكاة الأنوار)

## مُلخص:

يهدف هذا الفصل إلى تسليط الضوء على جوهر الإحسان، من خلال استكشاف مفهوم الفن الإسلامي والهندسة المعمارية الإسلامية وربطه بالاستدامة. سوف نناقش أيضا فلسفة الإحسان والذكاء المستمد من الطبيعة مع الإشارة إلى المقارنات والتشبيهات في القرآن الكريم، وذلك للإطّلاع على الجدل القائم حول الاستدامة والإسلام. لاحقا، سوف نناقش نموذج المدينة الإسلامية، مكة المكرمة، باعتبارها نموذجا للمدينة الطيّبة والحياة الطيّبة كرؤية للمستقبل.

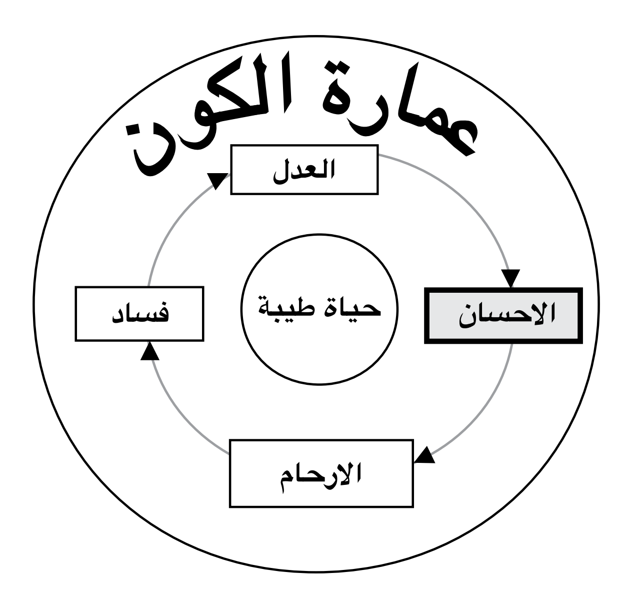
## الأهداف:

١. استعادة فكرة الذكاء المستمد من الطبيعة من وجهة نظر إسلامية.

٢. استعراض مبادئ الفن الإسلامي والمدينة الإسلامية كجزء من بناء الاستدامة.

٣. تقييم وتطوير الإحساس بالجمال والفن في الكون والطبيعة والحياة البشرية؛ وذلك لمعالجة التدهور البيئي.

٤. تسليط الضوء على الآثار المترتبة على تقدير الجمال (الإحسان) للانتقال نحوالحضارة المستدامة.




الشكل ١،٤ نموذج للتنمية المستدامة ضمن الرؤية الكونية الإسلامية - الإحسان

يهدف هذا الفصل إلى تسليط بعض الضوء على مفهوم الإحسان من أربعة مجالات هي؛ الفرد، والمنظمة، والمجتمع ومجتمع الحياة الطبيعي، والكون. وفقا للكاتب Azzam(٢٠٠٦)، يعتبر الفن والعمارة في الإسلام أكثر من مجرد تجربة مرئية أو مكانية؛ فهما يُمثلان رؤية رمزية لواقع أعلى مقدّس. وهو فن ينقل رسالة إلهية ويتجاوز الزمان والمكان، ويرسم جذوره من الروحانيات ويتجلى في عالمنا المادي. وبشكل عام، الفن الاسلامي هو تعبير عن علاقة الإنسان مع الله. وظيفة هذا الفن هي التعبير عن الحقيقة الأساسية، لتحويل اللامرئي إلى مرئي من خلال اللغة الرمزية.

وثقت Ali (١٩٩٦) تاريخ الفن الإسلامي ومعالمه الرئيسية على النحو الموجز أدناه. كان للفن والعمارة، دائما، دوراً محوريا في حضارة الإسلام؛ وهو دور يشمل مجموعة واسعة من القيم التي تشكل الحضارة. ويعتبر فن الخط العربي أعلى شكل من أشكال الفنون البصرية في الإسلام، لأنه يعبِّر عن الكلمة الإلهية التي هي جوهر القرآن. ومن وجهة النظرة الإسلامية، لا يمكن فصل الفن عن المهنة أو الحرفة أو حتى عن العلم. ويتجاوز الفن الإسلامي نطاق العقل ليربط الحكمة مع مبادئ الكون. التقنية والجمال هما جزءان مكمِّلان للإبداع الفني، وقد نقل عالم الفن الإسلامي، من خلال الرمز والاستعارة، أسمى المبادئ والقيم.

وفقا لأفلاطون، يعكس الفرد في الحياة الطيّبة الفضيلة الكاملة، وبالتالي فهي أقرب إلى عالم

أسمى من الوجود. هذا الرضا، وبالتالي السعادة، يتحققان عندما يصل الشخص إلى الفهم العميق للعالم. وفقا لأفلاطون، الحوار المرتبط بالحب (أو ما أسمّيه فعل التواصل الذكي) هو الوسيلة التي سوف يحقق فيها البشر المعرفة الموثوقة لتحقيق وإدراك الحياة الطيّبة والسعادة. هذا يعني تحولا من تقدير جمال الفرد المادي إلى محبة جمال العقل والجمال بشكل عام.

وفقا لابن سينا، الطبيعة هي المكان والوضع حيث كل شيء يكتسب معنى ويتجلى فيه إرادة الله. وبالتالي، فإن أي مظهر من مظاهر الطبيعة يميل نحو الكمال والإلهية. وتجدر الإشارة إلى أن نظرة العالم الإسلامي، كما يزعم Foltz (٢٠٠٣)، تدعو إلى إزالة عقبة العاطفة البشرية من الذكاء من أجل الوصول إلى الإيمان المطلق والكامل. وعليه، فإن الظاهرة الطبيعية تدفع إلى التأمل العقلاني من العلاقات والعمليات والنظم والآليات الرائعة. عندما يتحدث القرآن عن عجائب الكون وخلق الإنسان والطيور والنحل والنمل فهو يهدف إلى تعزيز الذكاء الطبيعي وتعزيز التعلم عن طريق المحاكاة بالتنظيم الطبيعي المثالي وبنظام التنظيم الذاتي وعلى المجتمع (الأمة) أن يحاكي النظام البيئي الطبيعي لتحقيق حضارة بشرية مستدامة.

ذُكر رمز الجنة في القرآن الكريم في العديد من المواقع (جنات عدن، الفردوس، الروضة)، وذلك لتوجيه الإنسان إلى التصرفات الجيدة ومساعدته في الرحلة إلى الدار الآخرة. وكما ذكر Wescoat (١٩٩٥)، ذُكر طرد آدم وحواء من الجنة في نص قصير في القرآن الكريم وذلك للدلالة على أن الإسلام أقل إهتماما بالماضي الفائت وبفقدان الجنة مقارنة بإهتمامه بالحاضر وبالمستقبل والخلاص (العتق). بإختصار، فإن مفهوم الجمال والتميّز (الإحسان) يمكنه أن يوضّح ويُطوّر إحساسا جديدا من السيادة الذاتية، وذلك بتقدير قيمة ومعنى الوحدة بين الجمالين الداخلي والخارجي. علاوة على ذلك، فإن الإدراك الذاتي للجمال سوف يُترجم لتطوير منظومة أخلاقية مبنية على القيم؛ مُلهمة لتوحيد السهل والصعب، أو الجلال والجمال، للأفراد والمنظمات والمجتمعات ككل.

الشعور والمضمون العميق للجمال والتميز (الإحسان) هو تجاوز حدود الوطن وتحقيق المعنى العالمي الشامل للتعامل مع التدهور الجمالي للعالم كما تجلى في التلوث المادي ونزوح الإنسان والظلم وانقراض الكائنات الحية وإزالة الغابات والنزعة الاستهلاكية والحروب الغير مبَرّرة لتحقيق مكاسب اقتصادية للسيطرة على الطاقة والموارد المادية. إنّ إعادة اكتساب شعور الإنسان بالجمال الداخلي والجمال الخارجي (الإحسان) سيصبح أمرا حتميا لنقل خطاب القواسم المشتركة (كلمة سواء) بين كل الأمم على هذا الكوكب للتوفيق بين الماضي والتاريخ ولخلق واقع مشترك من الوحدة ضمن التنوع.

## الإحسان والفن الإسلامي: التحول إلى الحضارة البشرية المستدامة

تحول الجمال الداخلي إلى العالم الخارجي وذلك لبناء عالم من الجمال والتميز في جميع المجالات (عمارة الارض)؛ وعليه فإن الفرد والمنظمة والمجتمع هم حجر الزاوية للانتقال إلى حضارة إنسانية مستدامة. توجه النظرة الإسلامية إلى ترسيخ شعور أعمق بالجمال والنظام والإنسجام في الضمير الإنساني لينعكس هذا على المنظمة والمجتمع. ويضع الجزء التالي الخطوط العريضة للنهج الذي يجب إتباعه لتعزيز الإحساس بالجمال كجزء من العقيدة والممارسة في الإسلام.

### توحيد الفرد والمجتمع

يحمل الإحسان، بإعتباره مصطلح عربي، معاني كثيرة مثل التميز والجمال. وهذا أيضا يشير إلى مستوى أعلى من الوعي المتطور الذي هو أعلى من الإسلام (عبادة الجسم) والإيمان (عبادة القلب). ويوضح فن الأرابيسك في تكراره لعناصر وأشكال فردية مساهمة العنصر الفردي في الكل والمجتمع (الأمة). الإحسان هو حالة التحسين المستمر للفرد والمجتمع وهو حالة الوعي والتقوى وخشية الخالق في كل عمل، مما يؤدي إلى تطور الجمال الداخلي والبصيرة. ومن خلال هذا الوعي الداخلي المتجدد، يتم تنظيم تصرفات الإنسان لحماية حرية المجتمع. لذا توحّدت وتلاقت قيمة وحرية الفرد الحقيقية في فعل ما هو جيد وجميل للمجتمع (الأمة). وإزاحة الستار عن الجمال في الإنسان والطبيعة والكون يلهم الإحسان؛ وهو عمل فيه خير وجمال لكل مجتمع الحياة.

### توحيد التقاليد والحداثة

يتجلى الفن الإسلامي في المناظر الطبيعية والفن والهندسة المعمارية وفي التصميم الحضاري وذلك من خلال دمج التقاليد الفنية الموجودة وتكييفها في نطاقها الخاص، كما هو مبين في قبة الصخرة في القدس- النصب الأول من الإسلام (٦٨٨ - ٦٩٢) والجامع الأموي الكبير في دمشق (٧٠٦ - ٦١٦). في مراحله الإبداعيه، كان الفن في العالم الإسلامي نتاج بناء تراكيب جديدة ونتاج نظام دلالي جديد للبنية البصرية القديمة. في القرن الحادي والعشرين، يمكن أن تكون مدينة القدس نموذجا للاحتفال بالتنوع العرقي والثقافي كما كان قبل الحكم الإسلامي، حيث كان لكل الناس مساحة ودورا في المدينة التي إحتضنت التكاتف والوحدة في إطار التنوع. هذا الشعور العميق بالإحسان ألهم عمر بن الخطاب (ثاني الخلفاء الراشدين بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم) إلى عدم الصلاة في الكنيسة لاحترام الدين المسيحي.

لم يكن الفن الإسلامي بالنسبة للمسلمين اختراعا جديدا وإنما هو اختيار استيعابي وصقل وتكوين بين القديم والجديد والمزج بين التقاليد والحداثة. هذه العملية في جوهرها هي المعنى الأساسي في عملية التميز والجمال البنّاء؛ الإحسان. كان هذا الاستيعاب أو الانصهار الاختياري واضحا في خلق فن إسلامي مبكر حيث أن المسلمين استخدموا الفن ليلبي تطلعات الروح ويربطها بالجذور الإبراهيمية (رسالة ابو الأنبياء سيدنا ابراهيم عليه السلام) التي بنيت على فكرة التوحيد.

**توحيد الظاهر والباطن**

الدور الرئيسي للفن الإسلامي هو تعزيز الوعي بالله والتصديق بالآخرة والإتحاد بين الباطن والظاهر. التحدي المتمثل في التحول إلى الاستدامة، من منظور إسلامي ومن منظور الفن، هو أن نفعل ما فعله العلماء المسلمين من قبل، ويكون ذلك بإعادة تشكيل وتحويل المبادئ والمفاهيم والتقنيات القديمة من جميع الثقافات وتطوير نماذج هجينة جديدة متناغمة مع المعرفة والثقافة المحلية. اذا كنّا نستطيع استعادة حالة التدهور الجمالي من خلال تواصل فكرة الإحسان إلى الجيل القادم، فإننا نسير على الطريق الصحيح لتحقيق الحضارة البشرية المستدامة.

**التوحيد بين المحلية والعالمية**

ساعد النفوذ العالمي للحضارة الإسلامية في كل الإتجاهات من العالم، من إسبانيا إلى الفلبين، في إنتشار الوحدة الجمالية في إطار التنوع من خلال الفن والعمارة الإسلامية. بعد مائة وخمسين عاما من مجيء الإسلام، شكل الفن الإسلامي لغته وجماليته الخاصة. على سبيل المثال، الجامع الكبير في قرطبة (٧٨٥ هـ) في الأندلس ومسجد ابن طولون (٨٧٩ هـ) في مصر لم تعد تمثّل مراحل في تطور مؤقت ولكنها، في حد ذاتها، روائع لا يمكن تجاوزها. حيث وضعت هذه المساجد معايير لنسب الجمال والانسجام. ومن المثير للإهتمام زيارة متحف الفن الإسلامي في الدوحة، قطر، والذي تم تصميمه من قبل الفنان الياباني الذي ذكر بأن مسجد ابن طولون في مصر كان مصدر إلهام له.

**التوحيد في إطار التنوع في الثقافة والمكان والزمان**

واحدة من الخصائص الأساسية للفن الإسلامي، والتي تُجْمع حولها جميع الآراء تقريبا، هي وحدته في إطار التنوع. يعبر عن هذه الوحدة بأفضل تعبير في اللغة العربية وهو التوحيد الذي يعني وحدانية الله. وعلى الرغم من اختلاف الأسلوب والأداء الموجود في البلدان الممتدة بين إسبانيا

والمغرب إلى الهند وإندونيسيا، يمكن للمرء التعرف على الطابع الإسلامي للمدينة أو لقطعة من الفن. وعلى الرغم من الاختلافات في المكان والزمان، فإن وحدة الفن الإسلامي سِمة فريدة من نوعها والتي تنعكس في المشهد الإسلامي والهندسة المعمارية. ويمكن أن يعزى هذا أساسا إلى وحدة جوهر وجهات النظر الكونية الإسلامية المستمدة من قبل القرآن الكريم واللغة العربية التي تلهِم الخيال والتجانس والاستعارات والصور المستمدة من البيئة والكون والطبيعة والإنسان.

## التوحيد بين الإستقرار والتغيير

من السمات الأساسية للفن الإسلامي انتقال الأفكار والناس الذي نتج بسبب التجارة والحج. أدى تنقل الناس، من فنانين وحرفيين داخل وخارج الإمبراطورية الإسلامية، إلى نشر الأفكار الفنية عبر الزمان والمكان. ونتج عن الأنشطة التجارية الواسعة النطاق داخل الإمبراطورية الإسلامية والسفر إلى مكة المكرمة، لأداء فريضة الحج من جميع أنحاء العالم الاسلامي، تفاعلا فنيا على أوسع نطاق، وجعلت من الممكن إدخال الأفكار الفنية ومفاهيم الإحسان وتبادلها. والسؤال الرئيسي في القرن الحادي والعشرين هو كيف يمكن للمدن الإسلامية بشكل عام، مثل مكة المكرمة والقدس على وجه الخصوص، أن تكون مركزا للتعلم والتصالح مع الماضي والتلاقي بين الجمال الداخلي والخارجي على حد سواء؟

## توحيد الفن والعلم

ميزة أخرى للفن الإسلامي هو القدرة على تحويل «العادي والمألوف» إلى «الخارق والمثير». من الواضح أن الفنانين المسلمين كانوا قادرين على تحويل الأشياء الدنيوية ذات الإستخدام اليومي مثل السجاد والملابس والمصابيح والجِرار والأطباق إلى أعمال غنية ومحفزة للفن. وبالنسبة لضمير الفنان المسلم، فإن أي عمل من صنع الإنسان هو في حد ذاته قطعة فنية لها وظيفة جمالية وعملية على حد سواء. بالنسبة للفنان المسلم التقليدي، لا توجد فنون صغرى وكبرى، ولا توجد حدود تفصل الفن التشكيلي عن الفن التطبيقي. كل الإنتاجات الفنية تحتاج الى نفس الدرجة من العناية والتخطيط والإبداع والإهتمام والمهارة. ان فصل الفن عن الحرف اليدوية هو مفهوم غربي حديث وجِد أول مرة خلال عصر النهضة عندما تم فصل الفن عن الروحانية، وتطور بسرعة فقط في القرن التاسع عشر أثناء الثورة الصناعية. وفي الإسلام، يُعتبر الفنان والحرفي واحد، كلاهما أداة الله في تبيان الجمال، ولا يُعتبر أي منهما خالق من تلقاء نفسه.

في المجتمع الإسلامي، يسمى كل عمل يتطلب تطبيقه مهارة «فن». لذلك، هنالك فن

الزراعة وفن الهندسة المعمارية وفن الصهر والرسم والشعر. ولا يوجد تمييز بين فن تشكيلي وفن تطبيقي. لم يكن يسمع بالتصميم الصناعي عندما قامت الثورة الصناعية، وكانت الحياة اليومية للناس في الغرب خالية تماما من الجماليات. وفي القرن العشرين، اعترفت الصناعة بالقيمة الجمالية للكائنات.

## توحيد الجمال في مجتمع الحياة والكون

وفقا للإسلام، يعد الإنسان مظهرا من مظاهر خلق الله. وللبشر ولاية وأمانة كونه خليفة الله في الأرض ومؤتمن لخلق علاقة متناغمة بين الكون والطبيعة والناس. يعكس كل الخلق جمال الكون وروعته وذكائه وهو بدوره يرفد فكرة الإحسان. الفن الإسلامي، من نظرة العالم الإسلامي، هو أحد المعاني التي من خلالها يمكن للإنسان أن يرعى ويعزّز «الذكاء الجمالي» كآيات في كل الكائنات والكون لتعلم وإنعكاس أعمق من الطبيعة والكون.

ينبع الفن الإسلامي أساسا، من وجهة نظر روحية وأخلاقية، من الرسالة القرآنية التي تهدف إلى ترجمة المفاهيم والأفكار إلى أشكال. وهذا يعني أن الرسالة الخارجية (الظاهر) موثقة من الواقع الداخلي (الباطن) الذي يمثل الجوهر الداخلي. ويؤكد الشكل الخارجي، أو الظاهر، الجانب الكمي والذي هو واضح، في حين أن الجانب النوعي هو الجمال الداخلي أو الباطن المخفي. ومن أجل أن ندرك تماما المعنى الكامل للجمال والتميز، لا بد من السعي لفهم كلا النوعين من المعرفة المرئية والغير مرئية (الباطن والظاهر).

## توحيد العمل والعبادة

ينتمي الفن الإسلامي إلى ثقافة تميّزت بدور الأمة وشكّلت المثل الأعلى لتتحرر من الذات والأنا، حيث تصبح شخصية الفرد وسيلة وليست غاية. نظرة العالم والفنان الإسلامي ملهمة من خلال أقوال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): «إن الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه» و»العمل العبادة» و»إن الله جميل يحب الجمال». وبالتالي، فإنَّ إتقان الشخص لعمله يصبح شكلا من أشكال العبادة وفريضة دينية من السهل تحقيقها من خلال الإلتزام بالإيمان وقناعاته. الدور الرئيسي للفنانين الإسلاميين هو البحث عن أفكار وتقنيات جديدة يمكن أن تزيد من تقدير وإفتتان الإنسان بالحياة كلها.

يُسخر الفنانون المسلمون مزيجا من المنطق والفكر والمهارة والبصيرة لإبراز الذات الداخلية

في شكل ينعكس على الواقع الخارجي. ووفقا لذلك، نشأ الفن الإسلامي نتيجة للدمج بين العلوم الرسمية والحِرف. وخلال العصر الذهبي للإسلام، إتّبع المهنيون والحرفيون والفنانون قول النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): «إن الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه». هذه القاعدة تضمن مراقبة الجودة والمعايير والإلهام والاستمرارية. يُنظر للفن الإسلامي على أنه الأداة التي تُكمِّل وتدعم الحياة الروحية. هناك دليل على أنه عند حدوث كسوف للحياة الروحية سينعكس هذا سلبا على الفن والتصميم الحضري. غياب الجو الروحي يولد مهنيين يفتقرون إلى التفكير والإبتكار والإجتهاد. علاقة المسلم مع القرآن الكريم هي علاقة عضوية وحيوية حيث تؤثر هذه العلاقة على قدرات الإنسان البصرية والفكرية. كما وتميّز هوية الفن الإسلامي من حيث الانسجام والتكرار والتعدد والانتظام والتنوع. الروحانية الإسلامية مرتبطة بالفن الإسلامي. ومن خلال الصلوات الخمس وقراءة القرآن الكريم وتكرار بعض العبادات، كشكل من أشكال الذكر، يتم إعادة هيكلة روح المسلم إلى مجموعة من المواقف الروحية التي تؤكد على عظمة الله.

يقول سبحانه وتعالى: «وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ» (سورة العنكبوت، آية ٤٥)، ويمكن الوصول إلى ذلك من خلال التأمل والتفكير في خلق الإنسان والكون والبيئة الطبيعية. وعليه، يقوم الفن بتحويل البيئة المادية إلى إنعكاس من العالم الروحي. ومهمة الفنان الرئيسية هي ترجمة القيم الإسلامية إلى لغة جمالية للأنماط والتصاميم التي تنعكس في التصميم الحضري والبيئة المبنية. بالتالي، فإنَّ الهدف من الفن الإسلامي هو تعزيز الذكاء الطبيعي ووعي الإنسان لعظمة الخالق.

### توحيد الجوانب المادية والروحية

جماليا، يمثل الفن والعمارة الإسلامية الجوانب الروحية والمادية في حياة المسلمين التي تدور حول مفهوم التوحيد كما ناقش Al-Faruqi (١٩٩٨). تتمركز الأشكال الهندسية في دائرة أو محور تنقل جميعها المعاني الروحية والمادية فيما يتعلق بالكون والحياة البشرية. ويتبع الموقع المركزي للكعبة ومكة المكرمة على الأرض المرجعية المركزية لله في الكون والعالم الروحي. وعليه، فإنّ الحياة الروحية والزمنية للمسلمين منظمة في حلقات تدور حول محور؛ وهي تمثل حركة الدوران المستمرة لحياة المؤمن نحو رحلة الإنسان لمرضاة لله وعمارة الارض. ويتجلى هذا أيضا في الحج والطواف حول الكعبة.

يناقش القسم التالي نموذج المدينة الإسلامية، مكة المكرمة، باعتبارها مظهرا لمنتدى عالمي للمدينة الخضراء والطيّبة وكنموذج مكاني لشفاء الإنسان وتجدّده وتحرّره.

**مكة المكرمة كنموذج للمدينة الطيّبة**

«لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ *»، (سورة البلد، الآيات ١-٤)

مكة المكرمة، التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في الآية أعلاه، هي الوجهة المفضلة أو القبلة للمسلمين، وهي نقطة جذب ليس فقط باللغة العربية ولكن أيضا في اللغات الغربية الأخرى. يشير هذا المصطلح إلى موقع مهم بالنسبة للناس لتحقيق قيمة ومنافع بمعنى أوسع في كل جانب من جوانب الحياة من الطب والتعليم والأعمال والفن والابتكار والعلم والتنوير. والسؤال الرئيسي هو كيف يمكننا رؤية وتحويل مكة المكرمة باعتبارها المدينة البيئية العالمية للروحانية والتنوير والتحول؟ كانت قصة Malcom X ورحلته إلى مكة تجربة فريدة من نوعها لتغيير تفكيره ونظرته حول المساواة بين جميع الأجناس. في القرن الحادي والعشرين، مع معاناة العالم من الفقر والأزمة المالية وانتشار فيروس نقص المناعة المكتسبة وتغيّر المناخ والتلوث وندرة الغذاء والماء والطاقة، فإن إعلان مكة المكرمة كمنتدى عالمي للتحوّل والحوار والسلام والوحدة والاحتفال بالوحدة ضمن التنوع يصبح مهمة لقيادة الانسان التحوليّة. يمكن صياغة نموذج (مبدأ الكفاح-الإجتهاد-الزهد الأخضر) وتصويره في مكة المكرمة كمدينة لتجديد العقل والروح، مما يساعد في تحقيق مفهوم الحياة الطيّبة.

ومن المفيد رؤية أن مكة كانت مصدر التنوير لقائد من الولايات المتحدة، Malcom X، في حركة الحقوق المدنية في الستينات من القرن العشرين في قضية حساسة مثل العِرْق والتمييز العنصري. في القرن الحادي والعشرين، يمكن أن تلعب المدينة الإسلامية، وخصوصا مكة المكرمة بوصفها مظهرا من مظاهر توحيد وجهات النظر الكونية الإسلامية، دورا جديدا لتعزيز الحوار والتفاهم على «المشتركات العالمية» «Global Commons»، وأن تُلهم تفكيرا جديدا حول التحديات الملحّة العالمية مثل التمويل العالمي والفقر وإنتشار فيروس نقص المناعة المكتسبة (الإيدز) والتعددية الثقافية والأمن الإنساني ومكافحة الإرهاب والحوكمة والرخاء الإنساني. يمكن أن تكون مكة المكرمة مكانا للتأمل وصياغة حلول جديدة للقضايا المالية الحالية من خلال وضع الوقف العالمي (صندوق الوقف) للأرض الخضراء لضمان أن النموذج الاقتصادي الحالي يأخذ بعين الإعتبار خدمات النظام البيئي واحتياجات الفقراء كجزء من مقاييس التنمية البشرية الجديدة وتقَدُّم المجتمعات.

« كان هناك عشرات الآلاف من الحجاج من جميع أنحاء العالم. كانوا من كل الألوان، من الشُقر ذوي العيون الزرقاء إلى الأفارقة السود. ولكن كنا جميعا نشارك في نفس الطقوس لنعرض روح من الوحدة والأخوة التي أعتقد، من خلال تجربتي في أمريكا، أنها لا يمكن أبدا أن توجد وحدة بين الأبيض وغير الأبيض الا بالاسلام.أمريكا بحاجة إلى فهم الإسلام لأنه هو الدين الذي يمحو من مجتمعها مشكلة التمييز العرقي » .
*Malik Shahbaz*
(خطاب مالكوم إكس بعد الحج إلى مكة المكرمة).

تاريخيا، تأثرت البيئة المبنية والمراكز الحضرية بمفاهيم وأفكار محددة. على سبيل المثال، كانت اليونان المدينة التي تعكس الفكر والأخلاقيات والفضائل، بينما كانت روما تعكس النظام والجمال، وعكست القدس التعددية الثقافية وملاذ الضعفاء والمهمشين. في القرن الحادي والعشرين، كيف يمكن أن تكون مكة المكرمة والقدس نموذجا يُجسد الحياة الطيّبة في جميع مجالات الحياة من الروحانية وحقوق الإنسان والسلام والحوكمة والعدالة الاجتماعية ورفاهية الإنسان والحياة المستدامة؟ ببساطة، كيف يمكن أن تكون مكة المكرمة والقدس نموذجا وتجسيدا للاستدامة والحياة الطيّبة؟ هذا القسم هو محاولة لعرض وتسخير المعنى الحقيقي لمكة المكرمة كمكان لاستضافة وعقد المنتدى الإنساني العالمي. إلى جانب ذلك، هو محاولة لإعادة النظر في القيمة الكامنة للحج وفي معناه. فالحج، في جوهره، رحلة التحرر لتطوير السيادة الذاتية والوعي الجديد. سيكون ملهما تحويل مكة المكرمة إلى المدينة التي توحّد المحافل العالمية الثلاث؛ الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وتوحِّد خطاب الإنسان مع سرد جديد وقصة مدينة تجسد توحيد الحياة الطيّبة.

في هذا القسم، سألقي الضوء على الأبعاد الأساسية للقيمة المضافة والمعنى لوجود مكة المكرمة كنموذج للمدينة البيئية التي تسعى إلى تحقيق الحياة الطيّبة، وكذلك على الجهود الهادفة لتحقيق العمران وعمارة الارض التي تُنتج منافع خارج المكان والزمان. هذه الأبعاد تتضمن ما يلي: (أ) مكة المكرمة كقِبْلة، (ب) مكة المكرمة والمنافع المتعددة، (ج) مكة المكرمة كمدينة خضراء، و(د) مكة المكرمة كنموذج للحياة الطيّبة.

### مكة المكرمة كقبلة عالمية

بُوْرِكت مكة المكرمة بصلوات النبي إبراهيم (عليه الصلاة والسلام)، الذي طلب فيها أن تكون قلوب الناس معلقة بزيارة مكة المكرمة للتجدد والتَّحول الروحي. هناك فرصة لإعلان وتسخير مكة المكرمة كمدينة عالمية للحوار من خلال إستضافة منتدى عالمي في جدة قبل وقت الحج لمعالجة

التحديات المُلحّة للبشرية مثل الحوكمة والديمقراطية وحقوق الإنسان والقضايا المالية والصحة البشرية وحقوق المرأة والتعلم والابتكار. يكمن جوهر الحج، إلى جانب البعد الروحي، في تلاقح المعرفة والتجارب الفضلى ودراسة المخاطر الحالية والتهديدات والتحديات العالمية.

يمكن أن يقال نفس الشيء عن القدس كمدينة كان فيها النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) إماما لجميع الأنبياء في المسجد الأقصى. وهذا يدل، من نظرة اسلامية عالمية، على أنَّ الإسلام ليس دينا جديدا ولكنه سلسلة متصلة ومكملة لجميع الديانات السماوية.

## مكة المكرمة والمنافع المتعددة

يشمل مفهوم المنافع، كما جاء في سورة الحج (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ)، رفاهية الإنسان وسُبل العيش الكريم والتنمية الاجتماعية والاقتصادية والبشرية والتطور الذي محوره الإنسان. تشمل المنافع أيضا كرامة الإنسان وتغذية العقل البشري والروح والرفاهية. عَيْشُ تجربة مكة المكرمة يجب أن تكون تجربة تحولية وتعلّم من التاريخ والرحلة الشخصية للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي ألهم الأمة لتَحمُّل مسؤولية الإنسان وتجسيد الرؤية والولاية العالمية وذلك لنشر الرحمة للبشرية.

## مكة المكرمة كمدينة طيبة وخضراء

من خلال إدراك التحديات العالمية من تغير المناخ والتلوث والإفراط في الاستهلاك وفقدان التنوع الحيوي والفقر، يمكن أن تكون مكة المكرمة نموذجا رياديا لشرح كيفية الانتقال إلى اقتصاد قليل الكربون، يمكن أن يُسهم في توليد أفكار جديدة لتحقيق اقتصاد أخضر مثل الحمى والوقْف. مكة المكرمة، ومنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، غنية في مجال الطاقة الشمسية، وإذا تم تسخير هذه الطاقة المتجددة بشكل جيد في البيئة المبنية وصناعة السيارات وتكنولوجيا المعلومات والإتصالات، عندها يمكن أن تكون نموذجا لتحقيق الرخاء دون أن تكون معتمدة كُليا على النفط الأحفوري.

## مكة المكرمة كنموذج للحياة الطيّبة

إن الانسجام والتوازن والحوكمة والكرامة الإنسانية والمصالحة بين الإنسان والطبيعة والآخر هي المكونات الأساسية للحياة الطيّبة. تُعتبر التجربة التاريخية الغنية للحج قصَّة من التكافل

الإجتماعي والتعاطف الإنساني؛ وهما يعتبران حجر الزاوية لحياة طيّبة ومدينة طيبة. يشمل العيش لبضعة أيام في مكة المكرمة على ممارسات طيبة وطعام طيب (غذاء النبي عليه الصلاة والسلام)، وتوحيد المظهر في الملابس البيضاء والتوحيد في ذكر الله. في جوهرها، ما هي إلا عباره عن الكفاح والاجتهاد والزُهد.

سيناقش القسم التالي كيف يعزز القرآن الكريم مفهوم الذكاء المستمد من الطبيعة الناتج عن التعلم العميق والتأمل والتحول.

**الذكاء المستمد من الطبيعة: الإلهام من آيات القرآن الكريم**

فيما يلي مجموعة الأمثلة التي ستُسلِّط الضوء على الروعة والترتيب والانسجام والجمال المنبثقين من القرآن الكريم كما هو موثق من قبل Yahya Harun (٢٠٠٢):

امتلك القرآن الكريم، منذ نزوله، لغة ونغمة يسهل فهمها وتتصفان بقربهما من جميع الناس في جميع الأوقات. يخبرنا الله عن ذلك بقوله تعالى: «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ»، (سورة القمر، آية ٢٢).

كمال اللغة الأدبية للقرآن الكريم والميزات الفريدة في أسلوبه والمعرفة العميقة الموجودة فيه ما هي إلا بعض من البراهين القاطعة على أنه كلام الخالق. بالإضافة إلى ذلك، يحتوي القرآن ضمن كلماته على العديد من المُعجزات التي تثبت أن هذا الكلام هو كلام الله. وواحدة من هذه الصفات هي العدد الملحوظ من الحقائق العلمية التي وردت في كتاب الإسلام. في هذا الكتاب، الذي أُنزله الله تعالى قبل أربعة عشر قرنا على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، أمثلة لا تُعد ولا تُحصى من المعلومات التي لم يتمكن الإنسان من اكتشافها إلا باستخدام التكنولوجيا في القرنين العشرين والحادي والعشرين. وفيما يلي مجموعة من الأمثلة التي توضِّح مفهوم الإحسان وارتباطه بالاستدامة:

**الاحسان كنظام وتوازن**

تتحرك المليارات من النجوم والمجرات في الكون في توازن تام في المسارات المحددة لها. وتدور النجوم والكواكب والأقمار ليس فقط حول المحاور الخاصة بها ولكن أيضا جنبا إلى جنب مع النظام التي هي جزء لا يتجزأ منه. في بعض الأحيان، تحتوي المجرات على ٢٠٠ إلى ٣٠٠ بليون نجم

يتحركون عبر مسارات بعضها البعض. والأكثر إدهاشا بأنه لا يوجد هناك أي اصطدامات بينها مما قد يدمر الترتيب العظيم في الكون. هذه المعجزة هي شيء أكبر من أن نقوم بإدراكه.

في الكون، يحمل مفهوم السرعة أبعادا عملاقة بالمقارنة مع القياسات الأرضية. تزن النجوم والكواكب والمجرات والتجمعات من المجرات - التي لا يمكن إحصاء خصائصها العددية إلا من قبل عُلماء الرياضيات - مليارات أو تريليونات الأطنان، وتتحرك عبر الفضاء بسرعة غير عادية. على سبيل المثال، تدور الأرض بسرعة ١٦٧٠ كلم في الساعة (١٠٣٨ ميلا في الساعة). إذا اعتبرنا أن أسرع رصاصة متحركة اليوم تمتلك سرعة بمتوسط ١٨٠٠ كلم في الساعة، عندها يمكننا أن نرى مدى سرعة الارض على الرغم من حجمها الهائل والشامل. فإذا كنّا قادرين على بناء مركبة قادرة على التحرك بتلك السرعة، فسوف تكون قادرة على الدوران حول الأرض في ٢٢ دقيقة. تنطبق هذه القياسات على الأرض فقط. أما تلك المتعلقة بالنظام الشمسي فهي أكثر من مدهشة. تتجاوز سرعة هذا النظام حدود العقل: كلما كانت الأنظمة في الكون أكبر حجما كلما زادت سرعتها. وتُقدَّر سرعة النظام الشمسي في المسار حول مركز المجرة بحوالي ٧٢٠٠٠٠ كلم في الساعة. تتحرك درب التبانة، مع نحو ٢٠٠ مليار نجم، عبر الفضاء بسرعة ٩٥٠٠٠٠ كلم في الساعة.

ليس هناك شك من وجود مخاطر عالية جدا للاصطدامات في مثل هذا النظام المعقد وسريع الحركة. لكن لم يحدث شيء من هذا القبيل حتى الآن ونحن مستمرون في الحياة بأمان كامل؛ وذلك لأن كل شيء في الكون يعمل وفقا لتوازن لا تشوبه شائبة ومقدَّر من قبل الله تعالى. ولهذا السبب، كما جاء في القرآن الكريم، لا يوجد «تناقض» في النظام.

قال الله تعالى: "الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ* ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ"،

( سورة المُلك، الآيات ٣-٤).

ظهرت الفلسفة المادية بالإدعاء بأن جميع الأنظمة في الطبيعة والكون كانت مثل الآلات التي تعمل من تلقاء نفسها، وأن النظام والتوازن الخاليان من العيوب داخلها وُجِدا بمحض الصدفة. وقد أثبتت الاكتشافات العلمية المتتالية في القرن العشرين في مجالات الفيزياء الفلكية وعلم الأحياء بأن الحياة والكون قد تم خلقهما. وقد بينت هذه الاكتشافات أن هناك تصميم وضبط عظيمان في العالم المادي وهذا أثبت، بشكل قاطع، عدم صحة الفلسفة المادية.

وبالنظر إلى الشروط الأساسية للحياة، نرى بأن الأرض فقط تحقق هذه الشروط الخاصة.

من أجل تحقيق بيئة مناسبة للحياة، هنالك عدد لا يُحصى من الشروط التي تحدث في وقت واحد ودون توقف في كل مكان. هناك بعض مئات المليارات من المجرات، كل منها يحتوي على متوسط مئة بليون نجم. وربما تحتوي كل المجرات على عدد من الكواكب مساوي لعدد النجوم. وبالنظر إلى هذه الأرقام الهائلة، يستطيع المرء فهم أهمية تشكيل مثل هذه البيئة الاستثنائية على الأرض.

تعتبر كل تفاصيل الكون مثالية لحياتنا؛ من قوة الانفجار الكبير إلى القيم المادية للذرات، ومن مستويات القوى الأربع الأساسية إلى العمليات الكيميائية في النجوم، ومن نوع الضوء المنبعث من الشمس إلى مستوى لزوجة الماء، ومن المسافة بين القمر والأرض إلى مستوى الغازات في الغلاف الجوي، ومن المسافة بين الأرض والشمس إلى زاوية ميلانه عن مداره، ومن السرعة التي تدور فيها الأرض حول محورها الخاص إلى وظائف المحيطات والجبال على الأرض. يصف العلم اليوم هذه الميزات من خلال مفاهيم «مبدأ الأنتروبيا» (entropy) وتُلخِّص هذه المفاهيم كيف أن الكون ليس بلا هدف أو غير منضبط أو جاء بالصدفة، بل لديه سبب مُوجَّه نحو حياة الإنسان، وقد تم تصميمه بدقة عظيمة.

تلفت الآيات أعلاه الإنتباه إلى القياس والإنسجام في خلق الله. استُخدِمت كلمة «تقدير» التي تعني «تصميم أو قياس أو خلق من خلال قياس» في الآيات القرآنية مثل سورة الفرقان. واستُخدِمت كلمة «طِباق» ومعناها «في وئام» في سورة المُلك وسورة نوح. بالإضافة إلى ذلك، يبين الله في سورة المُلك، مُستخدما كلمة «تفاوت» بمعنى «خلاف أو غير مطابق» أن أولئك الذين يسعون للتنافر سوف يفشلون في العثور عليه.

مصطلح «الانتروبيا» (entropy)، والذي بدأ استخدامه في نهاية القرن العشرين، يمثل هذا الحقيقة المبينة في الآيات. على مدى ربع القرن الأخير أو نحو ذلك، أظهر عدد كبير من العلماء والمفكرون والكتاب أن الكون ليس مجموعة من المُصادفات. على العكس من ذلك، فهو يحتوي على تصميم ونظام غير عاديان ومثاليان للحياة البشرية في كل التفاصيل كما هو موثق من قبل Yahya Harun(٢٠٠٤).

يعتمد وجود الكربون، الذي هو أساس الحياة كلها، على درجة الحرارة المتبقية ضمن حدود مُعيّنة. الكربون هو مادة أساسية للجزيئات العضوية مثل الأحماض الأمينية والأحماض النووية والبروتين التي بدورها تشكل أساس الحياة. لهذا السبب، يمكن أن تكون الحياة فقط مستندة على الكربون. ونظرا لهذا، يجب أن تكون درجة الحرارة الحالية أقل من -٢٠ درجة مئوية، وليس

أعلى من ١٢٠ درجة مئوية. وهذه ليست سوى حدود درجة الحرارة على كوكب الأرض.

هذا ليس سوى عدد قليل من التوازنات الحسَّاسة جدا والتي تعتبر أساسية للحياة على الأرض؛ للنشوء والبقاء على قيد الحياة. وهذه التوازنات كافية لتكشف بشكل قاطع بأن الأرض والكون لا يمكن أن يكونوا قد أتوا إلى حيز الوجود نتيجة لعدد من الصدف المتوالية. ويعتبر مفهوما «الضبط» و»المبدأ الأنتروبي»، اللذان بدأ استخدامهما في القرن العشرين، دليلا آخر على خلق الله. وقد وصف القرآن الكريم الانسجام والتناسب في الكون بدقة رائعة قبل أربعة عشر قرنا.

تعتبر نسبية الزمن اليوم حقيقة علمية مؤكدة. وتم اكتشاف هذه الحقيقة من قبل نظرية أينشتاين النسبية في بداية القرن العشرين. وحتى ذلك الحين، لم يعرف بأن الوقت نسبي، ولا بأنه يمكن أن يتغير وفقا للظروف. أثبت العالِم الشهير ألبرت أينشتاين هذه الحقيقة من خلال اكتشاف نظرية «النسبية». فقد أظهر بأن الوقت يعتمد على الكتلة والسرعة. لقد قام القرآن الكريم بإدراج هذه المعلومات - بأن الوقت نسبي- قبل ذلك بكثير. كما تبين الآيات التالية: «وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ»، (سورة الحج، آية ٤٧)، «يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ»، ( سورة السجدة، آية ٥).

### الإحسان في خلق الازواج

«سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ»، (سورة يس، آية ٣٦). في حين أن «الذكر والأنثى"مساوي لمفهوم «الزوج»، فإن مفهوم «مما لا يعلمون»، كما ورد في القرآن الكريم، يحمل معنى أوسع. في الواقع، نواجه في وقتنا الحاضر واحدة من المعاني المشار إليها في الآية. الفيزيائي البريطاني Paul Dirac، الذي إكتشف بأن المادة خُلِقَت على شكل أزواج، فاز بجائزة نوبل للفيزياء في عام ١٩٣٣ م. هذا الاكتشاف، والمعروف باسم «التماثل»، كشف الازدواجية المعروفة باسم المادة واللامادة. وتحمل مكافحة المادة الخصائص العكسية للمادة. على سبيل المثال، خلافا للمادة، الإلكترونات المكافحة للمادة هي إيجابية والبروتونات سلبية. أثبت العلم أن كل جُسيم له جُسيم مضاد له يحمل شحنة معاكسة. مثال آخر على الازدواجية في الخلق هو النباتات. إكتشف علماء النبات أن هناك تمييز بين الجنسين في النباتات منذ نحو مئة عام.

كما نعلم، الثمار هي المُنتج النهائي الذي يَنْتُج من نضوج النباتات. المرحلة قبل تكَوُّن الثمرة هي الزهرة. والزهرة لديها أيضا أعضاء من الذكور والإناث. عندما يتم حمل حبوب اللقاح إلى الزهرة ويحدث الإخصاب، تبدأ بِحَمل الثمار. تنضج الثمرة تدريجيا وتبدأ بإطلاق البُذُور. حقيقة

أن الثمار لها سِمات خاصة بنوع الجنس هي معلومة أخرى من المعلومات العلمية المُشار إليها في القرآن الكريم.

**الإحسان في خلق الانسان**

"مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ *"، (سورة عبس، الآيات ١٨-٢٠).

عندما تُلقِّح الخلايا المنوية للأب بويضة الأم، تجتمع جينات الوالدين لتحديد جميع خصائص الطفل الجسدية. كل واحد من هذه الجينات لديه وظيفة محددة. فالجينات هي التي تُحدِّد لون العينين والشعر والطول وملامح الوجه وشكل الهيكل العظمي وتفاصيل أخرى لا حصر لها في الأعضاء الداخلية والمخ والأعصاب والعضلات. وبالإضافة إلى جميع الخصائص الفيزيائية، فإن الآلاف من العمليات المختلفة التي تجري في الخلايا والجسم والتي تسيطر على كامل النظام مُسجَّله في الجينات. على سبيل المثال، إذا كان ضغط الدم لشخص ما بشكل عام عالي أو منخفض أو عادي فهذا يعتمد على المعلومات الموجودة في الجينات.

تُشكِّل الخلية الأولى التي تتكون من اندماج الحيوان المنوي والبويضة النُسخة الأولى من جُزَيء الحمض النووي الذي سوف يحمل الشيفرة في كل خلية من جسم الإنسان من الميلاد وحتى الموت. الحِمْض النووي هو جُزيء ذو حجم كبير. وهو محمي بعناية كبيرة داخل نواة الخلية، وهذا الجُزَيء هو بنك المعلومات لجسم الإنسان لأنه يحتوي على الجينات التي ذكرناها أعلاه. تَنقسِم الخلية الأولى، البويضة المُخصَّبة، وتتكاثر حسب برنامج مُسجَّل في الحمض النووي. ثم تبدأ الأنسجة والأعضاء بالتشكُّل: وهذه هي بداية الإنسان. يتم التنسيق بين هذه الهيكلة المُعقدة بواسطة جزيء الحمض النووي. ويتكون هذا الجُزَيء من ذرات مثل الكربون والفوسفور والنيتروجين والهيدروجين والأكسجين.

أذهَلَ حجمُ المعلومات المسجلة في الحمض النووي العلماء. فهناك ما يكفي من المعلومات في جُزَيء واحد من الحمض النووي البشري لِملِئ مليون من صفحات الموسوعة أو ألف مجلّد. بمعنى آخر، تحتوي نُواة الخلية على معلومات تُعادل ما هو موجود في موسوعة من مليون صفحة. يقوم الحمض النووي بالتحكم في جميع وظائف الجسم البشري. ولإجراء المقارنة، تحتوي الموسوعة البريطانية (Encyclopaedia Britannica)، وهي واحدة من أكبر الموسوعات في العالم، على ما مجموعه ٢٥, ٠٠٠ صفحة. إلّا أن جُزَيء واحد في نواة الخلية، والتي هي أصغر بكثير من الخلية، يحتوي على مخزن للمعلومات أكبر ٤٠ مرة من أكبر الموسوعات في العالم. وهذا يعني أن ما لدينا هنا

هو موسوعة من ١٠٠٠ مجلد، لكن مثل هذه الموسوعة غير موجودة في أي مكان على وجه الأرض. يعتبر ذلك معجزة في التصميم والخلق داخل أجسامنا الخاصة.

مع الأخذ بعين الإعتبار أن فرانسيس كريك هو من اكتشف بُنية الحمض النووي في عام ١٩٥٣، نجد أن القرآن الكريم قد أشار إلى مفهوم «التخطيط الجيني» في وقت كانت فيه المعرفة البشرية محدودة جدا، كما ذكرنا سابقا. لم يكن علماء الوراثة قادرين على مناقشة هذه الحقائق حتى نهاية القرن التاسع عشر وكانت هذه الحقائق برهان على أن القرآن هو كلام الله كما هو موثق من قبل Harun(٢٠٠٢).

وضح القرآن الكريم مفهوم الإحسان عن طريق تشبيهه بشجرة الزيتون. لقد كشفت البحوث في السنوات الأخيرة أن الزيتون يمثل مصدرا هاما للصحة الجيدة. وبالإضافة إلى الزيتون نفسه، فإن زيت الزيتون هو أيضا مصدرا هاما للتغذية. وتمت الإشارة إلى زيت الزيتون في القرآن الكريم في الآية: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لّا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (سورة النور، آية ٢٤).

## الإحسان في الأنواع والبيئات (الموائل)

«وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ»، (سورة الأنعام، آية ٣٨). نتيجة لدراسة معاصرة لبيئة الحيوانات والطيور، أصبحنا نَعلَم أن كل الحيوانات والطيور تعيش على شكل مجتمعات منفصلة. وقد أظهرت دراسات مطولة وواسعة النطاق أن هناك نظاما اجتماعيا منهجي بين الحيوانات. فعلى سبيل المثال، يبني النحل، الذي أذهَلت حَياتُه الاجتماعية العلماء، أعشاشه على شكل مستعمرات في جوف الشجر أو غيرها من الأماكن المغطَّية. وتتكون مستعمرة النحل من الملكة وبضع مئات من الذكور و١٠ الى ٨٠٠٠٠ من العمال. هناك ملكة واحدة فقط في كل مستعمرة ومُهمتها الأساسية هي وضع البيض. بالإضافة إلى ذلك، تفرز الملكة المواد الهامة التي تحافظ على وِحدة المستعمرة وتسمح للنظام داخل الخلية بالعمل. وظيفة الذكور هو إخصاب الملكة فقط. جميع الوظائف الأخرى، مثل بناء أمشاط العسل في الخلية وجمع الغذاء وإنشاء غذاء ملكات النحل وتنظيم درجة حرارة الخلية والنظافة والدفاع عن الخلية، يُنفذها العُمال. هناك نظام في كل مرحلة من مراحل الحياة في الخلية. جميع الواجبات، من رعاية اليرقات إلى توفير الإحتياجات العامة للخلية، يتم تنفيذها بعناية ودقة.

يُظهر النمل، على الرغم من أنه يمثل العدد الأكبر من الكائنات في العالم، نظاما يُمكن أن يكون بمثابة مِثال أعلى للبشر في العديد من المجالات؛ التكنولوجيا والعمل والإستراتيجية العسكرية وشبكة إتصالات متقدمة ونظام هرمي وتخطيط المدن المنضبط والخالي من العيوب. النمل يعيش في مجتمعات معروفة بإسم المستعمرات ولديه حضارة كالبشر.

وكما يُنتج النمل ويُخزِّن غذائه، يقوم برعاية صغاره، ويدافع عن المستعمرة ويَشُنُّ حربا ضد أعدائه. بل أن هناك مستعمرات تشارك في «الخياطة» و«الزراعة» و«تربية الحيوانات». هذه الحيوانات لديها شبكة إتصالات قوية جدا فيما بينها. وتعلو منظمتهم الاجتماعية وخبرتهم على أي شيء حي. تتفاعل الحيوانات المجتمعية التي تعيش حياة منظمة معا في مواجهة الخطر. على سبيل المثال، عندما تدخل الطيور الجارحة مثل الصقر أو البوم المنطقة، تحيط الطيور الأصغر هذه الطيور بشكل جماعي. ثم تصدر صوتا خاصا لترشد الطيور الأخرى للمنطقة. السلوك العدواني المنظم العرض بواسطة الطيور الصغيرة بشكل جماعي يدفع الطيور الجارحة بعيدا.

تحمي أعضاء سرب الطيور التي تُحلق معا بعضها البعض. على سبيل المثال، عندما يحلِّق طائر الزرزور في قطيع، يتركون مسافة واسعة بين بعضهم البعض، لكن عندما يَرون الصقر تقوم بإغلاق المسافة فيما بينها. وبالتالي تجعل من الصعب على الصقور الدخول في وسط القطيع. حتى إذا استطاع الصقر فِعل ذلك، فسيعمل على إلحاق الأذى بنفسه. سوف تتضرر جناحيه ولن يكون قادرا على الاصطياد. تتصرف الثدييات كمجموعة عندما يكون هناك هجوم على الجماعة. على سبيل المثال، تأخذ الحمر الوحشية صغارها في وسط القطيع عندما تَفِر من الأعداء. تسبح الدلافين أيضا في مجموعات وتحارب العدو الأكبر لهم، أسماك القرش، كمجموعة.

**الإحسان ومحاكاة الطبيعة**

"وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ". (سورة النحل، آية ٦٦).

يبحث العلماء وخبراء البحوث والتنمية قبل المُباشرة في مشاريع جديدة عن نماذج موجودة في الكائنات الحية ويعملون على تقليد أنظمتها وتصاميمها. وبعبارة أخرى، فهم يعملون على دراسة النماذج والتصاميم التي خلقها الله سبحانه وتعالى في الطبيعة ويَمضون في تطوير نماذج وتقنيات جديدة خاصة بهم ومستوحاة منها. وقد أدى هذا النهج الى ولادة علم القياسات الحيوية أو Biometrics، وهو فرع جديد من العلوم يسعى إلى محاكاة الكائنات الحية. وفي الآونة الأخيرة،

تم اعتماد هذا الفرع من العلوم وتطبيقه على نطاق واسع في عالم التكنولوجيا. إنّ استخدام كلمة «عبرة» تشير الى التعلم ومحاكاة الطبيعة.

ويشير علم «محاكاة الطبيعة» أو ال Biomemics إلى جميع المواد والمعدات والآليات والأنظمة التي ينتجها الناس من أجل تقليد الأنظمة الموجودة في الطبيعة. ويشعر المجتمع العلمي حاليا بأنه بحاجة ماسة لاستخدام هذه المعدات، وخاصة في مجالات تكنولوجيا النانو وتكنولوجيا الروبوت، والذكاء الاصطناعي والطب والجيش. طُرح مفهوم «محاكاة الطبيعة» لأول مرة من قبل Janine M. Benyus، الكاتبة والباحثة العلمية من ولاية مونتانا (Montana State). وبعد ذلك تم تحليل وتطبيق هذا المفهوم في وقت لاحق من قبل العديد من قِبل الباحثين.

ويشير مفهوم «محاكاة الطبيعة» إلى أنّ هناك الكثير لنتعلمه من العالم الطبيعي، باعتباره نموذجا ومقياسا ومُرشدا. ويشترك هؤلاء الباحثون في تعظيم التصاميم الطبيعية واعتبارها مصدراً لإلهامهم لاستخدام هذه التصاميم في حل مشاكل الإنسان. يقول David Oakey، خبير تخطيط وتصميم نماذج لشركة Interface Inc.، وهي شركة تستخدم الطبيعة لزيادة جودة المنتج والإنتاجية، أنه يستوحي أعماله وتصاميمه من الطبيعة التي يعتبرها مُرشداً له في هذا المجال، فهي نموذج لطريقة الحياة. وقد عمل نظام الطبيعة على مدى ملايين السنين، وبالتالي فان محاكاة الطبيعة هي وسيلة للتعلم منها.

سَرّع العلماء الذين بدأوا بدعم هذه الفكرة دراساتهم في هذا المجال وذلك باستخدام تصاميم الطبيعة التي لا تُضاهى والخالية من العيوب كنماذج لهذه الدراسات. تُعتبر هذه التصاميم نموذجا للبحوث التكنولوجية لأنها توفِّر أقصى قدر من الإنتاجية بأقل كمية من المواد والطاقة، كما أنها تحافظ على نفسها، وهي صديقة للبيئة وصامتة وجذابة، من الناحية الجمالية، وهي أيضا مقاومة وطويلة الأمد. وصفت «The High Country News » عِلم «محاكاة الطبيعة» أو «Biomemics» بأنه «حركة علمية» تستخدم النظم الطبيعية لخلق تكنولوجيا أكثر دقة واستدامة. وأعطت Janine M. Benyus (٢٠٠٢)، التي آمنت بأنه يجب أن يتم تقليد النماذج في الطبيعة، الأمثلة التالية في كتابها «Biomimcry: Innovation Inspired by Nature»:

- تَعبُر الطيور الطنانة خليج المكسيك بأقل من ٣ غرامات (واحد على عشرة من اوقية) من الوقود.

- هزم اليعسوب أفضل طائرات الهليكوبتر.

- تتفوق أنظمة التدفئة وتكييف الهواء في تلال النمل الأبيض من حيث المعدات واستهلاك الطاقة على تلك التي صنعها البشر.

- تُعتبر أجهزة الإرسال عالية التردد للخفاش أكثر كفاءة وحساسية من أنظمة الرادار الخاصة بنا.

- تَجمع الطحالب الباعثة للضوء المواد الكيميائية المختلفة لإنارة أجسادها.

- تتجمد أسماك وضفادع القطب الشمالي بصلابة ومن ثم تعود إلى الحياة بعد أن حمت أعضائها من التلف بسبب الجليد.

- تُغيّر الحرباء والحبار لون جلودها لتتجانس على الفور مع البيئة المحيطة.

- يتنقل النحل والسلاحف والطيور من دون خرائط.

- تغوص الحيتان وطيور البطريق دون معدات غوص.

لدى هذه الآليات والتصاميم المذهلة في الطبيعة، والتي ذكرناها اعلاه، القدرة على تخصيب التكنولوجيا في مجموعة واسعة من المجالات. وقد أصبحت هذه الإمكانية أكثر وضوحا لدينا من أي وقت مضى لازدياد تراكم المعرفة ومعدات التكنولوجيا. تمتلك جميع الحيوانات العديد من الميزات التي تُدهش البشر. فلدى بعضها أشكالا هيدروديناميكية (مائعة) مثالية تسمح لها بالانتقال عن طريق المياه، والبعض الآخر لها القدرة على توظيف حواسها التي تعتبر غريبة جدا بالنسبة لنا. لقد واجه العلماء معظم هذه الميزات للمرة الأولى، أو تم اكتشافها مؤخرا فقط. في بعض الأحيان، من الضروري أن يجتمع علماء بارزين في مجالات مختلفة مثل تكنولوجيا الحاسوب، والهندسة الميكانيكية والالكترونيات والرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء من أجل تقليد ميزة واحدة فقط لكائن حي.

أدهشت التصاميم والنظم الطبيعية التي تم إكتشافها مع مرور الأيام العلماء، واستخدم العلماء هذه التصاميم والنظم كإلهام لإنتاج تقنيات تكنولوجية جديدة تخدم البشرية، مدركين بأن النظم القائمة المتصفة بالكمال والتقنيات الاستثنائية المُطبقة في الطبيعة تفوق معرفتهم الخاصة وذكائهم. أصبح العلماء على بيّنة من أن احتواء هذه النظم لحلولٍ فريدة للمشاكل القائمة التي

يواجهها الانسان، وبالتالي لجأوا إلى هذه التصاميم لحل المشاكل التي عجزوا عن إيجاد الحلول لها لسنوات. ونتيجة لذلك، يمكن تحقيق النجاح في وقت قصير جدا. وعلاوة على ذلك، ومن خلال محاكاة الطبيعة، يحقق العلماء مكاسب هامة جدا فيما يتعلق بالوقت والعمل وأيضا إلى الاستخدامات المستهدفة من الموارد المادية.

ونرى اليوم أن التكنولوجيا المتطورة تَكتَشف تدريجيا معجزات الخلق وتقوم باستخدام تصاميم الطبيعة غير العادية الموجودة في الكائنات الحية، كما في حالة «محاكاة الطبيعة» أو «Biomemics»، لخدمة الإنسانية. وذكرت Benyus أن «»فعلها على طريقة الطبيعة، يمكن أن يؤدي إلى تغيير الطريقة التي تنمو فيها المواد الغذائية، وصناعة المواد وتسخير الطاقة وشفاء أنفسنا وتخزين المعلومات وإدارة الأعمال». وقد تم نشر عدد من المقالات التي تحمل العناوين التالية:

1. Science is Imitating Nature, Life's Lessons in Design,
2. Biomimicry: Secrets Hiding in Plain Sight,
3. Biomimicry: Innovation Inspired by Nature, Biomimicry, Genius that Surrounds Us,
4. Biomimetics: Creation Materials from Nature's Blueprints, and Engineers
5. Ask Nature for Design Advice.

في القرن التاسع عشر، تم تقليد الجوانب الجمالية للطبيعة فقط. وقد تأثر الفنانون والمهندسون المعماريون في ذلك الوقت بالطبيعة واستخدموا أمثلة من المظاهر الخارجية للتصاميم الطبيعية في أعمالهم. ومع ذلك، فإدراك تصاميم الطبيعة الاستثنائية ومدى منفعتها لحل المشاكل التي تواجه البشر لم يبدأ إلّا في القرن العشرين من خلال دراسة الآليات الطبيعية على المستوى الجزيئي.

ويشير القرآن الكريم الى ذلك عندما سرد حياة النبي سليمان (عليه الصلاة والسلام) فَذَكَر أن للنمل نظام إتصالات. قال تعالى: «حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ»، (سورة النمل، الاية ١٨).

وقد كشفت الأبحاث العِلمية على النمل أن لها حياة إجتماعية مُنظمة جدا وأن للنمل أيضا شبكة إتصالات معقدة. على سبيل المثال، أفادت National Geographic بوجود أعضاء

حِسِيَّة متعددة تحملها النملة في رأسها لالتقاط الإشارات البصرية والكيميائية الحيوية وتَحمِلها إلى مستعمراتها التي قد تحتوي على مليون أو أكثر من العمال، وكلها من الإناث. ويحتوي دماغ النملة على نصف مليون من الخلايا العصبية، والعيون المركبة، والهوائيات التي تعمل كأنها أنف. وتوجد أعضاء التذوق في الفم ويستجيب الشعر للَّمس.

يستخدم النمل مجموعة متنوعة من أساليب التواصل وذلك بفضل أعضاء الاستشعار الحسّاسة جدا. ويستخدم النمل هذه الأعضاء في جميع الأوقات، سواء للعثور على فريسة أو للحاق ببعضهم البعض أو لبناء أعشاشها أو لشن الحرب. وبوجود ٥٠٠ ألف خلية عصبية في جسد النملة، الذي يتراوح طوله ما بين ٢-٣ مم، فهي تمتلك نظام إتصالات يُذهل البشر. وقد تم تقسيم ردود الفعل التي يستعملها النمل في إتصالاته الى عدة فئات محددة كالتنبيه والتوظيف والاستمالة وتبادل السائل عن طريق الفم والشرج والتأثير على الجماعة والتعرف على بعضها البعض وتحديد الفئة الاجتماعية. ويعيش النمل حياة مبنية على تبادل المعلومات فيما بينها، وفي مجتمعات منظمة وفقاً لردود الفعل المختلفة. ولتحقيق هذا التبادل، يظهر النمل أحيانا تواصل لا تشوبه شائبة حيث أن البشر في كثير من الأحيان لا يمكنهم حل هذا التواصل عن طريق الكلام مثل التعايش والمشاركة والتنظيف والدفاع.

يتواصل النمل بشكل رئيسي بطرق كيميائية فيستعمل مواداً تُوصف بأنها نصف كيميائية تُعرف باسم الفيرومونات (pheromones)؛ وهي مركبات كيميائية يتم تحفيزها بالرائحة وتفرزها الغدد الداخلية للنمل. وبالإضافة إلى ذلك، تلعب الفيرمونات الدور الأهم في تنظيم مجتمعات النمل. فعندما تفرز نملة مركب الفرمون، يتم استقباله من قبل النملة الأُخرى عن طريق الشم أو الذوق وبالتالي يتم التجاوب فيما بينها بحسب الحالة. وقد كشفت البحوث التي تم إجرائها على فيرومونات النمل أنه يتم انبعاث جميع الإشارات وفقاً لاحتياجات المستعمرة. وعلاوة على ذلك، تختلف شدة الفرمون المُنبعثة باختلاف الحالة وأهميتها.

كما رأينا، يحتاج النمل الى معرفة عميقة في الكيمياء للقيام بما يقوم به. وقد أكّد القرآن على هذه الحقيقة قبل ١٤٠٠ سنة عندما لم يعلم أحد هذه المعلومة عن النمل، وهي معجزة أخرى من المعجزات العلمية والإحسان في الخلق.»إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» (سورة الأنعام، الاية ٩٥).

في الآية المذكورة أعلاه، يجب الانتباه إلى دورة الغذاء التي لم يعرف الناس عنها شيئاً في

الفترة قبل نزول القرآن الكريم. فعندما يموت كائن حي، سرعان ما تبدأ الكائنات الحية الدقيقة بتحليله. وهكذا ينقسم الجسد الميت إلى جزيئات عضوية تندمج مع التربة وتُشكل المصدر الأساسي لغذاء النباتات والحيوانات، وفي نهاية المطاف، الإنسان. ولولا هذه الدورة الغذائية، لاستحالت الحياة على الأرض.

البكتيريا هي المسؤولة عن تلبية جميع احتياجات الكائنات الحية المعدنية والغذائية. وتعود النباتات وبعض الحيوانات، التي تدخل في مرحلة سبات طوال فصل الشتاء، الى الحياة في فصل الصيف وتوفر جميع احتياجاتها المعدنية والغذائية من خلال الأنشطة البكتيرية خلال فصل الشتاء. تقوم البكتيريا طوال فصل الشتاء بفصل النفايات العضوية (مثل النباتات والحيوانات الميتة) وتحويلها إلى معادن. وهكذا، عندما تستيقظ الكائنات الحية في الربيع، تجد الطعام جاهزاً وبانتظارها. وبفضل البكتيريا، يتم إجراء عملية «التنظيف الربيعي» في البيئة وإعداد الكم اللازم من المواد الغذائية التي تحتاجه الكائنات الحية في الطبيعة عندما تعود إلى الحياة في الربيع.

كما رأينا، تلعب المخلوقات الميتة دورا حيويا في ظهور مخلوقات جديدة. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا التحول بطريقة جميلة مليئة بمفهوم الإحسان عندما قال الله تعالى «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ»، (سورة الروم، آيه ١٩).

في الملخص، نرى من خلال رحلة الإحسان هذه كيف يتجلى جوهر الجمال والتميز في الإنسان والطبيعة والكون الذي يُعتبر مصدراً لاستعادة الجمال الداخلي والخارجي ولضمان استدامة الحضارة البشرية التي تحتفل بفكرة العيش الجيد من أجل حياة جيدة بحيث تعيش جميع المجتمعات في الحياة في عالم قائم على النظم والابتكار والجمال.

## المراجع

Al-Faruqi, Ismail. (1998). Islam and Other Faiths. Ataullah Siddiqui (ed.), Leicester: The Islamic Foundation, in association with the International Institute of Islamic Thought, Herndon, VA.
Ali, Wijdan. (1996). What is Islamic Art? Mafraq, Jordan: Al- al Bayt University.
Azzam, Khaled. (2006). The Principles and Philosophy of Islamic Art. www.mullasadra.org (website accessed: Dec. 2010).
Ball, Philip. (2001). 'Life's Lessons in Design'. Nature, 409: 413–16.
Benyus, Janine M. (1998). Biomimicry: Innovation Inspired by Nature. New York: William Morrow and Company, Inc.
Bess, Philips. (2003). The City and the Good Life. The Christian Century. The Christian Century Foundation. www.christiancentury.org (website accessed Dec.1st 2010).
Capra, F. (1997). The Web of Life: A Scientific Understanding of Living Systems. Port Moody: Anchor.
Capra, F. (2002). The Hidden Connection: A Science for Sustainable Living. NY: Doubleday.
Davies, Paul. (1984). Superforce: The Search for a Grand Unified Theory of Nature, Simon Schuster Printing
Denton, Michael. (1998). Nature's Destiny: How the Laws of Biology Reveal Purpose in the Universe. New York: The Free Press, 12-13.
Foltz, Richard et al. (2003). Islam and Ecology. Cambridge, MA: Center for the Study of World Religions, Harvard Divinity School.
Harun, Yahya. (2002a). The Creation of the Universe. Ontario, Canada: Al-Attique Publishers.
Harun, Yahya. (2002b). The Miracle of Creation in DNA. New Delhi: Goodword Books.
Hawking, Stephen. (1988). A Brief History of Time. London: Bantam Press, 121–5.
Hölldobler, Bert and Wilson, Edward O. (1990). The Ants. Cambridge, Massachussetts: Harvard University Press.
Husaini, Waqar. (1999). The Quran for Astronomy and Earth Exploration from Space. (3rd edn.) New Delhi: Goodword Press.
La'li, Mahdi. (2003). Comprehensive Exploration of the Scientific Miracles in Holy Quran. Canada: Trafford Publishing, 35–8.
Moore, Keith. (1982). The Developing Human. (3rd ed.) Philadelphia: W.B. Saunders Company.
Moore, Keith et al. (1992). Human Development as Described in the Quran and Sunnah. Makkah: Commission on Scientific Signs of the Quran and Sunnah.
Sagan, Carl. (1983). Cosmos. Avenel, NJ: Wings Books, 5–7.
Wescoat, James L. (1995). 'From the Gardens of the Quran to the Gardens of Lahore', Landscape Research, 20: 19–29.

# الفصل الخامس

# الأرحام (الرأسمال الاجتماعي)

## ملخص

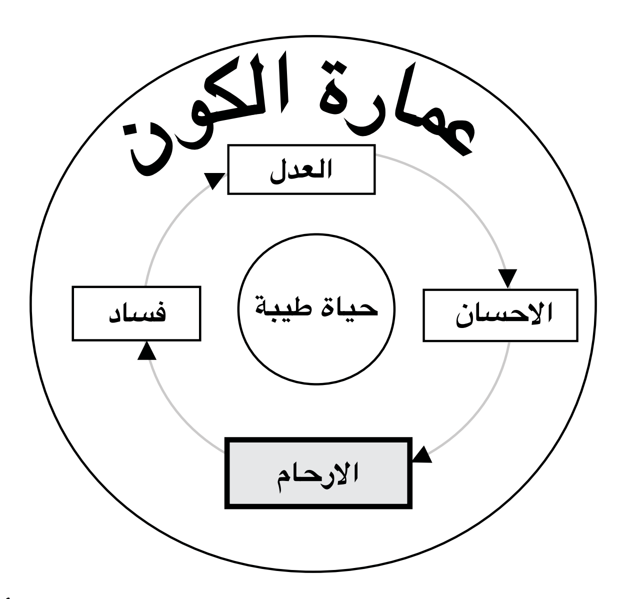
يتناول هذا الفصل العنصر الثالث من نموذج الاستدامة وهو الأرحام. يرتبط النظام الاجتماعي في الإسلام بشكل مُعقَّد بالوجود البشري، كما أنه يمثل المساحة التي يجد فيها البشر إمكانيات تحقيق الذات والنمو. ويمكن تقسيم النظام الاجتماعي الإسلامي إلى ثلاثة مستويات: الأمة والأسرة والفرد. في هذا الفصل، سوف يكون التركيز على الأُمة لأن هذا المجال يُجسد جوهر العمل الجماعي. وهذه الأمة المبنية على القيم يُطلق عليها إسم "الأمه الوسط" المكلّفة بتوفير أرضية مُشتركة وكلمة مُشتركة لجميع الناس. وتشمل الأرحام البعد الإنساني والاجتماعي من منظور إسلامي. وسيتم تناول النظام الاجتماعي وإتفاق الأمة الاجتماعي وأعراف المجتمع كجزء من شمولية النظرة الإسلامية. وسيتم تقديم الوقف كدراسة حالة لتوضيح التلاحم الاجتماعي والمسؤولية المجتمعية.

## الأهداف

١. عرض معنى وقيمة النظام الاجتماعي والعدالة الاجتماعية في الإسلام.

٢. استكشاف النظرية الاجتماعية في الإسلام كجزء من نظرية النظم.

٣. تقديم دراسة حالة عن الوقف كنموذج للتماسك الاجتماعي.




الشكل ١,٥ نموذج للتنمية المستدامة ضمن النظره الكونية الإسلاميه- الأرحام

**خلفية: النظرية الاجتماعية في الإسلام**

في شهر آذار من عام ٢٠١١ م، كنت في مهمة في داكار، عاصمة السنغال، حيث أُتيحت لي الفرصة لزيارة جزيرة جوري التي شهدت تجارة الرقيق لمدة ٣٠٠ سنة في الفترة ما بين القرن الثاني عشر والقرن الخامس عشر في المثلث الذي يربط بين أوروبا وأفريقيا والولايات المتحدة. تركتني هذه التجربة الحية لحضارة إنسانيه تقودها المكاسب المادية واستغلال البشر في أفريقيا مع العديد من الندوب وجعلتني أيضا أعيد التفكير في المبادئ الأساسية للتفكير الرأسمالي الذي يحركه النمو والسلطة والمال.

وفي نفس المهمة، سنحت لي الفرصة لزيارة قرية في داكار حيث يعيش ما يقارب ١٣٠٠٠ شخص، من السكان المحليين على صيد الأسماك، ويعيش سكانها في مساكن تتصل فيما بينها بأزقه عرضها ما يقارب المتر الواحد مُشكِّلة لوحة فسيفسائية عضويه تربط الناس بالطوب. وقد أثلج صدري رؤية امرأة كانت قد اصطادت للتو سمكتين كبيرتين مع ابتسامة كبيرة على وجهها، فقد أمَّنت وجبة الطعام لعائلتها لذلك اليوم. ولكن يشكو السكان المحليون في تلك القرية من وجود سفن عالمية ضخمه تأتي من جميع أنحاء العالم على طول المحيط الأطلسي لصيد ملايين الأطنان من

الأسماك، وينافسون بذلك السكان المحليين على قوتهم. لم تكن هناك أي وسيلة بيد أولئك الناس لفرض قوانين أو لمنع هذه السفن من أخذ طعامهم اليومي. هذه القصص البسيطة تنقل رسالة عن مدى ومستوى المساواة والعدالة في عالم تسوده العولمة مع إتفاقيات التجارة الحرة.

تُهيئ هذه الحالات المشهد لهذا الفصل الذي سوف أعرض فيه النظرية الاجتماعية في الإسلام. وثَّق Ul Haq (١٩٩٦) وChapra (١٩٧٠ , ١٩٩٢, ٢٠٠٨) النموذج الاجتماعي والاقتصادي في النظرة الكونية الإسلامية. ويستند هذا الفصل على عملهم. واعتزم تجديد إطار المكونات الأساسية للنظرية الاجتماعية في الإسلام في إطار نهج النظم، حيث أن جميع النظم الفرعية الإسلامية، بما في ذلك الروحية والثقافية والإقتصادية والسياسية والاجتماعية والتعليمية، تُعتبر إستمرارية لبعضها. لقد استخدمت مصطلح الأرحام، وهو الجمع لكلمة رَحِمْ، لأن كل الإنسانية تشترك في المنشأ نفسه. وسوف نستعرض فيما يلي المكونات الرئيسية للنظرية الاجتماعية في الإسلام.

## التوحيد كمعيار وأساس

يَنظر الإسلام للوجود الاجتماعي الإنساني بطريقة فريدة من نوعها، لأنه يرى أن كل البشر يعودون إلى نفس الأصل، آدم وحواء، وبالتالي فإننا جميعا نتشارك في القرابة ونحن جميعا من نفس شجرة العائلة بغض النظر عن اللون أو العرق أو الدين. هذا هو النظام الذي يُعد شاملا وجامعا. ويتناول هذا النظام احتياجات الناس المتعددة الأبعاد ويهدف إلى إرضائهم من خلال تفعيل القوانين الطبيعية والمجتمع، ويَصف السلوك المعياري للشخص ويرسم الأوامر والقوانين ومبادئ المجتمع والاقتصاد والسياسة. كما أنه يحدد أُسس المجتمع الصالح كما تجلى في المدينة المنورة عندما بدأ النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، في المجتمع النموذجي الأول. إلى جانب ذلك، يشير الإسلام إلى حاجة المجتمع المنظم ويُحدد اللُحْمَه والتلاصق لبناء العمل المجتمعي والمسؤولية المجتمعية والحكم المحلي.

وعلاوة على ذلك، فإن النظرة الإسلامية لديها نظرة نقدية ورؤى حول التاريخ البشري وعلى ظهور وسقوط الحضارات القديمة. وتحث النظرة الإسلامية على استخدام وتسخير التفكير التحليلي والمنطقي لشرح سبب وتأثير النشاط البشري على الاستدامة.

## توحيد العمل الفردي والجماعي

تم خلق الخلق وفقا للنظرة الإسلامية لغرض معين. وبالتالي، فإن البشرَ مسؤولون ويخضعون للمُساءلة. والدليل على ذلك موجود في القرآن الكريم: قال الله تعالى: "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ"، (سورة المؤمنون، آية ١١٥).

خلق الله البشر، وهم الأمناء والشهود، للقيام بمهمة وهي لخدمة شريعة وقوانين الله. على المستوى الفردي، هذا يعني أن على الإنسان عبادة الله الواحد، والتصرف بطريقة أخلاقية وإدراك إتجاهاته العليا. أما على المستوى الجماعي (المجتمعي)، فإن مهمة الفرد هي إقامة نظام إجتماعي أخلاقي لتحقيق حياة طيّبة. حياة الإنسان هي حياة النضال والتحدي المعنوي المتواصل. وأشار القرآن الكريم إلى هذه المهمة بمصطلح الأمانة، التي تعني استخدام العقل والفكر لضمان التوازن والنظام و"الحالة الطبيعية" على وجه الأرض.

يمكن أن يتحقق دور الإنسان بإعتباره وصيا فقط عندما تَتْبَع تصرفاته فهم حقيقي للإيمان، والمتأصل في وحدانية وتوحيد الله والإقتناع بأن جميع القيم والقوانين المعيارية مصدرها الله تعالى. ويعتمد نجاح الإنسان أو فشله في نظر الله على نيَّتِه في إضافة قيمة هادفة للحياة ولفعل الخير.

يقول الله تعالى في القران الكريم: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا * يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ * فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا"، (سورة الإسراء، آية ٧٠-٧١).

## توحيد النظام الاجتماعي والوجود الإنساني

يرتبط النظام الاجتماعي في الإسلام بشكل مُعقَّد بالوجود الإنساني حيث أنه يُمثل المساحة التي يجد فيها الإنسان إمكانيات تحقيق الذات والنمو وخدمة الله والبشر. على هذا النحو، فالنظام الاجتماعي في الإسلام يجب أن يكون قائما على التوجيه الإلهي، ومُصمَّم على القيم والأخلاق الإسلامية الدائمة. يريد القرآن أن يمنع الفساد في الأرض، والذي هو حالة من الانفلات الأخلاقي أو الاجتماعي أو السياسي في المجتمع عموما، على النحو المبين في مجموعة من الآيات في القرآن الكريم.

قال الله تعالى:

"وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ" (سورة البقرة، آية ١١).

"الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" (سورة البقرة، آية ٢٧).

"وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ" (سورة البقرة، آية ٢٠٥).

"وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا" (سورة آل عمران، آية ٥٦).

"قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ * فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا * ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (سورة آل عمران، آية ٨٥).

"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" (سورة الأنفال، آية ٦٤).

"أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ * وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" ﴿سورة هود، آية ١٦﴾.

"قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ" (سورة يوسف، آية ٧٣).

"وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ * أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ" (سورة الرعد آية ٢٥).

"الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ" (سورة النحل، آية ٨٨).

"الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ" (سورة الشعراء، آية ١٥٢).

"وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ * وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا * وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ *وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ * إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ" (سورة القصص، آية ٧٧).

ويَحْدُث الفساد عند وقوع البشر في الآثام. ويشير القرآن الكريم مرارا وتكرارا إلى نهاية الحضارات السابقة كدروس للبشرية. كانت وظيفة الأنبياء بناء نماذج من النظام الأخلاقي والاجتماعي الذي يوازن بين الاحتياجات الإنسانية والروحية. في خلاصة القول، إن الهدف الرئيسي في القرآن الكريم هو إنشاء نُظُم إجتماعية وأخلاقية قائمة على العدالة.

## النظام الاجتماعي الإسلامي

يُمكن تَقسيم النظام الاجتماعي الإسلامي إلى ثلاثة مستويات: الأمة والأسرة والفرد. وسوف يكون التركيز، في هذا القسم، على المجتمع لأن هذا المجال يُجسِّد جوهر العمل الجماعي والاختيار.

## أمة العمل والتفاعل الأيجابي

يَعتبر الإسلام النظام الاجتماعي بأنه أمر طبيعي وضروري لأنه "المسرح" الذي يُمكن للإنسان أن يدرك قدراته فيه. ويتم تشكيل السياسات والقرارات والخيارات ذات القيمه والمستوحاة من القيم الإسلامية في هذا النظام الاجتماعي. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: "الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُور» (سورة الحج، آيه ٤١).

في هذا السياق، تَرمُز الصلاة إلى فلسفة العدالة الاقتصادية والدعم للضعفاء. يُسلط دور الأمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الضوء على المقاصد الجماعية لعمل الخير في جميع مجالات الحياة بما في ذلك المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية. هذا أيضا يُعرِّف ويَصِفْ الوظيفة المطلوبة من المجتمع كقوة جامعه للخير. ولا يهدف المجتمع الإسلامي إلى ضم أفراد بعيدين عن إهتمامات المجتمع فقط، بل يهدف إلى إصلاح وتحويل المجتمع لضمان التماسك الاجتماعي والأمن والرفاهية والإزدهار، وذلك حتى توصف هذه الأمه بأنها خير أمة.

إن تنفيذ مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو ما يؤدي إلى أن تصبح هذه الأمة «أمة خير» و»خير أمة». يشير القرآن إلى هذا بقوله تعالى: «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ "، (سورة ال عمران، آيه ١١٠). وذُكِرت المعايير التي تُصنِّف الأمه على أنها خير أمه في عدة آيات في القرآن الكريم للتأكيد على أن مهمة المجتمع الإسلامي هي إنشاء نظام إجتماعي أخلاقي على الأرض، حيث يتم توفير الأمن الإنساني والاجتماعي ويتم إلغاء الظلم.، قال الله تعالى:

«لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا * وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا * وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» (سورة البقرة، آية ١٧٧).

«وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ * يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ * أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ * إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (سورة التوبة، آية ٧١).

«الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ * وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ»، (سورة الحج، آية ٤١).

إلى جانب ذلك، تُسمى هذه الأمة القائمة على القيم في القرآن الكريم بالأمة الوسط، لكي تكون مُكلفة بالسعي إلى توفير أرضية مشتركة وكلمة مشتركة لجميع الناس. هذه السِمة من كونها أمة الوسط هي سِمه ذات أهمية حيوية، فهي تنقل رسالة واضحة من المجتمع الإسلامي باعتباره مجتمع متوازن وعادل بعيدا تماما عن التطرف.

**الأمة الوسط والشهادة على الناس**

تم تعريف مُهمة ووظيفة الأمه الوسط بشكل واضح في القرآن الكريم. قال الله تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» (سورة البقرة،

آيه ١٤٣). وينبغي الإشارة هنا إلى أن مصطلح الشاهد يعني أيضا كون الإسلام نموذجا ومثالا يحتذى به. وبالتالي، ينبغي للمجتمع المسلم أن يكون نموذجا مثلما كان النبي محمد (صلى اله عليه وسلم) نموذجا بالنسبة للمسلمين. تاريخيا، مَثّل الإسلام الأمة الوسط مقارنة بالأديان والأمم السابقة. في القرن الحادي والعشرين، وباستخدام نفس القياس، يوجد هناك دور حاسم للمجتمعات الإسلامية الحالية في جميع أنحاء العالم؛ في الولايات المتحدة وأوروبا والصين والهند والبرازيل وماليزيا وتركيا وإيران وإندونيسيا وأستراليا والفلبين وجنوب شرق آسيا، لتكون الأمة الوسط والشاهد وذلك لتحقيق التوازن في النقيضين في جميع مجالات الحياة بما في ذلك الروحانية مقابل المادية والشمولية مقابل الفوضى الاجتماعية والاقتصاد المُوجّه مقابل اقتصاد السوق. وبعبارة أخرى، فإن القرآن الكريم يوكل للمسلمين مهمة ليكونوا مجتمع الوسط الذهبي وذلك من خلال تعزيز الخير والتوازن والتقليل من التطرف الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والديني على وجه الأرض.

### الأمة كمجتمع عالمي ذو مصير مشترك

الأمة مفهوم إسلامي فريد من نوعه يصف مجتمع الإيمان وهو مجتمع عالمي ذا عضوية طوعية. في هذا المجتمع يُعتبر كل من الجنسية والعِرق تصنيفات وظيفية بحتة، في حين أن الإيمان هو الرابط العضوي. ويتجاوز الولاء للمجتمع الولاء للعائلة أو القرابة أو العرق أو الولاء لمجموعة لغوية. يقول الله تعالى في القران الكريم: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا * إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ * إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (سورة الحجرات، آية ١٣).

هذا يعني أن البشرية عبارة عن أسرة واحدة كبيرة لا يوجد لأحد فيها أفضليه على أحد. ويعني أيضا أن المساواة في كرامة الإنسان مُشتركة بين الجميع. تُمثل هذه المساواة الجوهر في حقوق الإنسان والتي تؤكدها النظرة الإسلامية العالميه. يستند التمييز بين البشر فقط على مقدار فعلهم للخير والفضيلة وعلى أعمالهم الأخلاقية، وهو ما يدعى بالتقوى.

لقد انعكست هذه التعاليم في عنوان حُجة الوداع للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) التي ذكَّر فيها أن لا أحد لديه الأفضلية على الآخر إلا بالتقوى وبالعمل الصالح. قال صلى الله عليه وسلم: (كلكم لآدم وآدم من تراب).

وحدانية الأمة هي وحدانية أخلاقية ليست محدودة بالاعتبارات الجغرافية أو السياسية أو اللغوية أو العرقية أو الثقافية أو الوطنية. هذا يعني أن النظرة الإسلامية لمفهوم الأمة هي نظرة

تتعدى الوطنية والعنصرية، فهي أمة عالمية من المؤمنين، توحدوا على العقيدة الإسلامية بتعاليمها وبقيمها. وهذا يعني أيضا أنه يجب ألّا تسمح هذه الأمة، التي تَنشأ عُضوية الفردِ فيها من الإرادة الحرة والاختيار الواعي، بالسماح بالتمييز بين أعضائها على أساس العرق أو اللون أو الدين. في نفس الوقت، يجب أن تنعكس الوحدة والاهتمامات في كل جزء من الأمة على الأمة بكاملها، هذا يعني أنه يجب أن يتعاون الجميع في حالة المعاناة والشدائد والمصاعب بنفس الدرجة والأهمية في حالة الرخاء والمقدرة والثراء.

لا يُصوِّر القرآن الكريم الأمة الإسلامية على أنها أمة ذات هوية دينية فقط، لكنه يصورها على أنها مجتمع فعال من الخبراء والمهنيين ذوي هوية وكيان رسمي. ويُعتَبر النموذج المثالي للأمة بأنه هيئة مدنية منظمة ومتعاونة تعالج الأمور الإنسانية المشتركة، بما في ذلك الحوكمة والفقر وتَغيُّر المناخ والتعليم والصحة والطاقة. تتحمل هذه الأمة مسؤولية تحديد وإيجاد الحلول لمعاناة الإنسان في جميع أنحاء العالم.

### الأمة كمؤسسة رشيدة

كانت الحاجة لتحقيق حياة آمنة ومجتمعية واحده من الدوافع وراء هجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين من أهل مكة إلى المدينة المنورة. كان المسلمون في مكة المكرمة قادرين على ممارسة الجوانب الشخصية من الإيمان، مثل العبادة، إلّا أنهم لم يكونوا قادرين على قيادة حياة جماعية مُنظَّمة.

ساهم الافتقار إلى القوة والسلطة والتهديدات المستمرة والاضطهاد بإضعاف المجتمع الإسلامي في بداياته. وبما أنه من المفترض أن يقوم الإسلام بخدمة وتوجيه جميع جوانب حياة الإنسان، كان وجود النظام الاجتماعي والاقتصادي لازما. بعد الهجرة، تمَّت المؤاخاة بين المهاجرين من مكة وسكان المدينة المنورة. إلى جانب ذلك، تم تشكيل الأمة كمؤسسة مما تجلى في إنشاء المسجد والمدرسة والسوق التجارية في المدينة المنورة.

### القيم والأخلاق الإسلامية

تُقدم النظرة الإسلامية مجموعة من القيم والمبادئ التي استند عليها النظام الاجتماعي. وفيما يلي وصف موجز لهذه القيم.

### المساواة بين الناس

يُؤكِّد الإسلام، كونه أسلوب حياة عالمي، على أن مصدر الناس واحد، وبالتالي، هم بالأصل متساوون. هذا يعني أن جميع الناس، بغض النظر عن الدين، متساوون في حقوق الإنسان الأساسية. وهذا يعني أيضا بأنه ينبغي أن يُعامَل الناس بشكل متساوٍ بموجب القانون بغض النظر عن الجنس أو المركز الاجتماعي.

يتضمن مبدأ المساواة بأن غير المسلمين، الذين يعيشون في ظل الحكم الإسلامي، يتمتعون بكافة الحريات الدينية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية تماما كالمسلمين. لذلك، يمكن للطوائف غير الإسلاميه أن تعمل كوحدات حرة ومستقلة ذات هيكل وقوانين وممارسات دينية خاصة بها. أعطي النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) هذه الاستقلالية من قَبْل للمجتمع اليهودي عندما أسّس دستور الدولة الإسلامية في المدينة المنورة. وبالمثل، فقد منح الحريات والاستقلالية للمجتمع المسيحي عندما إنضم تحت راية الحكم الإسلامي. تم الاستمرار في تطبيق مبادئ التسامح الديني والعدالة والتعايش السِلمي بين جميع أفراد المجتمع الإسلامي بنفس الطريقة العادلة في زمن الخلفاء. وبالتالي، فإن النظام الاجتماعي الإسلامي يقبل التعددية الثقافية والدينية، لكن الآن، في القرن الحادي والعشرين، نرى التردد والاستياء لقبول المجتمعات الإسلامية في الغرب.

### التعاون المشترك للمصلحة العامة والخاصة

ينظر الإسلام للأمة على أنها مجموعة من الناس يتعاونون فيما بينهم ويساعدون ويحمون بعضهم البعض في جميع جوانب الحياة. ويتجسد هذا المبدأ في آيات عديدة في القران الكريم في عبارات "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" و"إقامة الصلاة" و"دفع الزكاة " وذلك في توجهات لإقامة العدالة والمساواة، وأيضا في العديد من الآيات المتعلقة بالمعاملات الإنسانية. يعتمد تأسيس وديمومة النظام الاجتماعي الأخلاقي على التعاون المجتمعي والعمل الجماعي. يقول الله تعالى: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ * يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ * أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ * إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (سورة التوبة، آية ٧١). ويُمثِّل مبدأ التعاون المشترك حجر الزاوية في المُدوَّنة الأخلاقية في المجتمع الإسلامي.

## الإلتزام الاجتماعي والعمل

سَلّط Farook (٢٠٠٧) الضوء على مفهوم المسؤولية الاجتماعية والشراكة في المؤسسات المالية الإسلامية. يَعْتبر الإسلام العمل والإيمان جزءاً واحداً لا يتجزأ، حيث أن العمل هو انعكاس ونتيجة للإيمان. وهذا ينعكس في جوانب العبادة مثل الصلاة والصيام ودفع الزكاة وأداء الحج. في حين أن هنالك جزء صغير من قواعد وقوانين الإسلام لها علاقة بالطقوس، مثل العبادة، إلا أن الجزء الأكبر من القواعد والقوانين والسياسات العامة تتعامل مع النظام الاجتماعي والمقايضات.

لا تقتصر المسؤولية الاجتماعية على قطاع الشركات، بل تشمل الأفراد وصانعي السياسات. هذا يعني بأن على أفراد المجتمع الإهتمام بالشأن العام كثمرة من ثمرات الايمان. هذا هو التكافل الاجتماعي الذي يُساعد على ضمان التنمية المستدامة للمجتمع. قال الله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا * وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا * كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (سورة آل عمران، آية ١٠٣).

الرسالة الرئيسية في هذا السياق هي ضرورة وجود العمل الإيجابي الجماعي من أجل حماية المجتمع وتحقيق رفاهيته. لأنه ما لم يسعى أفراد المجتمع جاهدين لمعالجة القضايا الأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فلن يكون هناك فرصة للتنمية والحياة الطيبة.

يشير Asad (١٩٨٠) إلى أن تطور الهيكل الأخلاقي للأمة مترابط على المدى البعيد، مما يؤدي إلى مزيد من الرفاهية المادية والسلطة السياسية. ويؤدي الإنحطاط الأخلاقي إلى إنحطاط الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وبالتالي، فمن واجب كل مسلم التفكير في نقد بيئته الاجتماعية باستمرار من أجل الصالح العام.

يجب أن نضع في عين الاعتبار المصطلحات الإسلامية تشمل القهر والظلم والشر والمنكر وأضدادهم؛ العدل والحق والخير والمعروف وجميع الإجرآءت التي تتعلق بالأخلاق والحياة الكريمة. لذلك، فإن الأمة الاسلامية هي المسؤولة عمّا يدور في المجتمع ويجب أن تَبذل كل الجهد لإصلاح جميع المشاكل الاجتماعية والاقتصادية ومعالجتها. ويؤكد القرآن على هذه النقطة مرارا وتكرارا عندما يشير إلى تاريخ الحضارات السابقة. الدرس الرئيسي هو أن أي حضارة تتخلى عن العدالة الاجتماعية ومبادئ الاستدامة الطبيعية سيكون مصيرها الفشل، كما حصل في الحضارة اليمنية

القديمة سبأ.

سَرَت القوانين الاجتماعية في الإسلام، أو سنة الله، بشكل مستمر في تاريخ البشرية والحضارات السابقة عندما انحرفت عن توجيهات الله. لذلك، إذا لم تبذل الجهود الواعية والمعنية والجماعية لمعالجة مشاكل الحوكمة والفقر والتلوث والنفايات والبطالة وتغير المناخ فستكون الحضارة الإنسانية في خطر.

## التضامن الاجتماعي

ينظر القرآن الكريم إلى النظام الاجتماعي الإسلامي على أنه نظام يستند على وحدة الإيمان ووحدانية الهدف والتماسك الاجتماعي. يقول الله تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" (سورة الحجرات، آية ١٠). إنها أمة الدين والأخلاق والارتباط الحر بين الأفراد الذين يأتون معا لغرض تحقيق عالم كامل من القيم الإسلامية.

علاوة على ذلك، لا يقتصر النظام الاجتماعي الإسلامي على الأمة الاسلامية. وتستطيع الأمم الأخرى التي تمارس مجالات متخصصة في ميادين المعرفة، مثل المهن العلمية والقانونية وغيرها، أن تكون جزءا في بناء المعرفة. لذلك، تنطبق الأخلاقيات الاجتماعية من التعاون المتشترك والتعاطف والتراحم والمساعدة والعدالة والرحمة والفضيلة والعلاقات الإنسانية الجيدة على العلاقات بين جميع أفراد المجتمع من المسلمين وغير المسلمين بشكل متساوي.

تحترم القيم الإسلامية التنوع الثقافي، كما هو وثقه Al-Jayyousi (٢٠٠١،٢٠٠٩). وهذا يعني أن هناك عقدا اجتماعيا يوجب على جميع أفراد المجتمع الإلتزام به، وهو يستند على العدل والرحمة والتضامن، ويُسترشَد على هذا من تعليمات القرآن الكريم التي تدعو إلى التعاون من خلال البر والقسط.

من المهم الإشارة إلى موقف وسياسة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) نحو غير المسلمين الذين يطلق عليهم إسم أهل الذِمَّه، حيث أنه أيَّد حقوقهم، فقد قال عليه السلام: (ألا من ظَلَمَ مُعاهداً أو إنْتَقَصَهُ أو كلّفَهُ فوق طاقته أو أخَذَ منه شيئاً بغير طِيبِ نفس فأنا حَجيجُه يوم القيامة). وقال أيضا: (من آذى ذمياً فقد آذاني ومن آذاني كنت خصمة يوم القيامة). تحدد تصريحات النبي (صلى الله عليه وسلم) هذه وغيرها، إلى جانب الآية السابقة من القرآن الكريم بوضوح واجب

الدولة في ضمان سلامة وأمن المجتمعات غير المسلمة.

لقد انعكس هذا الإهتمام في تصرفات الخلفاء الأوائل، وفي تعاليم الفقهاء المسلمين، وكذلك في السياسة العامة للمجتمع الإسلامي.

من هذا المنظور، فإن النظام الاجتماعي الإسلامي يصوِّر تعددية مجتمعية يعيش أفرادها بانسجام مع بعضهم البعض، وبتعاون متبادل على أساس المصلحة المشتركة لبناء وتعزيز مجتمع أخلاقي ذو دافع لتحقيق المُثل العليا للتضامن الاجتماعي، والمساواة والعدالة الاجتماعية للجميع.

**الإيثار والتضحية بالنفس**

الإيثار، وهو المذهب القائل بأن الرفاهيَّة العامة للمجتمع هي الهدف الصحيح من أعمال الفرد، هو واحد من التعاليم الأخلاقية والاجتماعية المركزية في الإسلام. لا يَفتَرض الإسلام الغياب الكامل للأنانية في الإنسان. على العكس من ذلك، فانه يؤكد بأن يهتم الإنسان بالرفاهية الشخصية، ويشير الإسلام إلى أن تحقيق هذه الرفاهية يتم من خلال الأعمال الشخصية مثل العبادة، بالإضافة إلى أعمال الرعاية الاجتماعية. ويعرض القرآن الكريم سلوك الإيثار باعتباره وسيلة للنمو الشخصي،و أداة لتعزيز الثروة المجتمعية وذلك بوصفه مظهرا من مظاهر وعي الفرد بوجود الله.

لذلك، فإن الإيثار هو مصدر السعادة البشرية والفلاح في الحياة الدنيوية والنجاح في الآخرة. من الناحية الاقتصادية، فإن المفهوم الإسلامي للإيثار يشبه إلى حد كبير خطوة نحو المثالية، التي تعني على الأقل جعل الشخص أفضل حالا دون أن تجعل شخصا آخر أسوأ حالا. لذلك، فإن القرآن الكريم يُوجِّه نداءات مستمرة لقلب الإنسان وعقله لحث الجميع على المشاركة في تعزيز الرفاهية العامة. إن أعلى شكل من أشكال الإيثار والتضحية بالنفس هو المجهود الذاتي لإنشاء نظام اجتماعي أخلاقي والمحافظة عليه. وصف النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) صراع الإنسان في سيطرته على نفسه ضد رغباته الخاصة ومشاعره وضعفه بالجهاد، كما أكد بقوة على حاجة المسلم للإصلاح ورفع الصوت ضد الظلم، ولا سيما عندما تكون السلطة بيد الشخص الظالم: (إن أفضل الجهاد كلمة عَدل عند سلطان جائر أو أمير جائر). كانت أصوات الشباب في العديد من البلدان في الشرق الأوسط بما في ذلك تونس ومصر في أوائل عام ٢٠١١ نموذجا حيا على الجهاد، الذي حوَّل المشهد السياسي في العديد من البلاد في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

## نظام الأسرة في الإسلام

أتذكر قول خبيرة مياه ألمانية خلال مناقشة عقدت في القاهرة، في العام ٢٠٠٦، بالقرب من ميدان التحرير بأنها عندما زارت المسجد الأموي في دمشق/ سوريا لبست الزي الإسلامي (العباءة) وغطّت كل جسمها وذلك لتستطيع دخول المسجد. وعلّقت الخبيرة قائلة: "إرتداء العباءة كانت تجربة تحررية". كان جوابي لها بأن النساء اعتادت، في فترة ما قبل الإسلام، على ارتداء ملابس شبه عارية؛ ثم جاء الإسلام مع السلطة الحضارية وأوجد الأنظمة الاجتماعية للّباس النموذجي للمرأة الذي يعطي قيمة للعقل ولكرامة الإنسان وقِيَمِه الداخلية. نحن نواجه تحديات من قبل وسائل الإعلام العالمية التي تجعل الغير مألوف مألوفا والمألوف (الحالة الطبيعية أو الفطرة) غير مألوف.

يُعتبر النظام الاقتصادي جزء من النظام الأخلاقي الاجتماعي الأكبر، وذلك لضمان خلق الظروف الضرورية لتمكين الازدهار والسعادة والرفاهية للمجتمع. وتهدف جميع جوانب النظم الإسلامية إلى إتاحة الفرصة للشعب بأن يطوِّر وعيا جديدا من أجل فعل الخير، وبالتالي الانسجام الإرادة الإلهية. من هذا المنظور ينبغي أن تكون مفاهيم الجهاد والاجتهاد، كونها من أشكال النضال الاجتماعي الجماعي، مفهومه.

إحدى الحاجات الأساسية للإنسان هي الشعور بالانتماء، والتي تتحقق على مستوى الأسرة والأمة ككل وعلى المستوى الوطني والإقليمي والعالمي. الأسرة هي الوحدة الأساسية في النظام الاجتماعي في الإسلام، وبالتالي، تُعتَبر نقطة الدعم للمجتمع، وتَمِد المجتمع بالقوة. باختصار، الأسرة هي إحدى قيم الأسلام الدائمة والإيجابية والضرورية، وهي مؤسسة مهمة من مؤسسات النظام الاجتماعي. ينظر الاسلام للرجال والنساء بعين المساواة، ولكن مع بعض التفريق في الدَّور. بشكل عام، يعتبرهم الإسلام الرجال والنساء شُركاء يكمِّلون بعضهم البعض ويُساعدون بعضهم في المسؤوليات العائلية. يقول الله تعالى: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"، (سورة التوبة، آية ٧١).

يَعتبر القرآن الكريم الرجال والنساء متساوين في الحقوق والواجبات والمسؤوليات الأخلاقية والدينية. ويعترف، بوضوح، بحق المرأة في المشاركة في الشؤون العامة، فضلا عن دورها في الدفاع عن المجتمع. كذلك، تجب الإشارة إلى أنه لا يوجد في القرآن ما يمنع المرأة من كسب العيش أو تحقيق الإكتفاء الذاتي إقتصاديا. يعفي الإسلام النساء من مسؤولية دعم الأسرة فقط، ويعترف بالشخصية

الإقتصادية الكاملة للمرأة ويجيز لها التملُّك وعليها واجب دفع الزكاة. وعلاوة على ذلك، لا يضع الإسلام قيودا على النشاط الاقتصادي إلا على عدد قليل من الأنشطة المحظورة.

أحد المبادئ المهمة في الإسلام توفر الإطار الأخلاقي المعنوي المناسب لجميع أفراد المجتمع ليكونوا قادرين على المشاركة في الحياة الجماعية وليكونوا مُنتجين بطرق متنوعة. ويعطي الإسلام قيمة مُتساوية لجهود الرجال والنساء، بغض النظر عن طبيعة النشاط. ويَعتمد وسيلة وسطيَّة ونهج متوازن لتقسيم العمل، حيث يتحمل الرجال مسؤوليات أكبر تجاه الأسرة وبالتالي تجاه المجتمع، ومن جهة أخرى تتمتع النساء بالحرية الأساسية في العمل وكسب الرزق دون وجود عامل المسؤولية. وبالمثل، لديها حُريَّة المشاركة في الحياة العامة. وفي المجال الاجتماعي، ليس المطلوب منها تقديم ما هو فوق طاقتها. خلاصة القول، وباستخدام الاستعارة من علم البيئة، بينما نشهد دور المرأة في الغرب (دور استهلاكي) كما هو معروض في وسائل الإعلام والموسيقى وصناعة الأزياء وصناعة السينما في هوليوود وما يجري فيها من استغلال، ترى النظرة الإسلامية دور المرأة في مجال عمارة الأرض (دور إنتاجي) من خلال التركيز على دورها في ألأسرة والتعليم وكافة القطاعات الإنتاجية.

### الإنفاق الاجتماعي الإسلامي

أذكر تعليق أحد الأساتذة في جامعة إلينوي الأمريكية (University of Illinois) في شيكاغو، والذي يُدرِّس منهجا لطلاب الدراسات العليا في مجال تحليل السياسات العامة، حول القرآن الكريم بأنه أفضل مرجع في السياسة العامة. ويمكن توضيح ذلك من خلال دراسة السياسات التالية.

في النظرة والقيم الإسلامية، إذا أراد أحد الأشخاص مضاعفة ماله ومباركته فعليه أن يتصدق. وبمعنى آخر، أن يُقدِّم الزكاة. المعنى الأدبي من كلمة الزكاة هو التطهير والنماء. في حين أن المصطلح الغربي للضريبة يشير إلى العبء المالي على الفرد، فالزكاة لديها المعنى الروحي للتطهير وصنع القيمة وتحقيق الذات. تُقاس قيمة الفرد في جوهرها من خلال القيمة التي يضيفها في المجتمع والحياة وعمارة الكون.

وفيما يتعلق بوضع معايير المساواة والعدل والمقايضات، يُبيِّن القرآن الكريم أن أحد أهداف الدولة هو نشر العدالة. والمبدأ العام هو قول الله تعالى: "لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا (سورة البقرة، آية ٢٣٣) و"لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا" (سورة البقرة، آية ٢٨٦). على الرغم من أن الآية الأولى أتت على وجه التحديد في سياق العبء الإقتصادي أو النفقات والثانية أتت في السياق الروحي،

إلا أن الجوهر هو نفسه: بأن الله لا يرضى أن يخضع أحد لضريبة تتجاوز ما هو معقول ومحتمل.

**تتلخص الآثار المترتبة على السياسة المالية في نظام الزكاة بما يلي:**

١. بالنظر إلى أن هناك حاجة إلى الحد الأدنى من الدخل لتوفير تكاليف العيش والنفقات وتلبية الاحتياجات الأساسية، وينبغي أن يكون هذا الحد الأدنى معفى من الضرائب.

٢. يجب أن تبدأ الضريبة على الدخل الإجمالي بعد أن يصل إلى الحد الأدنى لتوفير الاحتياجات الأساسية.

٣. يجب أن تكون الضرائب بنسب تصاعديه، ولكن ليست تنازلية.

وفيما يلي مجموعة من المبادئ لهيكل الضرائب والإنفاق الاجتماعي في الإسلام لضمان التنمية المتوازنة والتي تركز على الإنسان.

**تجنب إحتكار الثروة**

يضع القرآن الكريم مبدأ عدم احتكار الثروة من قبل شريحة معينة من المجتمع، قال الله تعالى: "كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ" (سورة الحشر،آية ٧). تؤكد هذه الآية، التي ظهرت في سياق استخدام دخل الدولة، بأن مثل هذا الدخل يهدف إلى رفع الشريحة الأضعف من المجتمع، بجانب تقليل نفقات الدولة التي لا لزوم لها. وبالتالي، لا ينبغي أن يصبح المال حصراً لأولئك الذين هم بالفعل ميسوري الحال. وبعبارة أخرى، ينبغي تصميم سياسة للإنفاق الحكومي لتجنب تركيز الثروة بين فئة الأغنياء في المجتمع، وضمان توزيعها على الفقراء. ينسجم هذا المبدأ مع غيره من تدابير الإسلام مثل قانون الميراث وقواعد الزكاة، مما يساعد على ضمان توزيع الثروة بشكل عادل على الضروريات لا الكماليات.

**الفئات المحرومة كمستفيدين من نفقات الحكومة**

في حين يتم توجيه استخدام أموال الزكاة إلى العديد من الفئات المحتاجة من الناس، وإلى أغراض المصلحة العامة، يؤكد القانون الإسلامي على أن موارد ودخل الحكومة ينبغي أيضا أن تستهدف الفئات الأضعف في المجتمع. بعبارة أخرى، يقول القرآن الكريم بأن الإنفاق الحكومي ينبغي أن يهدف، في معظمه، إلى تلبية الاحتياجات الضرورية الأساسية، وأن يهدف أيضا إلى رفع مستويات المعيشة وإمكانات الدخل للفئات المحرومة من أفراد المجتمع. لذلك، يُشكل هذا المبدأ عنصرا هاما في الأولويات المالية في الإسلام. ويمكن القيام بهذا الإنفاق الاجتماعي سرا كما في العمل الخيري، أو من خلال المؤسسات العامة والحكومة. هذا يعني أن القرآن الكريم يشجِّع الناس على التبرع بسخاء للتنمية الاجتماعية، وعلى مساعدة المحتاجين في المجتمع.

### المشاركة في المسؤوليات الاجتماعية

يُجسِّد القرآن الكريم بوضوح مبدأ تقاسم الأعباء من قبل الجميع؛ آخذا بعين الاعتبار قدرات الناس على القيام بذلك. ويشير أيضا إلى إمكانيه أن لا يملك الجميع الوسائل المالية للمشاركة في هذه الأعباء. وفي مثل هذه الحالات تكفي المساهمة في العمل والفكر، وتعتبر قيّمة. يقول القرآن الكريم، بعبارة أخرى، بأن كل شخص لديه القدرة على إعطاء المجتمع، على الأقل، جزءا مما يعطيه له المجتمع. ويمكن القيام بذلك بطرق مختلفة، مثل دفع الضرائب والتبرعات أو من خلال الخدمة الاجتماعية. لذلك، فإن المسلم الذي يسعى ويبذل نفسه وثروته وقدراته لتلبية حاجات المجتمع هو أعلى رتبة عند الله من شخص لا يبذل أي جهد.

### المسؤولية الجماعية

ينطوي مبدأ المسؤولية الجماعية على جوهر مبدأ التعويض الذي يشكل جزأ من أساس النظام القانوني الإسلامي. والآثار المترتبة على مبدأ المسؤولية الجماعية هي؛ أولا: يجب تقاسم الأعباء المالية على نطاق واسع وبشكل منصف. ثانيا: يجب إعطاء الفرصة لغير القادرين على دفع الضرائب ليكونوا مُنتجين اجتماعيا وأن تتم مساعدتهم حتى يصبحوا عناصر منتجة اقتصاديا وبالتالي أفراد مجتمع دافعين للضرائب. بعبارة أخرى، يجب عدم النظر للدولة على أنها مصدر إحسان، إنما على أنها الجهة المستقبلة للدعم العام الإلزامي والتطوعي المالي والعيني.

سوف يبين الجزء التالي أنواع الإنفاق الاجتماعي سواء كان التطوعي وهو صدقة أو الإلزامي وهو

الزكاة.

## أنواع الإنفاق الاجتماعي

فيما يلي وصْف مُوجز لأنواع الإنفاق الخيري الاجتماعي في الإسلام، وهي الصدقات والزكاة والوقف.

## الصدقات

استخدم القرآن الكريم مصطلح الصدقات للدلالة على كل أشكال الإنفاق الاجتماعي. ويأتي هذا المصطلح من الجذر صَدَقَ، الذي يعني قول الحقيقة. وبالتالي، فإن الصدقة هي ما يُقدِّمه الفرد المسلم بالإرادة الحرة في سبيل الله بدافع الحب والتعاطف والإهتمام بالآخرين، كذلك هي ما كان الفرد مُلزما على تقديمه أخلاقيا أو قانونيا دون توقع أي عائد دنيوي. بعبارة أخرى، الصدقات هي أعمال خيرية والضريبة الإلزامية للزكاة، والتي تعني حرفيا المستحقات النقية. وفي حين أن الزكاة هي شكل من أشكال الصدقة، إلا أن الصدقة تتضمن أيضا الإنفاق الطوعي والخيري والاجتماعي غير الزكاة. وتعني الصدقة تطهير النفس من الشعور الزائف بالأمان ومن الطمع والغرور.

الصدقة هي تقاسم موارد الشخص مع الأقارب ومع أعضاء المجتمع البشري، بما في ذلك أصحاب الأديان الأخرى. ومن المهم أن يتم ذلك دون أن يطلب أو يتوقع وجود أي مقابل. عندها فقط يُعتبر هذا التشارك صدقة. يُشجع الإسلام المسلمين على الإستثمار في المجتمع من خلال رعاية وتلبية الاحتياجات الاجتماعية، وتُصنَّف هذه الأعمال بوصفها ذات القيمة الأكبر في سُلَّم القيم الإسلامية. هذا هو المنهج الإسلامي في التاكيد على الإيثار الذي إذا طُبِّق يمكن أن يضع موارد كبيرة في المجتمع المحلي أو الحكومة لتعزيز برامج التنمية المستدامة.

لا يجب اعتبار أن الهدف من الصدقات أو النفقات الاجتماعية والخيرية على أنها وسيلة لإضفاء شرعية لوجود الفقراء والمحتاجين في المجتمع. بل على العكس من ذلك، يَنظُر الإسلام إلى وجود الفقر كأعظم المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، واعتبره بمنزلة الكُفْر. وتلعب الصدقات دورا مهما في المجتمع الإسلامي في تعزيز شبكات الأمان والتماسك الاجتماعي. وحتى عندما يتم استيفاء الاحتياجات الأساسية وإزالة الفقر، تسهم الصدقات في لعب دور مهم في التنمية المستدامة من خلال توفير الأموال للأوقاف الخيرية والإتحادات والمؤسسات التعليمية وفي أغراض الرعاية الاجتماعية

العامة.

وفَّر القرآن الكريم، من خلال الصدقات، موارد خاصة دائمة لتلبية الرغبات العامة وتعزيز التنمية المستدامة والازدهار. من ناحية أخرى، قدَّمت الصدقات لأعضاء المجتمع وسيلة لتطوير الذات من خلال الإيثار، كما قدمت آلية للمشاركة والمساهمة في جودة التعليم والابتكار والصحة والسلام والرخاء للمجتمع.

**الزكاة**

الزكاة هي ضريبة إلزامية على دخل وثروة المسلمين وتعني حرفيا "تنقية" و"تطهير" وتدل على النزاهة والتعاطف في المجتمع. تهدف هذه الضريبة إلى تطهير أملاك الشخص من الأنانية وتجعلها حلالا للاستخدام والمنفعة الشخصية. يتم فرض الزكاة وفقا للقواعد التي حددتها الشريعة الإسلامية وذلك بقيمة ٢.٥ في المائة من إجمالي القيمة الصافية بعد أن تصل القيمة إلى مستوى الحد الأدنى أو ما يسمى النِّصاب على معظم الأصول المادية والمالية.

وبالمِثْل، يتم فرض الزكاة على خمسة في المائة من المحاصيل الزراعية للأراضي المروية اصطناعيا، وبنسبة عشرة في المائة بالنسبة للأراضي المروية بشكل طبيعي بعد أن يصل المحصول إلى النصاب. تُنْفَق حصيلة ضريبة الزكاة على أغراض الرعاية الاجتماعية بالمعنى الواسع، على النحو المحدد من قبل القرآن الكريم: "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"، (سورة التوبة، آية ٦٠). والمهم في موضوع الزكاة هو ارتباطها بالصلاة. فقد ذُكِرتا معا في ٢٥ آية من أصل ٢٩ آية قرآنية. هذا لتوضيح أهمية هذان الركنان وإرتباطهما في الإسلام.

في الواقع، يشير القرآن إلى أن صلاة المسلم لا معنى لها إذا لم تُساعد على تحفيزه لتلبية رغبات الفقراء والمحتاجين؛ قال الله تعالى: "أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ" (سورة الماعون، الآيات ١ـ٧). ليست الزكاة مجرد التزاما أخلاقيا تجاه الله والمجتمع، أو عنصرا أساسيا من عناصر العبادة والإيمان، إنما هي أيضا حق قانوني للمجتمع. ومن ناحية المعنى، لا تُعْتَبَر الزكاة ضريبة، ففي حين أن المفهوم الشائع للضريبة هو أنها ما يُقدَّم مقابل الحصول على خدمات معينة، فالزكاة هي مساهمة إلزامية للتنمية الاجتماعية والاقتصادية

والإنسانية.

في حين يتم فرض الزكاة على ثروة جميع أفراد المجتمع باستثناء الفقراء، فقاعدة الضريبة واسعة إلى حد ما، مما يتيح لجميع السكان الإحساس بالمشاركة في رِفعة المجتمع. يبين الإدراك بأن الزكاة يتم جمعها وإنفاقها ضمن المجتمع المحلي قيمة مفهوم التنمية التي يكون محورها الإنسان حيث يستفيد السكان المحليين من الموارد المحلية. وبالتالي، فإن نموذج التنمية الإسلامية يعتمد اللامركزية والتنمية المحلية. أما الزكاة، فهي سياسة عامة مهمة ينبغي إضفاء الطابع الرسمي عليها، ويجب دعمها لتوفير الأمن للجميع. ويعرض القرآن الكريم الزكاة كنقيض للرِّبا. بينما يُفترَض أن يُضاعف الربا مال المُقرِض، من خلال ممارسة استغلالية، فالزكاة تجلب للمستثمر زيادة مضاعفة للمال بطريقة مفيدة. وهما نقيضان أيضا من حيث الآثار التوزيعية، فالربا هو نقل للثروة بعيدا عن المجتمع بإتجاه الأغنياء بينما تُعيد الزكاة توزيع الثروة من مجموعات لديها المال إلى مجموعات ليس لديها المال.

وباختصار، يُجسِّد جمع الزكاة العديد من الانعكاسات على الاقتصاد. أولا: فهو يُشجِّع ويُحفِّز الاستثمار ويُحارب اكتناز رأس المال. ثانيا: يوفر استبعاد وسائل الإنتاج من الزكاة حافزا للاستثمار في الزراعة والمعدات. وبالمثل، يشجع إعفاء المساكن من الزكاة على مُلكية المنازل والاستثمار في البناء. يؤدي كل هذا إلى مستوى عال من استغلال رأس المال، وهذا بدوره يُحفِّز العمالة والإنتاج والدخل في الاقتصاد. وتحفز الزكاة تدفق الأموال للاستثمار من خلال فرض ضرائب على المُدَّخَرات المالية، وهذا بدوره يُسهم في تحقيق التنمية المستدامة والرخاء.

ثالثا: تُموِّل الزكاة نفقات الاستهلاك لأفقر المجموعات في المجتمع، وتساهم بهذه الطريقة بشكل مباشر في زيادة استهلاك النفقات وبالتالي ارتفاع الطلب الكلي بشكل ملحوظ. هذا يؤدي إلى زيادة العمالة والناتج والدخل القومي وبالتالي النمو الاقتصادي. إذا أديرَت السِّلع الأساسية على نحو فعَّال، سوف يتحرك الاقتصاد نحو مستويات إنتاج أعلى دون حدوث التضخم. وسوف يزداد حجم السوق أيضا فضلا عن القدرة الاستيعابية للاقتصاد وللسلع والخدمات.

رابعا: تَرفع نفقات الزكاة على البضائع العامة والخدمات من مُستويات الصحة الشاملة والتعليم والمستويات الإنتاجية. وفي حين أن ذلك يرفع مستويات الدخل للمستفيدين المستهدفين، فهو أيضا يزيد من إمكانات نمو الاقتصاد. وأخيرا؛ تُعتبر الزكاة مؤثر اقتصادي يحفز على الاستقرار. هذا يعني أنه عندما يعمل الاقتصاد دون قدرته الاستيعابية الكاملة للعمالة المحتملة، تعمل الزكاة

على زيادة الطلب الكلي، مما يؤدي إلى خفض فجوة الناتج. أيضا، عندما يقترب الاقتصاد أو يصل إلى التشغيل الكامل للعمالة، يتم تخفيض الزكاة بنسبة معينة. إلى جانب ذلك، يمكن حفظ الفائض من الزكاة، عند حدوثه، لأوقات أكثر صعوبة أو تستخدم للبنية التحتية وترميم النظام البيئي والتعليم والبحث والتطوير والتنمية المستدامة.

وتعتبر الزكاة متعددة الأبعاد في المحتوى. فهي عبارة عن قيمة فضلا عن كونها مؤسسة مفيدة للمانح وكذلك للمستفيد. وتحتوي أيضا على البعد الأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي. لذلك، فالزكاة تجسيد لتعاليم الإسلام الاجتماعية والأخلاقية، وربما كان هذا هو السبب لحث القرآن الكريم على إنشائها كمؤسسة إنسانية وعالمية. إذا تخيلنا تطبيق اقتراح وجود صندوق الزكاة العالمي من ١,٤ مليار مسلم، فسوف يساعد هذا الصندوق على حل التباين في الثروة والسلطة بين الشمال والجنوب. لذلك، فإن الإصلاح المؤسسي الأكبر على المستوى السياسي الاجتماعي والاقتصادي هو شرط ضروري لمؤسسة الزكاة. على كل حال، لم تلعب الزكاة دورا هاما في الحياة الاجتماعية للأمة في القرون الأخيرة بسبب عدم وجود الاجتهاد الاجتماعي اللازم، وعدم وجود تأطير للحلم الإسلامي للإصلاح والتجديد والتنوير. إلا أنه منذ أوائل عام ٢٠١١ ونحن نشهد موجة من النشاط الشبابي يطالب بالحوكمة الرشيدة والديمقراطية والإصلاح في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. يعتبر السعي وراء الإلهام من المعرفة والثقافة المحلية أمرا مهما لمزجها مع التقنيات الغربية. وهذا المخاض الاجتماعي سيكون له أعداء ممن تضررت مصالحهم نظراً لحضور دور الجيش والقضاء والإعلام ومصالح الغرب.

**الوقف من أجل التنمية المستدامة**

الأوقاف هي أحد مؤسسات المجتمع المدني الإسلامية. يُستَخدم هذا المصطلح سواء بمعنى النفع العام أو بمعنى مؤسسة لتوفير الدخل، كما في حالة أراضي خيبر التي كانت ايراداتها توزع بالتساوي بين أفراد المجتمع في المدينة المنورة. وُجِدَت مثل هذه المؤسسة بناء على طلب من النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) عندما قال لعُمَر، رضي الله عنه، حين استشاره في أرض له؛ "احبس أصلها وسبل ثمرها". فتصدق بها عمر. هناك أمثلة أخرى على تأسيس الوقف العام من خلال دعم القطاع الخاص حدثت أيضا في فترة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وخاصة لتلبية الاحتياجات الأساسية مثل شرب المياه وتوفير الأمن الغذائي، وبالتالي، يمكن أن تكون الأوقاف أداة مُفيدة ونافعة

في الاحتياجات المجتمعية المختلفة في القرن الحادي والعشرين.

أوضح Al-Jayyousi (٢٠٠٧) أنه بالنظر إلى مستوى اعتماد الإنسان على وظائف وخدمات النظام البيئي، فللتدهور البيئي آثار اجتماعية واقتصادية هائلة على حياة الإنسان. ويشكل تدهور الأراضي والتصحر أهم القضايا البيئية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. على مدى حياة الإنسان، تتغير الطبيعة التي ازدهرت منذ آلاف السنين نتيجة تدهور البيئة. وتعتمد المنطقة على المياه الجوفية ومحطات تحلية المياه لتلبية الاحتياجات من المياه. اليوم، استَنفَذَت خمسة من أصل سبعة بلدان في شبه الجزيرة العربية موارد المياه المتجددة الخاصة بها، وتلجأ الآن إلى الموارد غير المتجددة. لقد حسّن استخدام محطات التحلية من فرص الحصول على المياه الصالحة للشرب، ولكنها خلقت مشاكل بيئية أخرى، مثل التخلص من الناتج الملحي، مما يهدد النظم البيئية البحرية ويُلحِق ضررا بالغا بمصائد الأسماك في المنطقة.

يتزايد العجز في إنتاج الغذاء ويتفاقم بسبب شُح الأراضي والموارد المائية المفرط في استغلالها أصلا. سوف يصبح الأمن المائي أحد المعوقات الرئيسية لمزيد من التطوير، وبالتالي سيكون له آثارا اجتماعية واقتصادية كبيرة في المنطقة على مدى السنوات الثلاثين المقبلة. يجب النظر إلى تحقيق التوازن بين الاحتياجات البيئية والإنسانية كأولوية، ومن ثم استخدام الكثير من أراضي العالم النامي لمئات من السنين لرعي الماشية. ولكن في السنوات الأخيرة فقط، ومع تحسُّن الخدمات في مجال الطب البيطري، تزايدت أعداد الثروة الحيوانية زيادة تتجاوز القدرة الإستيعابية للأرض، حيث أعطت أنماط الحياة الأكثر استدامة وسيلة لممارسات أكثر استهلاكية. وساهم تدمير الموائل والصيد وإزالة الغابات والتوسع العمراني في انقراض، أو شبه انقراض، الأنواع المحلية في المنطقة. وتتفاقم الأخطار التي تُهدد الأنواع بوجود ظروف قاسية وغير متوقعة في الأراضي القاحلة وشبه القاحلة، والتي هي من السمات البيئية السائدة في المنطقة.

لا تنمو الأموال المُتاحة لمعالجة قضايا البيئة والمحافظة عليها في المنطقة بما يتناسب مع النمو في حجم القضايا وأهميتها، ومن المهم زيادة الاستثمار. ويجب توفير مصادر مستقرة وطويلة الأجل للتمويل لمواجهة هذه التحديات. هناك عدد من المنظمات وصناديق التنمية في المنطقة بما في ذلك الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي وصندوق أبوظبي للتنمية والبنك الإسلامي للتنمية والصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية وصندوق الأوبك للتنمية الدولية والصندوق السعودي للتنمية ومجلس التعاون لدول الخليج العربي. مع ذلك، فإن التركيز الأساسي لهذه الصناديق هو تمويل البنية التحتية الاقتصادية والاجتماعية ماديا ومؤسسيا مثل الطرق والسدود وشبكات

الكهرباء والمطارات والمستشفيات والمدارس. تُعتبر الاستثمارات في الاستدامة البيئية إجراءات نادرة في المنطقة العربية. وفيما يلي اقتراح لإنشاء وقف من أجل التنمية المستدامة.

هناك حاجة متزايدة لصندوق غير ربحي متخصص في البيئة. سوف يعزز صندوق الوقف الجديد قائمة الصناديق التنموية التقليدية في المنطقة، ويوفر المزيد من آليات التمويل المرنة والمُبتكرة. الغرض من صندوق الوقف هو ضمان مستوى مناسب من التمويل المستدام لأنشطة المحافظة على البيئة في العالم النامي. وبالتالي، سيكون للصندوق الهدفان العامان التاليان:

• توفير أموال كافية للجوانب البيئية للتنمية المستدامة في العالم النامي عن طريق القطاع الخاص والمؤسسات والأفراد.

• استثمار الأموال في المشاريع والبرامج الإنسانية، التي تم اختيارها وتطويرها بعناية، وتنفيذها من خلال المنظمات الشريكة ذات الصلة في العالم.

يمكن لصندوق الوقف تعزيز دور الشراكات بين جميع العناصر الفاعلة ذات الصلة وهي؛ الحكومة والقطاع المصرفي والجهات المانحة والمجتمع المدني والقطاع الخاص، بين دول العالم وداخل هذه الدول. ويمكن للصندوق دعم الأنشطة التي تعالج قضايا المحافظة على البيئة، والتي تعتبر ذات أولوية من قبل الخبراء والمؤسسات المتخصصة. سوف يتطلب تحديد هذه الأولويات التحليل والتخطيط الإستراتيجي، الذي تشارك فيه المؤسسات في جميع القطاعات الرئيسية في البلدان المحتاجة من العالم.

**الثقافة والتنمية المستدامة: توليد القيمة المضافة**

يعني مصطلح الوقف "الحبس" أو "المنع". ويتم استخدام مُصطلح الوقف في الإسلام بمعنى تخصيص ممتلكات معينة والحفاظ عليها لصالح العمل الخيري لجهة مُعينة، ومنع أي استخدام أو تصرف فيها خارج هذا الهدف المحدد. وهذا يعني أنه ينطبق على الممتلكات غير القابلة للتلف التي يمكن استخراج الفائدة منها دون استهلاك الملكية نفسها. يمكن أن يكون الوقف بالأراضي والمباني والمياه والحيوانات والزراعة والنباتات والنقد.

كان أول وقف ديني في تاريخ الإسلام مسجد قِباء في المدينة المنوره، وهي مدينة تبعد ٤٠٠ كيلومترا إلى الشمال من مكة المكرمة. حيث تم بناء المسجد عند وصول النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في العام ٦٢٢. يقف المسجد الآن على نفس البُقعة، لكن مع هيكل أوسع جديد. بعد ستة أشهر من بناء المسجد، بُني مسجد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في وسط المدينة المنوره. وتعتبر المساجد والعقارات المحبوسة لتوفير إيرادات للإنفاق على صيانة المساجد والنفقات الجارية في فئة الأوقاف الدينية.

الوقف الخيري أو الإنساني هو النوع الثاني من الوقف. يهدف هذا الوقف إلى دعم شريحة الفقراء من المجتمع، ودعم جميع الأنشطة التي تهم الناس ككل مثل المكتبات والبحث العلمي والتعليم والخدمات الصحية ورعاية الحيوانات والبيئة والإقراض لأصحاب الأعمال الصغيرة والحدائق والطرق والجسور والسدود وغيرها. بدأ هذا الوقف من قبل النبي محمد (صلى الله عليه وسلم). فقد أوصى رجلا يدعى مخيريق بأن تُعطى السبعة بساتين التي يملكها في المدينة المنورة، بعد وفاته، لمحمد (صلى الله عليه وسلم). وفي السنة الرابعة من الهجرة، مات الرجل وأخذ النبي عَقْد البساتين وجعلها وقفا خيريا لصالح الفقراء والمحتاجين. استمرت هذه الممارسة من قِبل صاحب النبي وخليفته الثاني عمر، الذي سأل النبي عمَّا يجب أن يفعل ببستان النخيل الذي حصل عليه في خيبر، فقال له النبي: (إحبس اصلها وسبل ثمرها).

أما النوع الثالث من الوقف فقد بدأ بعد وقت قصير من وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، أثناء عهد عمر (٦٣٥ــــ٦٤٥)، الخليفة الثاني. عندما قرر عمر توثيق الوقف في خيبر، دعا بعض صحابة النبي ليشهدوا على هذه الوثيقة. قال جابر، وهو صحابي آخر، أنه عندما انتشر الخبر، أقدم كل مالك للعقارات على تقديم وقْف معين. وضع بعضهم شرطا بأن ثمار وعوائد الوقف تُعطى أولا لأطفاله وأحفاده، ويعطى الفائض فقط، إن وُجِد، للفقراء. ويُسمى هذا النوع من الوقف، الوقف الذري.

## الشروط القانونية للأوقاف

يتطلب تأسيس الوقف وجود ظروف معينة، وأهمها ما يلي:

١. يجب أن تكون الملكية عقارا أو شيئا له صفة الاستمرارية. جعلت المجتمعات الاسلامية الأراضي والمباني والإبل والبقر والغنم والكتب والمجوهرات والسيوف وغيرها من الأسلحة والأدوات الزراعية وغيرها أوقافا.

٢. يجب توفر خاصية الديمومة؛ وافق بعض الفقهاء على الوقف المؤقت فقط في حالة الوقف الذري.

٣. يجب أن يكون مؤسس الوقف مؤهلا من الناحية القانونية لإتخاذ مثل هذا العمل، فلا يمكن للطفل أو المجنون أو الشخص الذي لا يملك الملكية أن يقدِّم وقفا.

٤. يجب أن يكون الغرض من الوقف، في التحليل النهائي، عملا خيريا من وجهة نظر الشريعة الإسلامية والمؤسس.

٥. يجب أن يكون المستفيد حيا والغرض مشروعا.

**إدارة الوقف**

يُحدِّد مؤسس الوقف نوع إدارة وقفه. يسمى مدير الوقف عادة بالمتولّي، وتقع عليه مسؤولية إدارة أملاك الوقف لمصلحة المستفيدين. الواجب الأول للمتولي هو الحفاظ على الممتلكات وتحقيق أقصى قدر من العائدات للمستفيدين، ويذكر في وثيقة الوقف عادة كيفية تعويض المتولي. يُعتَبر النظام القضائي والمحاكم السلطة المرجعية فيما يتعلق بجميع المسائل والمنازعات المتعلقة بالوقف. وأنشأ قاض في مصر، في آوائل القرن الثامن، سجلا خاصا ومكتبا للتسجيل والإشراف على الأوقاف في منطقته، وتوِّج ذلك بإنشاء ديوان الوقف للتسجيل والسيطرة الذي إرتبط بقاضي القضاة. في القرن الحادي والعشرين، وضع قطاع الشركات معاييراً لمراجعة وتدقيق الحسابات والحوكمة الرشيدة والشفافية والتي يجب أن تُستخدَم لتفعيل الوقف وإدارته من أجل التنمية المستدامة.

## الدور الاجتماعي والسياسي للوقف

أدت الطبيعة الدائمة للوقف إلى تراكم الأملاك الوقفية في جميع أنحاء الأراضي الإسلامية. ويقدم تنوع أهدافها الدعم للأنشطة الدينية والخيرية على نطاق واسع. ولعب حجم الأوقاف وأهدافها دورا هاما في الحياة الاجتماعية والسياسية للمجتمعات. تشير المعلومات المُستخرَجة من سجلات الأوقاف في إسطنبول والقدس والقاهرة ومدن أخرى إلى أن أراضي الأوقاف تغطي نسبة كبيرة من إجمالي المساحة المزروعة. على سبيل المثال، في عام ١٨١٢ وعام ١٨١٣، أظهر مسح للأراضي في مصر أن الوقف يمثل ٦٠٠٠٠٠ فدان من أصل ما مجموعه ٥,٢ مليون فدان (Ramadan، ص ١٢٨). كان عدد سندات أوقاف المسجد الكبير في الجزائر العاصمة ٥٤٣ سندا في عام ١٨٤١ (Ajfan، ص ٣٢٦). وفي تركيا، شكَّلت الأوقاف حوالي ثلثي الأراضي (Armagan، ص ٣٣٩). وأخيرا، في فلسطين، فإن عدد الأعمال الوقفية الذي سُجِّل حتى منتصف القرن السادس عشر حوالي ٢٣٣ سندا و٨٩٠ ملكية مقارنة مع ٩٢ ملكية خاصة و١٠٨ منشأة.

يغطي تمويل الوقف للتعليم عادة المكتبات والكتب ورواتب المعلمين ورواتب الطلاب، ولم يقتصر التمويل على الدراسات الدينية فقط خاصة في مرحلة ظهور الإسلام. بالإضافة إلى حرية التعليم، ساعد هذا النهج من التمويل على إنشاء فئة متعلمة ليست من الطبقات الغنية والحاكمة. هناك أيضا الوقف على الحيوانات، على سبيل المثال، والوقف على القطط وحيوانات الركوب غير المرغوب فيها في دمشق. وهناك أوقاف لمساعدة الناس على الذهاب إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، ووقف لمساعدة الفتيات على الزواج، إضافة إلى العديد من الأغراض الخيرية الأخرى.

## الخاتمه

ينظر الإسلام إلى الإنسان على أن لديه غاية وهدف، ألا وهو خلق التوازن الاجتماعي الأخلاقي الإنساني على وجه الأرض. وتقوم الفلسفة الاجتماعية للإسلام على نوايا الإنسان، وإشباع الحاجات والرغبات والتمتع بالأشياء، وكذلك على أولوية الفرد والمسؤولية الجماعية في إطار المبادئ التوجيهية التي قدمتها القيم الإسلامية. يؤكد الإسلام على أن جميع الناس هم جزء من الأسرة البشرية الكبيرة الواحدة، وبالتالي فهم متساوون وينبغي أن يعاملوا على هذا النحو. إن تنوع الجنس البشري هو في حد ذاته ظاهرة للتأمل والتعلم الاجتماعي.

يشكل الإسلام مبدأ الأمة الوسط كمنبر من القواسم المشتركة على أساس الإيمان والقيم

والأخلاق. وصوَّر الإسلام النظام الاجتماعي الذي يجسد عدة أمم تعيش في سلام وانسجام. ويقترح الإسلام التعاون المتبادل من أجل الخير العام والخاص من خلال الالتزام والتضامن الاجتماعي والإيثار. ويوزِّع الإسلام المسؤوليات الجماعية بين جميع المواطنين. وبالتالي، يُصبح من مهمة أفراد المجتمع المساهمة في إنشاء النظام الاجتماعي والأخلاقي من خلال الوقف، وذلك لتحقيق أقصى قدر من الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية لأكبر عدد ممكن من الناس.

## المراجع

**Al-Jayyousi, Odeh (2001). Islamic Water Management and Dublin Statement, in Faruqui N., Biswas and Bino, M, (ed.), Water Management in Islam, Tokyo: UNU Press, pp. 33-8.**

**Al-Jayyousi, Odeh (2008). The State of Ecosystem and Progress of Societies. Proceeding of the International Conference on Statistics, Knowledge, and Policy: Measuring and Fostering Progress of Societies, Istanbul, Turkey.**

**Al-Jayyousi, Odeh (2009). 'Islamic Values and Rural Sustainable Development', Rural 21 Journal, Vol. 41, Issue 3.**

**Armagan, Servet (1989). A Glance at the State of Awqaf in Turkey, Islamic Research and Training Institute of the Islamic Development Bank, Jeddah, pp. 335-344.**

**Asad, Muhammad. (1980). State and Government in Islam. Gibraltar: Dar al-Andalus.**

**Capra, F. (1997). The Web of Life: A Scientific Understanding of Living Systems. Port Moody: Anchor.**

**Capra, F. (2002). The Hidden Connection: A Science for Sustainable Living. NY: Doubleday.**

**Chapra, M. Umar. (1970). 'The Economic System of Islam: A Discussion of its Goals and Nature', Islamic Quarterly, 14: 3–23.**

**Chapra, M. Umar. (1992). Islam and the Economic Challenge. Jordan: The Islamic Foundation and the International Institute of Islamic Thought, International Islamic Publishing House.**

**Chapra, U. (2008). Islam and Economic Development. New Delhi: Adam.**

**Farook, Sayd. (2007). 'Corporate Social Responsibility of Islamic Financial Institutions', Islamic Economic Studies, 15, no. 1.**

**Korten, D. (2009). Agenda for New Economy. San Francisco: Berrett- Koehler.**

**Ramadan, M. (19830. The Role of Awqaf in Al-Azahar. Proceeding of the Symposium of Awqaf Institution in the Arab and Islamic World. Institute of the Arab Research and Studies, Baghdad, pp. 93-112.**

**Sen, A. (1999). Development as Freedom. NY: Anchor.**

**Soros, G. (1999). The Crisis of Global Financial Capitalism. NY: Little, Brown.**

**Soros, G. (2000). Open Society. NY: Little, Brown.**

**Ul Haq, Irfan. (1996). 'Economic Doctrines of Islam. The International Institute of Islamic Thought'. Academic Dissertation No. 3., Washington, DC.**

**Yunus, M. (2008). Creating a World Without Poverty. NY: Public Affairs.**

## الفصل السادس

# التلوث والفساد وتغيّر المناخ: رؤية إسلامية

### ملخص

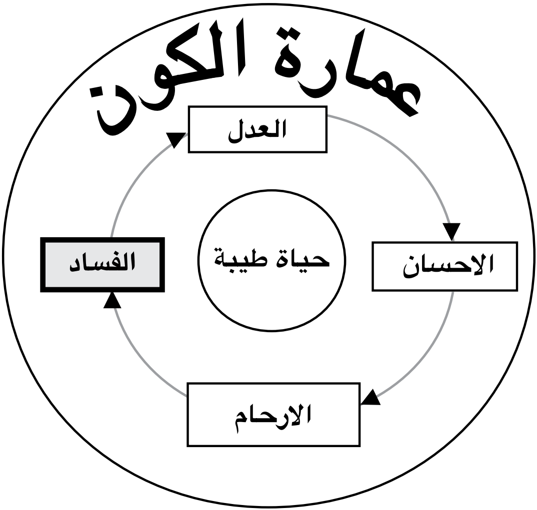
يهدف هذا الفصل إلى مناقشة مفهومي التلوث والفساد من منظور إسلامي. تستدعي وحدة الكون والإنسانية والمصير المشترك الحاجة إلى وجود قيادة تحولية شاملة لمواجهة التهديدات المحتملة لتغيّر المناخ. يستنير الخطاب العالمي حول تغيّر المناخ بالفكر الإسلامي. يمكن أن تكون وجهات النظر الكونية الإسلامية حول التنمية الاقتصادية والمالية ذات قيمة لإثراء المناقشات الحالية عموما فيما يتعلق بقضايا السياسة العامة الرئيسية مثل الإدارة المالية والمساواة والحوكمة العالمية. إلى جانب ذلك، سوف يتم عرض النموذج الأخضر (الكفاح- الاجتهاد- الزهد) كوجهة نظر إسلامية في تغيّر المناخ.

### الأهداف

١. عرض الآراء الإسلامية فيما يتعلق بتغيّر المناخ باعتباره تهديدا عالميا.

٢. تسليط الضوء على دور القيادة التحويلية لمعالجة موضوع التغيّر المناخي.

٣. وضع نهج شامل (النموذج الأخضر JIZ) للتعامل مع تغيّر المناخ والحاجة للانتقال إلى اقتصاد منخفض الكربون.




الشكل ١,٦ نموذج للتنمية المستدامة ضمن الرؤية الكونية الإسلامية

## مقدمة

ينقسم الفكر الإسلامي إلى ثلاثة مناهج عند مواجهة قضية تغيّر المناخ. وتشمل هذه الأنواع العقل القدري؛ ويؤمن هذا العقل بأن البشر محكومون وليس لديهم خيار، والعقل المُشكِّك؛ والذي يؤمن بوجود نظرية المؤامرة، والعقل الرشيد والواقعي. وأعتقد أن أول نوعين من التفكير يُشكِّلان خطرا على البشرية، ولن يساعدانا على الوصول إلى أي مكان، وأنه عن طريق العلم والعقل يمكن أن يساهم الإنسان، ويلعب دورا في الجدل العالمي حول ظاهرة تغيّر المناخ. لن يتمكّن أي مجتمع، لا تقوم سياساته على العلم الدقيق، من فهم وإدراك المخاطر المستقبلية. وعليه، سيكون مصيره الانهيار.

هناك أدلة علمية تُثبت أن ظاهرة تغيّر المناخ قد بدأت منذ بداية البشرية على الأرض. وهنالك أدلة كذلك على أن هذا التغيّر قد وصل إلى درجة من التدهور لا رجعة عنها. قال Houghton (٢٠٠٤) أن للعوامل الكوكبية تأثيراً كبيراً على درجة حرارة الأرض بسبب التحولات التدريجية في علاقة الأرض مع الشمس. إلى جانب ذلك، هناك أثر الإشعاع الشمسي والنشاط البركاني في المناخ. كما ساهم النشاط البشري والتصنيع والتَحضُّر وإزالة الغابات في ارتفاع تركيز الغازات في ظاهرة الاحتباس الحراري في الغلاف الجوي للأرض.

تشير التقديرات إلى أن ٧٠ في المائة من ثاني أكسيد الكربون، البشري المصدر، يأتي من استخدام الوقود الأحفوري مثل النفط والفحم والغاز. تاريخيا، ووفقا لمكتب الأرصاد الجوية (٢٠٠٥)، كان تركيز ثاني أكسيد الكربون قبل الثورة الصناعية ٢٨٠ جزء في المليون، وارتفع بنسبة ٣٥ في المائة ليصل إلى ٣٨٠ جزء في المليون. ويحتمل أن يسبب هذا بدوره نقطة تحول، حيث ستقترب درجة حرارة الأرض إلى ٢ درجة مئوية فوق مستوياتها ما قبل عصر الصناعة.

يتنبئ الفريق الحكومي الدولي المعني بتغيّر المناخ (٢٠٠٧) لنهاية القرن، تحت سيناريو الانبعاثات العالية، بارتفاع مقداره ٠,٩ متر في متوسط مستوى سطح البحر، مما يؤدي إلى احتمالية نزوح ١٥ مليون في بنغلادش. ويرتبط الجدل حول تغيّر المناخ بمفهوم العدالة والآثار الجانبية البيئية، حيث ستعاني الدول التي لها دور محدود في التلوث من عواقب أكبر لمخاطر تغيّر المناخ من حيث المحاصيل الزراعية وتقلبات هطول الأمطار. من المرجح أن تسبب الاختلافات بين الشمال والجنوب في توزيع المواد الغذائية مخاطر إلى ٦٠ مليون شخص على الأقل من سكان أفريقيا. وعلاوة على ذلك، سيصبح هطول الأمطار الحاد والفيضانات أكثر شيوعا على نحو متزايد. هناك ثمن للتقاعس عن

إتخاذ الإجراء المناسب، وهناك حاجة إلى اتخاذ إجراءات عاجلة للتخفيف والحد من الآثار السلبية لتغيّر المناخ.

في السنوات الثلاثين المقبلة، من المرجح حدوث تسارع في تراجع التنوع الحيوي، وسوف تصبح النظم البيئية على نحو متزايد أقل قدرة على تقديم الخدمات التي يحتاجها الناس من حيث الهواء والماء والغذاء والدواء والطاقة. وسوف تكون النظم الاقتصادية والبيئية العالمية أكثر ضعفا، مما يؤدي إلى زيادة احتمالية حدوث الاضطرابات المناخية. وللحد من المخاطر والتهديدات المحتملة، نحن بحاجة إلى نظام مناعة عالمي لبناء القدرة على التَكيُّف، ونحن بحاجة إلى تعزيز القدرة للتعامل مع المخاطر وعدم التأكد من أحداث المستقبل.

نعلم أن مشاكل تغيّر المناخ موجودة، ولكنها مشاكل معقدة، ولا يمكن التنبؤ بالتفاعلات بين التغيّرات البيئية في المستقبل. إن نظم الإدارة البيئية العالمية هي دون المستوى الأمثل في التعامل مع عدم اليقين في أحداث المستقبل. فشل الفريق الحكومي الدولي، خلال محاولاته لتحديد مناطق توافق الآراء، في الأخذ بعين الاعتبار التصورات والخيارات السياسية العامة بين الشمال والجنوب، ونماذج التنمية وخيارات الطاقة. وهذا الفصل عبارة عن محاولة لوضع إطار أو نموذج لمعالجة مسألة تغيّر المناخ من منظور إسلامي.

**تغيّر المناخ: وجهات نظر إسلامية**

خلُصتْ لجان الأمم المتحدة للبيئة والتنمية في عام ١٩٨٧ إلى أنَّه ما لم تصبح التنمية المستدامة مبادرة عالمية فسوف تتعرض كل من الحضارة الإنسانية والبقاء على قيد الحياة في المستقبل إلى الخطر. في القرن الحادي والعشرين، سوف يكون من البصيرة الثاقبة إعادة النظر في دور التنمية المستدامة في تطوير الحضارة الإنسانية. يعزز التضمين التدريجي للتدابير الرامية إلى تعزيز التنمية المستدامة السعي إلى مجتمع مُستدام. وبالتالي، سيكون من المهم التفكير والتعلُّم لماذا ترتقي الحضارات وتنهار في ضوء وجهات النظر الثقافية، مثل الإسلام، وذلك لتكوين الفكر المدني والذاكرة الجماعية لتجنب الانهيار. وفيما يلي وصفا لطريقة تعامل الإسلام مع قضية تغيّر المناخ.

بيَّنت النصوص الإسلامية البشر على أنهم فريدون من نوعهم في الخلق. ويخضع كل الخلق لإرادة الله تعالى، بينما البشر لديهم سمة فريدة في كونهم قادرين على الوقوف جانبا واختيار نهج بعيدا عن الهدى والوحي. تعني هذه المقدرة على العصيان، إلى جانب حقيقة أن البشر موجودون ضمن بقية الخلق، أن البشر حُمِّلوا أمانة التصرف بمسؤولية. تعتبر هذه المسؤولية أمانة عظيمة،

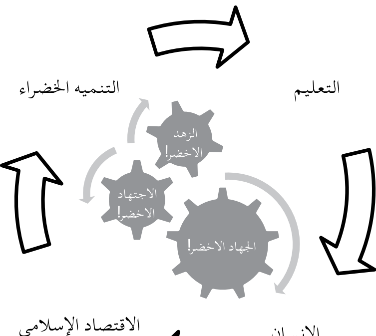
وحمل الإنسان هذه الأمانة.

يُسمى مفهوم الأمانة، أو القوامة، في القرآن الكريم بالخِلافة. يرىLlewellyn (٢٠٠٣) أن الخلافة ليست امتيازا، إنما هي أمانة ومسؤولية. ويؤكد كل منKhalid (٢٠٠٢) وChishti (٢٠٠٣) أن سبب الأزمة البيئة هو فشل الإنسان في مهمة الخلافة، حيث يُعتَبَر العالم الطبيعي مقياسا تشير قراءاته إلى مدى وفاء المجتمع بمسؤولياته الممنوحة له من الله. إن قيام البشر لحق الأمانة يتطلب التغيير في وجهات النظر الكونية وطريقة التفكير وأساليب الحياة ونماذج التنمية.

إنَّ مفهوم التوحيد هو أمر أساسي في الإسلام. ويُستَدَل على أهمية التوحيد في العقيدة من خلال حقيقة أن الجزء الأول من الركيزة الأولى في الإسلام هو شهادة أن «لا إله إلا الله». يرتبط هذين الموضوعين؛ وحدانية الله والإشارة إلى الطبيعة كعلامات أو آيات، بشكل مباشر أكثر مما قد يبدو للوهلة الأولى. مفهوم التوحيد في الإسلام، الذي يرمز إلى وحدانية الخالق (Khalid، ٢٠٠٢).

وفي نهاية المطاف فإن الطريق إلى إدراك وحدانية الله هو الطريق الذي يعيش فيه الفرد حياته في حالة من الوعي المتزايد لهذه الوحدانية، وفهم أفضل لمكان الفرد في الخلق الأوسع، وتحقيق دور الفرد كخليفة أو وصي في الأرض بسهولة أكبر. ساهم الإسلام كوجهة نظر كونية في تشكيل خطاب جديد لشرح الأسباب الجذرية والعلاجات المحتملة لظاهرة تغيّر المناخ.

هناك حاجة لتحقيق التحول الكلي في تسخير المعرفة المحلية والابتكار والأخلاق ونماذج التنمية الجديدة لمعالجة الفقر ورعاية البيئة. وفيما يلي عرض موجز للمفاهيم الإسلامية الأساسية المتعلقة بتغيّر المناخ. تغطي الآراء الإسلامية المتعلقة بتغيّر المناخ ثلاثة مجالات وتشمل: النشاط الأخضر أو الكفاح، والابتكار الأخضر أو الاجتهاد، وأسلوب الحياة الأخضر أو الزُهد، كما هو مبين في الشكل ٢,٦ أدناه.




الشكل ٢,٦ نموذج لمعالجة تغيّر المناخ من وجهة نظر إسلامية.

## الجهاد الأخضر

المعنى الأساسي من الجهاد هو النضال ضد الإختلالات والظلم والفساد التي تُخِل بالفطرة. يجب على المجتمع المسلم أن يُظهِر الأسلوب الأمثل والمتوازن للحياة كأمة وسط. إن الدور الرئيسي للأمة هو ضمان العدالة والجمال والتوازن في الكون من خلال ممارسة مهمتها كخليفة في الأرض. يجب أن يَدعم نشاط المجتمع المدني في العالم الإسلامي ويرعى وسيلة خضراء للحياة تتماشى مع النظرة الإسلامية. هذا النشاط هو أحد أشكال الجهاد (الكفاح) لضمان التوازن والانسجام بين البشر والطبيعة. تحويل الطاقة الإيجابية للشباب في العالم الإسلامي نحو الجهاد الأخضر، الذي يدعم جميع مبادئ العدل والإحسان، يدعم عملية التطوير وعمارة الأرض. علَّق Llewellyn (٢٠٠٣) على وجهة النظر القرآنية التي تصف كل نوع من الكائنات الحية بأنه أمة، وأنه جزء من مجتمع الحياة أو الأمم، وأنه يجب احترام جميع أشكال الحياة. وأضاف بأن كل مخلوق يسبّح الخالق، حتى لو كنَّا لا نفهم تسبيحهم أو سمفونية الحياة. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: "تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ * وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ * إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا" (سورة الإسراء، آية ٤٤).

يتضمن مفهوم الجهاد الأخضر تقدير التوازن والجمال في الكون والحفاظ عليهما. يُعرَّف الإحسان، كما هو محدد ضمن إطار الاستدامة، بالجمال والتميُّز. إلى جانب ذلك، يُشير الإحسان إلى مرحلة عُليا من الإيمان فوق الإسلام والإيمان؛ وهي وعي وإدراك الله تعالى.

الإحسان، كما قال Majeed (٢٠٠٣)، هو الجمال الداخلي الذي ينبثق إلى الخارج، ويحوِّل كل نشاط إنساني إلى فن، ويحوِّل كل فن إلى ذكر لله تعالى. يتّصل مفهوم الجمال إتصالا حميما بالله تعالى، ويمكن أن يتجلى الإحسان من خلال الإنسان على شكل الهندسة والحدائق والخط العربي والأقواس الجميلة. وبالتالي، يمكن النظر إلى الفن والجمال (الإحسان) باعتبارهما حلقة التغذية الراجعة للتفكر والتأمل. وينعكس الجمال الداخلي للقلب في جوهره في الجمال الخارجي ليطوِّر وعيا جديدا.

ويتماشى الجهاد الأخضر أيضا مع الفِطرة؛ وهي، كما يصف Khalid (٢٠٠٢)، «حالة النقاء، وحالة الجمال الداخلي». يشير Chishti (٢٠٠٣) إلى أن الإسلام يصف نفسه بأنه دين الفطرة. ويشير هذا إلى حالة الجمال الداخلي التي تُولِّد الفعل الإيجابي. مفهوم الفطرة هو حالة إدراك الإنسان لمكانه الخاص في الخلق الأوسع، وبالتالي فإن الإنسان مستعد للاستجابة لبيئته بإحسان داخلي أكبر.

شهدنا في القرن العشرين ولادة ثلاث حركات، وهي؛ حقوق الإنسان والسكان المحليين والبيئة. إتحدت الحركات الاجتماعية والبيئية لمعالجة قضايا العدالة الإنسانية والبيئة، مع التركيز القوي على قضايا التعدين والاستخراج والتلوث. كانت هذه الحركات في موقع المعارضة بمواجهة صناعة النفط ونفوذ الشركات والوكالات المانحة والسياسات العامة. يقوم الجهاد الأخضر على وحدة جميع هذه الحركات (حقوق الإنسان والاجتماعية والبيئية) لمعالجة عدم المساواة بين الذين يملكون والذين لا يملكون. تجلى هذا الشكل من أشكال الجهاد الأخضر بوضوح في ثورة شباب ألوان الطيف في تونس ومصر في أوائل عام ٢٠١١. دعا الناس في الشرق الأوسط لاعتماد القيم الأساسية للمساواة والعدالة التي تدعم الاستدامة لأي مجتمع إنساني وحضاري. ولكن رحلة التحول الاجتماعي سَتَمُر في مخاضات صعبة حتى يتمكن المجتمع من الوصول لحالة السلم الاجتماعي.

وكما يقول Adams (٢٠٠٨)، هناك مجالات ذات اهتمام مشترك بين الحركات البيئية وحقوق الأنسان، على سبيل المثال تحويل أشجار المنغروف إلى بيئة مائية للروبيان. يؤدي هذا الفعل إلى التدهور البيئي وإلى فقدان التنوع الحيوي، وغالبا ما ينطوي على خصخصة مناطق الصيد المجتمعية حيث يخسر كل من الفقراء والتنوع الحيوي.

يُعتبر الجهاد الأخضر في جوهره قوة إيجابية هادفة لضمان التوازن والفطرة وحماية مجتمع الحياة ولضمان الحياة الطيبة والعدالة. لفتNasr (٢٠٠٣) الانتباه إلى الآثار المترتبة على انقراض الأنواع الحية من الكائنات من هذا المنطلق الروحي عندما قال أن جميع المخلوقات في العالم الطبيعي يسبح بحمد الله. عندما نسبب تهديد للأنواع أو نتَسبَّب في انقراضها، فنحن في الواقع نُسكِت فئة كاملة من المُسَبِّحين لله، أو ما أسمِّيه إزعاج أو انقطاع لسمفونية الحياة. يُخبرنا القرآن الكريم أن الإنسان يسيئ استخدام القوة، وهذا يؤدي إلى تدهور كل من رأس المال الطبيعي ورأس المال الاجتماعي. إذا كان المسلمون يشكِّلون جزءا من نشاط المجتمع المدني العالمي، فهذا من شأنه أن يُعزِّز دور المسلمين كمحرِّك للتغيّر من أجل السلام العالمي والديمقراطية والحرية.

إن الإسلام في جوهره في حالة انسجام مع الفطرة، وفي حالة احترام للميزان والمقدار في أنظمة الكون. تستطيع هذه المفاهيم، التي هي جزء لا يتجزأ من منظومة القيم الإسلامية، توفير الخطاب الأخلاقي للمسلمين في قضية تغيّر المناخ. لترجمة هذا إلى المصطلحات التقنية لقياس تركيز المناخ في أجزاء في المليون. يدور موضوع تغيّر المناخ حول الزيادة في تركيز أو نسبة الغازات المسببة للاحتباس الحراري التي يمكن قياسها في جزء في المليون. نشهد زيادة في تركيز ثاني أكسيد الكربون، نتيجة لنموذج التنمية البشرية وأنماط الإستهلاك، وقيمة هذه الزيادة أكثر من ٤٢٠ جزء في المليون،

مقارنة مع مستويات ما قبل الصناعة، التي كانت ٢٨٠ جزء في المليون.

وبالتالي، فإن التصدي لقضية تغيّر المناخ من منظور إسلامي هو حول افتراض دور الإنسان باعتباره وصيا وخليفة، ودور الأمة الوسط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمان الانسجام والتوازن، وضمان النسبة السليمة من تركيز ثانب أكسيد الكربون (الفِطرة). وقد حدث اختلال في هذا التوازن نتيجة لخيارات الإنسان التي تؤدي إلى الاستهلاك المفرط والاستغلال الزائد والإفراط في استخدام الموارد. إن البعد الأخلاقي للإسلام هو حول ربط النظرية والتطبيق من خلال تطور الوعي الجديد، والتطور الروحي والإحساس بالمسؤولية تجاه الكون. وسوف يؤدي تجسيد الإسلام بدوره إلى نشاط بيئي لحفظ سلامة الكوكب من خلال حماية الحياة على الأرض، ولاحترام حقوق الأنواع الأخرى، ولحماية التنوع من جميع المجتمعات في الحياة.

**الاجتهاد الأخضر**

يحتوي القرآن الكريم على آيات كثيرة ومبادئ توجيهية لإلهام العقل والخيال البشري للتعلم من أنظمة الكون والطبيعة. يحدد الإسلام القواعد والمبادئ التي توفر الإطار المرجعي لصانعي السياسات ورجال القانون لوضع الموازنات والقرارات الواضحة لضمان التوازن بين المصلحة العامة والخاصة، وبين الناس والطبيعة. وتسمى عملية صياغة القانون من القرآن الكريم والسنة بالاجتهاد، الذي هو عملية تفسير واستقراء من أجل حل القضايا الراهنة في ضوء فهم النص في سياقات مختلفة. ومع ذلك، يعتمد تطبيق المبادئ الإسلامية الأساسية لحل مشاكل العالم الحقيقي على التكيف والاستيعاب الانتقائي للقوانين الإسلامية، التي تتطلب الفهم السليم للقضايا الراهنة، بما في ذلك العلوم والسياسة والعلوم الاجتماعية كما ذكر Kamali (١٩٩١) وRamadan (٢٠٠١).

واجه الفكر الإسلامي إشكالات من خلال مفهوم «إغلاق الاجتهاد» من قبل علماء الدين في القرن الثالث الهجري، وكذلك تجاهل الابتكارات من نهاية القرن الثامن عشر. وضّح Kamali (١٩٩١) بأن هذا الإغلاق كان جزءا من السبب الذي أدّى إلى حدوث فجوة بين الشريعة الإسلامية والظروف المتغيّرة للمجتمع. يتطلب هذا التفكير لتطوير القوانين والمبادئ الإسلامية في حل القضايا المعاصرة، بما في ذلك التغيّرات المناخية العالمية كما أشارLlewellyn (٢٠٠٣). وأعتقد أن تعزيز ثقافة الاجتهاد يتطلب الإصلاح في المجالات التالية:

أ) تعلم متعدد التخصصات، وتوحيد العلوم الاجتماعية والمادية.

ب) تفسير واستقراء التوازن بين المصلحة العامة والخاصة في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية.

ج) فهم القوانين الفيزيائية والاجتماعية (السُنَنْ) وترابطها.

يعتبر مصطلح المصلحة العامة أداة من أدوات الاجتهاد. وأحد جوانب المصلحة هو النظر في السياسة التي من شأنها أن تُحسِّن وضع المجتمع ككل بعيدا عن القطاع الخاص أو المصلحة الذاتية. وقد تم تحديد خمسة مقاصد عامة أساسية من قبل الفقهاء، وهذه المقاصد توفِّر إطارا ونظاما لإستنباط حكم قانوني. وهذه المجالات الخمسة مرتبة حسب الأولوية هي: حماية الدين والنفس والنسل والعقل والمال.

يمكن الموازنة بين هذه المجالات الخمسة إستنادا إلى التأثير المحتمل والمنفعة والأولوية. على سبيل المثال، للمصلحة العامة الأولوية على المصلحة الخاصة أو مصلحة المجموعة. تُشكِّل المبادئ ومقاصد الشريعة إطارا لمدونة قواعد السلوك وتُثري النقاش القائم حول قضية تغيّر المناخ. إن غياب أخلاقيات ومبادئ بيئية عالمية هو السبب الجذري للتهاون في إتخاذ العمل اللازم بشأن تغيّر المناخ كما هو واضح في مؤتمرات القمة حول المناخ التي عُقِدت في كوبنهاغن في عام ٢٠٠٩ وكانكون في عام ٢٠١٠.

كان عدم وجود قيادة عالمية في الولايات المتحدة والعالم الصناعي، بما في ذلك الصين والهند، في المناقشات حول تغيّر المناخ واضحا في المواقف السياسية في مؤتمرات القمة حول المناخ في عامي ٢٠٠٩ و٢٠١٠. وقد كان مُبَرِّر الولايات المتحدة من عدم المصادقة على بروتوكول كيوتو بأنها لا تريد الإضرار بالاقتصاد الأمريكي، وهذا يبيِّن الوهم في اقتصاد السوق الذي يعطي الأولوية للمال فوق النفس. إن إدراك مصطلح الشريعة الإسلامية «الضرورات» يُثري السياسة العامة في تحديد الأولويات، كما هو الحال في مقاصد الشريعة حيث أن حماية الأمن الإنساني والنفس له الأولوية على المال. أحد الانتقادات الموجهة للنموذج الاقتصادي الغربي الحالي هو أنه لا يخبرنا الحقيقة البيئية، نظرا لأنه يعزز النمو الاقتصادي على حساب رأس المال البشري والطبيعي.

راعت الأحكام الإسلامية القائمة على الضرورات الخمس، على النحو المبين في المقاصد، كل من احتياجات أجيال الحاضر وأجيال المستقبل. وبالتالي، فإن رفاهية وأمن الأجيال المقبلة هي من القيم الأساسية في الإسلام. يمكن أن تؤثر المخاطر والتهديدات المحتملة لتغيّر المناخ على الأمن البشري والحياة على الأرض، وبالتالي لا بد من تجسيد هذه الأخلاق الجديدة في القواعد والسياسات العامة التي تعزز الاجتهاد والقيادة لإنقاذ الناس والطبيعة.

**الزهد**

تؤكد تعاليم الدين الإسلامي على مفهوم العيش الزهيد على الأرض وتدعو الى الحفاظ عليها والحد من الإسراف والتبذير. كما يشجع الإسلام البشر على التفكير في نِعَم الله، وينبغي على البشر أيضاً، بحسب Armstrong (٢٠٠١)، أن يتأملوا خيرات الله وقدراته الواضحة أينما نظروا حولهم. إن هذا التأمل في عجائب العالم الطبيعية يحفز على الابتكار ورعاية الذكاء الطبيعي.

لقد تحدثت الآيات القرآنية المكيّة عن وحدانية الله سبحانه وتعالى كما طالبت سكّان مكة المكرمة بالكف عن الجشع والظلم وكَنْز المال. وربطت التعاليم الإسلامية الأولى بين الطبيعة والخالق. ويتضح هذا الارتباط جلياً باستخدام كلمة «آيات» أي «علامات». وتشير كلمة «آيات» إلى علامات في القرآن والطبيعة. ووضّح Nasr (١٩٩٨) احتواء الطبيعة على صفات مُقدَّسة من وجة نظر إسلامية. كما ينظر المسلمون الى كل مخلوق من مخلوقات الله على اعتباره حاملاً لرسالة وإشارة يجب قراءتها من خلال آيات القرآن الكريم الكونية. لذا فيجب الحفاظ على الوعي بقدسية الطبيعة التي يتخللها وجود الله وذلك من خلال تذكر صفة الله تعالى باعتباره «المحيط» بقدرته وعلمه بكل شيء.

وكما عبر عنها Nasr (٢٠٠٣)، فإننا لا نحتاج إلى الطبيعة لتوفير الغذاء والمأوى لأجسادنا فقط، بل أيضا وقبل كل شيء لتغذية أرواحنا. وللطبيعة قيمة للبشرية تتعدى المنافع المادية الواضحة وتشمل التنشئة الروحية، وبالتالي تلبية حاجة أعمق. وتعزِّز هذه الروابط الموجودة بين العلامات الكونية والقرآن الكريم إتِّصال الانسان بالخالق وتوفِّر له ترياقاً ضد الآثار الناجمة عن العيش في ظل ثقافة تركِّز اهتمامها على الإنتاج والربح والنمو الاقتصادي، بالاضافة إلى تأثيراتها السلبية على تأجيج التغيّر المناخي.

ينطوي نمط الحياة الخضراء والتنمية المحلية على المحافظة على الموارد كوسيلة للحياة ويدعم نماذج إنمائية صغيرة كما هو مطبَّق في مصر؛ كما أشار الى ذلك Abouleish (٢٠٠٥). ويؤيد الإسلام الحفاظ على الموارد بما في ذلك المياه والغذاء والطاقة بغض النظر عن مدى وفرتها. ويقوم النموذج الاقتصادي الحالي على زيت الوقود الأحفوري الذي يُعتبر السبب الجذري للتحدي المتمثل في تغيّر المناخ. ونحن بحاجة إلى الموارد الطبيعية والطاقة لإنتاج أي سلعة. وتعتبر الطاقة مستلزماً أساسياً للتصنيع وتجهيز المواد الخام وشحن المنتجات النهائية لجميع أنحاء العالم. فاستخدام الطاقة أثناء هذه العمليات، السابق ذكرها، ذا صلةً كبيرة بتغيّر المناخ. وتُحدِّد الأنواع المختلفة للطاقة

الأحفورية (الفحم والنفط والغاز) أو الطاقة المتجددة (الرياح والطاقة الشمسية والهيدروجين والطاقة الكهرومائية أو النووية أو الوقود الحيوي) مستقبل المناخ والصحة على كوكب الأرض والذي يستند على خيارات السياسة العامة وأهداف التنمية والخيارات الاجتماعية.

ويشجِّع الإسلام التنمية المبنية على المشاريع الصغيرة، ومحورها الانسان، التقليل من الآثار الإيكولوجية المرتفعة جداً بسبب التجارة العالمية. وهذا يعني أنه ينبغي أن ترتبط عملية الإنتاج بمقدار الحاجة اليها وليس بهدف مضاعفة الربح وزيادة الطلب على السلع الكمالية. وفي الإسلام، هناك ضوابط لحفظ واحترام قدرة الأرض على التحمُّل. ومن ثم تشجِّع القيم الإسلامية سياسات تقليل الاعتماد على استخدام الوقود الأحفوري بغض النظر إذا كانت مخاطر تغيّر المناخ موجودة أم لا أو إذا كان هناك ندرة في الموارد أم لا. ومن هذا المنظور، يمكن أن يُنظَر إلى تغيّر المناخ كأحد أعراض الانحراف بعيداً عن مبدأ الزُهد. فالرسالة الرئيسية هي أنه حتى في حالة عدم وجود تهديدات بتغيّر المناخ، فمن الضروري على المسلمين تجسيد واتباع المبادئ الإسلامية كأمة وسط لحفظ كوكب الأرض والوجود البشري ورفاهيته.

تُشكِّل المكونات الثلاثة؛ الكفاح الأخضر والاجتهاد والزهد، النهج الإسلامي للتصدي لتغيّر المناخ من خلال تنمية المجتمع المحلي بالإضافة إلى إيجاد تعليم عالي النوعية والاعتماد على نماذج التمويل الاسلامية. ويُمثل هذا النموذج استجابة شاملة لتغيّر المناخ من منظور إسلامي. وعلى وجه التحديد، فالجهاد الأخضر هو تسخير لنشاط المجتمع المدني لحفظ الطبيعة وحق الشعب في حياة حرة وآمنة وصحية. ويقوم الاجتهاد الأخضر على تحرير الإمكانات البشرية وتحفيزها للابتكار لتحسين رفاهية الإنسان. وعلاوة على ذلك، يتمثل الزهد الأخضر في المعيشة الرفيقة بالأرض وتجنُّب الإفراط في الاستهلاك والاستخدام المفرط في استغلال الموارد. إلا أن وسائط الإعلام تلعب دوراً رئيسيا في تحويل الاحتياجات البشرية إلى رغبات. ويحث الإسلام جميع البشر على عدم التعلق بثقافة النزعة الاستهلاكية وعلى اكتساب أنماط حياة متقنة. وينبغي على المسلمين، كأمة وسط، تحمُّل المسؤولية وتجاوز ثقافة المستهلك ووضع نماذج للطاقة المتجددة، والإنتاج النظيف والتجارة العادلة والإنتاج الموضعي الذي يؤدي بدوره إلى التقليل من انبعاثات الكربون والمخاطر والكوارث المحتملة لتغيّر المناخ.

وبحسب Armstrong (٢٠٠١)، يشير القرآن الكريم إلى عدم حدوث الكوارث الطبيعية بشكل عشوائي، وأن حدوثها يكون نتاج للأنشطة البشرية كما تبينه الآية التالية: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (سورة الروم، آية ٤١).

ويشير مصطلح «الفساد» بمفهومه الواسع إلى العلاقة بين السبب والأثر الناتج عنه؛ وهو مرتبط بأفعال البشر الهادفة في جميع مجالات الأنشطة البشرية. وفي عصرنا الحالي، يمكن لمفهوم الفساد أن يشمل، إلى جانب الفساد الاقتصادي والسياسي، التأثيرات البيئية مثل ارتفاع مستوى سطح البحر وزيادة الفيضانات والجفاف والأعاصير. والتي ترتبط جميعها بالتغيّرات المناخية البشرية المنشأ. بالإضافة إلى التكلفة الاقتصادية الهائلة الناجمة عن للفساد.

ويقدِّر البنك الدولي (٢٠٠٩) قيمة ما يُدفع من رشاوي كل عام بنحو تريليون دولار أمريكي. ويُعتبَر الفساد من بين العقبات التي تعترض التنمية المستدامة، إذ أنه يشوّه مبدأ سيادة القانون وممارسات الحكم الرشيد. كما يمكن للفساد بجميع أشكاله أن يُؤثر في البيئة وينعكس هذا التأثير سلبياً على العديد من المجالات حيث يمارس قطاع الشركات ضغوطاً من أجل إصلاح القوانين والأنظمة بما يتناسب مع مصالحها من خلال جعل الموارد الطبيعية سلعاً وتحميل الفقراء عبئ تغطية التكاليف الإضافية للفساد. إلى جانب ذلك، يُحدِث الفساد أضراراً بالتوازن الاقتصادي والاجتماعي والإيكولوجي في المجتمع، وتعد تكاليف منع أضرار الفساد بمثابة تكلفة الفرصة البديلة للموارد التي يتم تخصيصها لعمليات التنمية والاستدامة.

تُعتبر مفاهيم العدالة والأخلاقيات من الركائز الأساسية للرؤية العالمية الإسلامية لتحقيق السلام والانسجام بين الناس والطبيعة. ويشير الإسلام إلى الفساد كمشكلة أخلاقية واجتماعية ناجمة عن السلوك البشري. وينظر الإسلام إلى مسألة تغيّر المناخ على نحو شمولي بحيث يتضمن مفاهيم العدالة والإنصاف والصدق. ويمكن تجسيد مفهوم التحول الأخضر من خلال اعتماد مناهج تحويلية للتمويل والتنمية البشرية والتعليم. وعلى سبيل المثال، ترتبط مخاطر تغيّر المناخ بالطلب العالمي للطاقة للحفاظ على اقتصاديات السوق الحالية والتي يمكن أن تكون الدافع وراء الحروب والاحتكارات. خلال التسعينيات، تمكّنت السياسة الأميركية من تحييد وشغل الرأي العام حول مخاطر تغيّر المناخ وفي المقابل تم التركيز على الحرب على الإرهاب كما عبر عنها Al Gore (٢٠٠٧). تُعتبر الحرب على العراق عام ٢٠٠٣ ومسألة أسلحة الدمار الشامل أمثلة جيدة على سوء الإدارة العالمية والفساد المنتشر في العديد من المجالات، سواء فيما يتعلق بأسباب ودوافع الحرب إلى مسائل أخرى تتصل بشركات النفط وكرامة الإنسان. ولم تأخذ العقلانية الاقتصادية بعين الاعتبار الآثار المكلفة الناجمة عن هذه الحروب سواء أكانت آثاراً بشرية أو ايكولوجية أو اجتماعية. على سبيل المثال، بلغ مجموع تكاليف الرعاية الصحية لقدامى المحاربين ومعاقي الحرب على العراق بين ٤٢٢ بليون دولار و٧١٧ بليون دولار بحسب Stiglitz وBilmes (٢٠٠٨).

أدى انعدام الإشراف والوصاية البشرية في العالم الإسلامي الى حالة من الفساد والفوضى. فعلى القيادات، في جميع مستوياتها، القيام بالكثير للتصدي لمسألة تغيّر المناخ عن طريق معالجة الأسباب الجذرية لهذه المسألة وليس فقط الأعراض الناجمة عنها. يُلحِق النموذج الاقتصادي الغربي ووسائل الإعلام والثقافة الاستهلاكية ونمط الحياة الراهن ضرراً بالإنسان والطبيعة. كما يجب إعادة النظر في النظرية الاقتصادية الكامنة التي تُحدد مفهوم السعي لتحقيق السعادة والنمو الاقتصادي. فيستند الأساس المنطقي للنظام المصرفي ومعدل الفائدة المركبة إلى الإفراط في استغلال الموارد الطبيعية من خلال اعتماد مفهوم خصم المستقبل مما يؤدي إلى تقويض مفهوم الإنصاف بين الأجيال.

وفي محاولة لإيجاد علاقة السببية بين الأنشطة البشرية والفساد وعلاقتها بتغيّر المناخ، يوضح المخطط التالي علاقات السبب والأثر الناجمة عن عدد من الانشطة البشرية:

**الحالة أ: الانسجام**

توحيد الله ← الفطرة ← العدل ← الخلافة ← الزهد

**الحالة ب: انعدام التوازن**

الإفراط في الإستهلاك ← زيادة استخدام الوقود الإحفوري ← زيادة انبعاث غاز CO2 ← تغيّر المناخ (فساد)

**الحالة ج: الاصلاح أو الترميم**

ردود فعل حلقات التعلم ← الكفاح الاخضر (الاجتهاد الاخضر) ← الزهد ← إصلاح الفطرة

تمثل الحالة أ الحالة المثالية؛ حيث يتمسك المجتمع بروح الإسلام ويجسِّد دور الوصي والخليفة على الأرض، مما يحقق التوازن في عمارة الأرض دون إلحاق أي ضرر بالأجيال المقبلة. بينما تمثل الحالة ب الإفراط في استخدام واستغلال الموارد الذي يؤدي إلى زيادة انبعاثات غاز CO٢ وإختلالات مناخية، وهي حالة بعيدة عن الفطرة الطبيعية. الحالة الثالثة، الحالة ج، هي رؤية يسعى فيها المجتمع إلى إصلاح وتحويل لاستعادة حالة الفطرة الطبيعية عن طريق الكفاح الأخضر والاجتهاد والزهد، كما هو مبين في الشكل ٦.٢.

سأناقش في القسم التالي مشكلة الكربون والاسلام من خلال استخدام «استعارات» وشرح آثارها على الخطاب السياسي العالمي.

**دورة الكربون وتغير المناخ والإسلام: استعارات جديدة**

يقوم منهج إصلاح القوانين البيئية الذي اتبعته الولايات المتحدة خلال تجربتها في مجال تغير المناخ على العلم الذي يحدد ويعرِّف المشكلة باعتبارها مشكلة بيئية بحتة غير مرتبطة بالتنمية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأمن الإنساني. إلى جانب ذلك، يرى هؤلاء أن المجتمع البيئي يتجه إلى التركيز على الخطط العامة دون التفكير في السياسة التي جعلت هذه الخطط ممكنه. ويُنظَر إلى مجال حماية البيئة على أنه مجرد مجال آخر للإهتمام الخاص. وهذا واضح في تبرير وتفسير وتعريف ما يُعتَبَر قضية بيئية. حماية البيئة هو اليوم أكثر حول حماية «البيئة» من تطوير فكر استدامة جديد ورؤية حول الإنسان والطبيعة.

من ناحية أخرى، تقود أوروبا التحول نحو اقتصاد منخفض الكربون. حيث تستثمر الدنمارك في مجال الطاقة المتجددة، ووافقت بريطانيا على خفض انبعاثات الكربون بنسبة ٦٠ في المائة خلال ٥٠ عاما، وهولندا بنسبة ٨٠ في المائة خلال ٤٠ عاما، وألمانيا بنسبة ٥٠ في المائة خلال ٥٠ عاما. إلى جانب ذلك، تستثمر الصين في سيارات الطاقة الشمسية والطاقة الصديقة للبيئة.

تدعي صناعة الإحتجاج أن العمل على ظاهرة الاحتباس الحراري ستكلف مليارات الدولارات وملايين الوظائف كما يزعم آل غور (٢٠٠٧). ويكررون هذا الإدعاء من خلال الإعلانات وجماعات الضغط (اللوبي) والعلاقات العامة وبناء تحالف بين الشركات والنقابات العمالية. يمكن تحديد إطار النقاش في سياق أن الحد من غازات الاحتباس الحراري لن يكون ضارا بالعمل. على العكس من ذلك، فإنه يمكن القول بأن المحافظة سوف تعزز الابتكارات وخلق فرص عمل جديدة في الاقتصاد الأخضر. وسيقدم القسم التالي محاولة لاستخلاص بعض التشبيهات والاستعارات بين تغير المناخ والإسلام.

**اعادة فهم الخطر الناتج من تغير المناخ والإسلام.**

هناك حاجة لإعادة التفكير في كل من الكربون والإسلام كمصادر محتملة للمخاطر والتهديدات والتحديات. ومن المفارقات أن كل منهما، الكربون والإسلام، يمثِّل وَجهين لعملة واحدة؛

حيث أنه يمكن النظر إلى كل من ثاني أكسيد الكربون والإسلام على أنهما خطر محتمل، وذلك عندما لا يُفهمان بطريقة متوازنة وبما يتماشى مع الفِطرة. لا يمكن التصدي للتحديات العالمية، من كل من الكربون والإسلام، ما لم يتم تحديد إطار وتصوّر لها بطريقة منهجية كجزء من النظم الطبيعية في البيئة والإنسانية. وفي محاولة لاستخلاص استعارات وتشبيهات متوازية بين الكربون والإسلام، لا بد من فهم دورة الكربون والرؤية الإسلامية (كنظام)، وذلك لإجتثاث الصور النمطية والمفاهيم الخاطئة من دورتي الحياة والطاقة.

الكربون هو عنصر متوفر بكثرة وهو ضروري للحياة على الأرض. تتمثّل دورة الكربون في تبادل الكربون بين جميع مكونات الأرض - الغلاف الجوي والمحيطات والأنهار والصخور والرواسب والكائنات الحية. عمليات التمثيل الضوئي والتنفس هي أساس دورة الكربون. تَستخدِم النباتات، في عملية التمثيل الضوئي، الطاقة من الشمس وثاني أكسيد الكربون (CO٢) من الغلاف الجوي لخلق الكربوهيدرات (السكريات) والأكسجين (O٢)؛ كما هو موضح في المعادلة التالية:

التمثيل الضوئي: الشمس + ثاني أكسيد الكربون ($CO_2$) ⟵ (è) الطاقة (السكر) + $O_2$ ... (١)

ثم يتم تخزين الكربوهيدرات في كتلتها العضوية (الأجزاء الحية، مثل الأوراق والسيقان والجذور) في دورة حياة ونمو النباتات. يمكن استخدام الكربوهيدرات المُخزَّنة كمصدر من مصادر الطاقة. ولاستخدام مصادر الطاقة، يجب تكسير الكربوهيدرات في عملية التنفس، ويتم إطلاق ثاني أكسيد الكربون في الجو. إن المعدل الذي يتم فيه إنتاج ثاني أكسيد الكربون مُتغير. على سبيل المثال، إن التَّحلُّل - حيث تُكسِّر الفطريات والكائنات الحية الدقيقة الكربوهيدرات لجمع الطاقة - هو وسيلة بطيئة ولكنها هامة، يتم فيها إرجاع الكربون إلى الغلاف الجوي.

تتضمن دورة الكربون تدفق الكربون بين نُظم الأرض المختلفة. وتسمى العملية التي تمتص وتخزن الكربون بالمصرف (Sink)، بينما تسمى تلك التي تُطلِق الكربون بشكل أسرع من إمتصاصه بالمصدر (Source). وعلى سبيل المثال، فإن النبات الصحي هو مصرف للكربون لأنه يأخذ ثاني أكسيد الكربون من الجو ويخزِّنه في أوراق وجذور جديدة وساق أكبر. ومع ذلك، يمكن أن يصبح النبات مصدرا للكربون في حالة كانت كمية ثاني أكسيد الكربون المنبعثة تتجاوز تلك التي يتم إمتصاصها. ويمكن أن يحدث ذلك إذا تم أكل النبات، عندها يستخدم الحيوان الكربون للحصول على الطاقة، أو إذا تم إطلاق ثاني أكسيد الكربون في الجو من خلال التَّحلل أو الحريق.

للبشر تأثير كبير على دورة الكربون في جميع أنحاء العالم. يحتوي الوقود الأحفوري، بما في

ذلك الفحم والنفط والغاز الطبيعي، على كميات كبيرة من الكربون الذي تم تشكيله أثناء تحلُّل النباتات والحيوانات على مدى ملايين السنين. يطلق حرق الوقود الأحفوري كميات كبيرة من ثاني أكسيد الكربون، وغيره من الغازات المُسبِّبَة للاحتباس الحراري، في الجو بشكل أسرع من العمليات الطبيعية. كما تسهم التغيُّرات في الاستخدام الأراضي، وخاصة إزالة الغابات، في المستويات المرتفعة من ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي. على الرغم من أن النباتات تمتص بعضا من ثاني أكسيد الكربون الزائد، تبقى معظم الغازات المُسببة للإحتباس الحراري في الغلاف الجوي، وتساهم في تغيُّر المناخ.

يُمكن النظر للإسلام، مثل دورة الكربون، باعتباره النظام البيئي الذي يتكون، مَجازا، من التمثيل الضوئي الذي هو يحتوي على الطاقة المتجددة من الوحي والإبتكار كما هو موضح في المعادلة التالية:

(الوحي + الإجتهاد ◀—— النشاط + حياة طيبة ... (٢)

وفي محاولة لرسم تشبيه بين المعادلات السابقة (١ و٢)، يمكننا أن نرى أن في المعادلة ٢، هناك عملية «تكوين المعرفة»، والتي هي مزيج من الاستيعاب الانتقائي نتيجة للوحي والاجتهاد كمدخلات للمعادلة. وينتج عن ذلك طاقة إيجابية وحياة طيبة في ظِل تطبيق حالة الإجتهاد السليم. وبالتالي، يمكن للمرء أن يجادل بأن عدم وجود التنقيب السليم عن المعرفة والحكمة هو عَرَضْ من أعراض الركود في المجتمعات الإسلامية في جميع أنحاء العالم. ويعني هذا الركود الافتقار إلى الابتكار، وسيؤدي ذلك إلى الطاقة السلبية (الإرهاب والتطرف). ومن المفارقات، لن يُنظر إلى الإسلام، الذي هو رحمة للبشرية، كعلاج لمشاكل الإنسان بل كخطر محتمل. ويمكن قول نفس الشيء عن المعادلة (١)، فعندما لا يُمتص ثاني أكسيد الكربون الزائد عن طريق النُّظم الطبيعية بسبب الاستهلاك أو سوء الاستخدام البشري، سيحدث تغيُّر المناخ بسبب عدم وجود التوازن.

يحدث الخلل عندما يكون لدينا مصدر حيث كمية ثاني أكسيد الكربون الممتصة أقل من تلك التي يتم إطلاقها. ويمكن أن يُنظر إلى ذلك بإعتباره إنعدام الإجتهاد والحوار بين الثقافات. يعزِّز الركود في عالم المفاهيم والأفكار والحوار مع الآخر حاله تصادم الحضارات وظاهرة الخوف من الإسلام، أو ما يسمى بالإسلاموفوبيا. هذه المفاهيم الخاطئة هي «حرائق» من صنع الإنسان، تدمِّر الثروة من غاباتنا، التي هي في الواقع (مثل الإسلام) بمثابة الصيدلية وساحة اللعب وغرفة الصف

ومصدر الإلهام لنا جميعا.

يخبرنا صعود وانهيار الإسلام والأمم كيف أنه لا يمكن فهم دورات الحياة، التي تتبع القوانين الطبيعية والاجتماعية (السُنَن)، والعمل بها من قبل الناس. وسيعالج المقطع التالي هذا المفهوم من حضارة التعلم.

**الطريق الى الأمام: التعلم من البيئة (الأيكولوجيا) والتاريخ**

أشار Diamond (٢٠٠٥) إلى عدة أسباب لانهيار المجتمعات، والتي ترتبط أساسا بأضرار البيئة. وأشار أيضاً إلى أن شعب Anasazi، في جنوب غرب الولايات المتحدة، قد شهد انهيار مجتمعهم بسبب الضرر البيئي وتغيّر المناخ، تماماً كما سقطت حضارة المايا في أمريكا الوسطى. وقد انهارت العديد المجتمعات في الماضي بسبب فشلها في حل مشاكل مماثلة لتلك التي نواجها اليوم مثل المشاكل المتعلقة بإزالة الغابات وإدارة المياه وفقدان التربة السطحية وتغيّر المناخ كما بين Diamon (٢٠٠٥). ومع ذلك، فقد ساهم الناس في كل حالة من الحالات في سقوط مجتمعاتهم من خلال الإفراط في استغلال البيئة لتحقيق مكاسب قصيرة الأجل متجاهلين بذلك العواقب الطويلة الأجل التي قد تنجم عن هذه الأنشطة.

تم توضيح مفهوم صعود وهبوط الأمم من خلال نظرية ابن خلدون في التعاقب الدوري للحضارات. فوضَّح ابن خلدون بأن سقوط المجتمعات وموت الحضارات ما هو إلاّ نتيجة لفقدان المجتمعات لنسيجها الأخلاقي واستغلال النُخبة الثقافية لعامة الناس. ونشأت الحضارات القديمة، مثل بلاد ما بين النهرين ومصر، بسبب التحسينات التكنولوجية في الزراعة مما سمح للناس بالعيش في المكان ذاته لفترات أطول من الحضارات القديمة، مثل بلاد ما بين النهرين ومصر. ومع ذلك، أدت محدودية الأراضي والزيادة السكانية إلى تكثيف إنتاج الأغذية. وقد تسببت قلة الأمطار خلال موسم النمو بجفاف وفشل المحاصيل. وعلى الرغم من ضرورة تخزين المياه والري، إلاّ أن تبخُّر الرطوبة من التربة، والناجم عن ارتفاع درجات الحرارة وارتفاع منسوب المياه الجوفية، قد أدى إلى تركيز الأملاح على سطح التربة. وفي الواقع، فإن هذا مثالاً كلاسيكياً لنظام الزراعة غير المستدامة. واختارت الحضارة الزراعية القديمة مُمارسات الإنتاج الغذائي القصيرة الأجل والتي تُسبِّب التدهور البيئي لرأس المال الطبيعي. واستمر نفس النمط من العلاج القصير الأمد للبيئة في معظم مهود الحضارات الأخرى مثل الهند والصين. وقد أضافت ممارسات إزالة الغابات الضخمة في الصين إلى كارثة تآكل التربة، كما أدّى الطمي المتراكم والناجم عن التآكل إلى إنسداد الأنهار الصينية مما تسبب في فيضانات متكررة لأنهار

الأودية وبالتالي دمار هائل وخسائر في الأرواح.

ومن ثم، نُجادل بأن ضرورة التنمية المستدامة هي في الواقع أولوية وتلبية لحاجة الإنسان. والتنمية المستدامة هي برنامج لمكافحة أنماط التنمية غير المتوازنة المتجذرة في سوء إدارة الموارد وغياب الأخلاق. وتتطلب التنمية المستدامة إعادة النظر في العلاقة بين البشر والطبيعة. وهي تقوم أيضاً على اعتماد نهج شمولي متجذر في الثقافة والبيئة، كالإسلام، للتصدي للأسباب الجذرية لمشاكل البشرية. باختصار، يجب على الناس العيش في انسجام مع الطبيعة لضمان البقاء على قيد الحياة، ويعتبر هذا المفهوم مُهمّاً في عصر العولمة الذي انتشرت فيه مشاكل أكثر خطورة بما في ذلك تدمير البيئة والحد من التنوع البيولوجي والثقافي والبطالة والفقر وإتساع الفجوة بين «الأغنياء» و«الفقراء».

وجادل Nasir (١٩٩٨) بأن تدمير الرؤية المقدسة والروحية للطبيعة، على يد العالم الحديث باسم النمو والتنمية، ما هو إلا جوهر الأزمة الإيكولوجية الحالية. وخلاصة القول، يكمن حل الأزمة الإيكولوجية العالمية الحالية في تحويل الموارد الفكرية والروحية للتقاليد الدينية في العالم كمصدر للتوجيه.

**الخاتمة:**

يعرِضُ الإسلام، كرؤية كونية شاملة، نظرة تفاعلية ومتكاملة للاستدامة والحضارة البشرية. وتُحدِّد المقاصد إطارا لتحليل السياسة العامة وتحقيق الموازنة بين المصالح العامة والمصالح الخاصة. ويمثل الإسلام حالة الفطرة الطبيعية أو الدولة الجوهرية للخير. وتتضمن الفطرة انسجاما تاما مع الطبيعة والناس والبيئة المبنية. وينتج عن دور الإنسان كوصي وشاهد وخليفة على الأرض باعتباره عامل تغيير؛ بحيث يُجسد جميع أشكال الإصلاح والتنوير. كما يوفر الإسلام آفاقاً جديدة لشرح ومعالجة الأسباب الجذرية للأزمة البيئية الراهنة كما يتجلى ذلك في تغيّر المناخ، والفقر، والأمن البشري. على سبيل المثال، من منظور إسلامي، فإن السبب الجذري لتغيّر المناخ، باعتبارها مشكلة عالمية، هو غياب أو نقص الإشراف البشري والأخلاقيات.

وقدَّم هذا الفصل نموذجا لمعالجة قضية تغيّر المناخ من منظور إسلامي. ويتكون هذا النموذج من ثلاثة عناصر: الكفاح الأخضر والاجتهاد والزهد، بالإضافة الى أربع استراتيجيات لمعالجة المناخ من خلال تنمية تحويلية خضراء محورها المجتمع المحلي بالإضافة الى إيجاد نظام تعليمي نوعي والتركيز على نماذج التمويل الإسلامية. يمثل هذا النموذج استجابة شاملة لتغيّر المناخ من

منظور إسلامي. ويتمثل «الكفاح الأخضر» بتسخير النشاط المجتمعي المدني لحفظ الطبيعة وحق الشعب في حياة حرة وآمنة وصحية. ويقوم «الاجتهاد الأخضر» حول تحرير الإمكانات البشرية من الابتكار لتحسين رفاهية الإنسان. ويتمثل «الزهد الأخضر» في المعيشة الرفيقة على الأرض وتجنُّب الإفراط في الاستهلاك والاستخدام المفرط في استغلال الموارد. يجب على المسلمين، كأمة وسط، تحمُّل المسؤولية وتجاوز ثقافة المستهلك ووضع نماذج للطاقة المتجددة والإنتاج النظيف والتجارة العادلة والانتاج المحلي والتي ستؤدي بالمقابل الى التقليل من انبعاثات الكربون ومن المخاطر والكوارث المحتملة لتغيّر المناخ.

يعزِّز الركود في المفاهيم والأفكار والحوار مع «الآخر» السائد في العالم حاله التصادم بين الحضارات وظاهرة ما يسمى «الخوف من الإسلام» أو بالإنجليزية Islamophopia. وهذه المفاهيم الخاطئة هي حرائق من صنع الإنسان التي تدمر غاباتنا والتي هي في الواقع مصدر علاج لنا وملعب لأطفالنا وغرفة دراسية ومصدرا للإلهام.

## المراجع

Aboulеish, I. (2005). Sekem: A Sustainable Community in Egyptian Desert. Floris. University of Michigan.
Adams, W.M. and Jeanrenaud, S.J. (2009). Transition to Sustainability. World Conservation Union.
Al-Jayyousi, O.R. (2001). 'Islamic water management and the Dublin Statement', in Faruqui, N., Biswas, A. and Bino, M. (eds), Water Management in Islam, Tokyo: United Nations University Press, pp. 33–8.
Al-Jayyousi, Odeh. (2008). The State of Ecosystems and Progress of Societies. Proceeding of International Conference: Statistics, Knowledge and Policy. Measuring and fostering the progress of societies. OECD. Istanbul, Turkey.
Al-Jayyousi, Odeh. (2009). 'Islamic Values and Rural Sustainable Development'. Rural 21 Journal. Volume 41, Issue 3.
Armstrong, K. (2001). Muhammad: A Biography of the Prophet. London: The Orion Publishing Group.
Chishti, S. (2003). 'Fitra: An Islamic Model for Humans and the Environment', in Foltz, R., Denny, F., Baharuddin, A. (eds), Islam and Ecology: A Bestowed Trust. Cambridge, MA: Harvard University Press, pp. 67–82.
Diamond, Jared. (2005). Collapse: How Societies Choose to Fail and Survive. New York: Penguin Books.
Gore, Al. (2007). The Assault on Reason. London: Bloomsbury Publishing.
Houghton, J. (2004). Global Warming: The Complete Briefing. Cambridge University Press.
Hawken, P., Lovins, A. and Lovins, L. (1999). Natural Capitalism. CO, USA: Rocky Mountains Institute.
Hussain, Muzaammal. (2007). Islam and Climate Change: Perspectives and Engagements. UK. www.lineonweb.org.uk/Resources/reading/htm. Accessed in Dec. 10, 2010.
International Panel on Climate Change (IPCC) 2007. Special Report on IPCC-Renewable Energy Sources and Climate Change Mitigation-Working Group 4.e
Izzi Dien, M. (2000). The Environmental Dimensions of Islam. Cambridge: The Lutterworth Press.
Kamali, M. (1991). Principles of Islamic Jurisprudence. Cambridge: The Islamic Texts Society.
Khalid, F. (1998). 'Islam, Ecology and the World Order', in Haleem, H. (ed.), Islam and the Environment. London: Ta-Ha Publishers, pp. 16–31.
Khalid, F. (2002). 'Islam and the Environment', in Timmerman, P. (ed.), Encyclopedia of Global Environmental Change. Chichester: John Wiley & Sons, pp. 332–9.
Llewellyn, O. (2003). 'The Basis for a Discipline of Islamic Environmental Law', in Foltz, R.,

**Denny, F., Baharuddin, A. (eds), Islam and Ecology: A Bestowed Trust. Cambridge, MA: Harvard University Press, pp. 185–247.**
**Majeed, A. (2003), 'Islam in Malaysia's Planning and Development' in Foltz, R., Denny, F. Baharuddin, A. (ed.) Islam and Ecology. A Bestowed Trust, Cambridge, MA: Harvard University Press, pp. 463-465.**
**Nasr, S. (1998). 'Sacred Science and the Environment Crisis: An Islamic Perspective', in Haleem, H. (ed.), Islam and the Environment. London: Ta-Ha Publishers, pp. 118–37.**
**Nasr, S. (2003). 'Islam, the Contemporary Islamic World, and the Environmental Crisis', in Foltz, R., Denny, F., Baharuddin, A. (eds), Islam and Ecology: A Bestowed Trust. Cambridge, MA: Harvard University Press, pp. 185–247.**
**Ramadan, T. (2001). Islam, the West and the Challenge of Modernity. Leicester: The Islamic Foundation.**
**Stiglitz, Joseph and Linda Bilmes. (2008). The Three Trillion Dollar War. New York: W.W. Norton and Company.**
**WCSD. (1987). Report of the World Commission on Environment and Development. Oxford University Press.**
**World Bank (2009). Six Questions on the Cost of Corruption with World Bank Institute Global Governance Director. http://web.**worldbank.org/website/external/news. Accessed on ٢٠th October ٢٠٠٩.

# الفصل السابع

# التعليم من أجل التنمية المستدامة

## الملخص

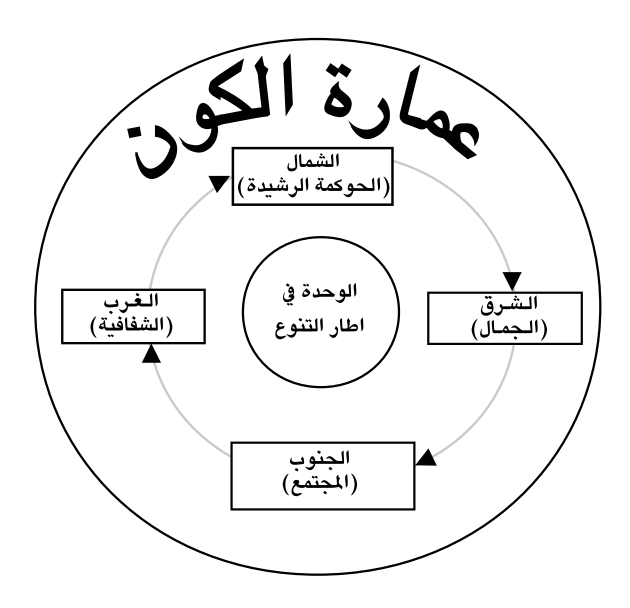
يَهدف هذا الفصل إلى نقد وتقييم النظام التعليمي الحالي الذي يخلو من علم الكونيات، ويعاني من عدم وجود رؤية بيئية. لقد تأثرت فلسفة التعليم الغربي بنموذج «آلة نيوتن» الذي يبحث في الطبيعة كأنها فرصة للاستغلال لا كمصدر للإلهام والابتكار. قادنا هذا النموذج من التعليم إلى حالة من «اضطراب وقصورفي فهم الطبيعة» وساهم في التحديات العالمية الحالية بما في ذلك الاستهلاك والفقر وتغيُّر المناخ. وفي هذا الفصل، سيتم إقتراح مفهوم التعليم التحويلي الذي يستلهم الرؤية الإسلامية المتمثلة في وحدة العقل والروح (التوحيد) والعلوم الطبيعية والاجتماعية والدنيا والآخرة. وسوف يكون هذا التعليم التحويلي هو الأمل للحضارة البشرية المستدامة.

## الأهداف:

١. نقد النظام التعليمي الحديث وتقييم آثاره السلبية على البيئة الطبيعية.

٢. وضع الخطوط العريضة لأسس التعليم من أجل الاستدامة من منظور إسلامي.

٣. تحديد دور وقيمة التعليم في الإسلام كجزء من عمارة الأرض.




الشكل ١,٧ التنمية المستدامة ضمن الرؤية الإسلامية.

**الخلفية: تحديد الأزمة التعليمية**

انتقلت خلال دراستي العليا في جامعة إلينوي (University of Illinois) في مدينه شيكاغو الأمريكية، في أوائل العام ١٩٩٠، إلى سكن طلاب جديد. لقد دُهِشتُ عندما رأيت صورة كبيرة، طولها حوالي المترين وعرضها حوالي المتر، تُغطي جدار غرفتي، وتُصوِّر هبوط الإنسان على سطح القمر، حيث بدت الأرض صغيرة جدا، مثل كرة صغيرة عائمة في الفضاء. وكلما خَلدْت إلى النوم، تخيلت نفسي شخصا مغمورا في شيكاغو بالقرب من برج سيرز في تلك الكرة الصغيرة المتحركة. هذا الإفتِتان بحركة ونظام وجمال الكون وبمجتمعات الحياة غير موجود في نظامنا التعليمي. وهذا يحتاج إلى تغيير إذا أردنا أن نعيش في سلام مع كل من حولنا.

يَعْتمد مستقبل البشرية، إلى حد كبير، على قُدرة الإنسان على التطور وإعادة اختراع وسائل إتصال متناغمة بين الاقتصاد والثقافة والبيئة. يُبيِّن الشكل ٧.١ كيف يُمكن للشرق الأوسط أن يكون مركزا لمفهوم «الوحدة في إطار التنوع» والذي يمكن تحقيقه ضمن الأبعاد الأربعة للكرة الأرضية (الشمال والجنوب والشرق والغرب)، كما ناقش Lessem وPalsule (١٩٩٧،٢٠٠٩). شهد الشرق

الأوسط وِلادة الحضارات القديمة ويعتبر الآن مكانا مُرشَّحا لانصهار الأفكار من جميع أنحاء العالم؛ حيث حُكم الشمال الرشيد  وجمال الشرق ومجتمع الجنوب وشفافية الغرب، تلتقي جميعها في المركز. شيَّدَت المدارس الفكرية السائدة في مجال التعليم الحدود والحواجز بين التخصصات (العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية والفيزيائية). حدَّ هذا بدوره قدرة الإنسان على تطوير فهم وتَصوُّر شاملين للأنظمة التي تدعم التنمية المستدامة في مكوناتها الثقافية والروحية والبيئية والاجتماعية والاقتصادية. ببساطة، من الضروري تمكين الإنسان وتزويده بالمصادر اللازمة لرؤية الوحدة في إطار التنوع.

لا بُد من إعادة التفكير بأنظِمتِنا التعليمية؛ التي أهملت جمال وعظمة قُوى الطبيعة والكون من حولنا، والتي تُعتبر أساسية لتغذية عالمنا الداخلي. قد يَمتد انقراض الأنواع من حولنا يوما ما إلى البشرية ما لم نُغيِّر وُجَهَات نظرنا ونتخلى عن هدف الإنسان لقهر الطبيعة، بدلا من الانسجام معها ومع المجتمع والحياة، كما اقترح O'Sullivan (١٩٩٩) من خلال عمله في مجال التعلم التحويلي.

ينظر الإنسان الحديث إلى الظاهرة الطبيعية على أنها حَدث خارجي أو على أنها سِلعة. بينما كان الإنسان القديم يتواصل ويتفاعل مع أحداث الطبيعة. وبالتالي، هناك حاجة ماسَّه إلى التعلم التحويلي لكي نساهم جميعا في خلق نظرة شمولية للكون والطبيعة والبشرية. وهذا هو الدور الرئيسي للجامعة باعتبارها مناخاً مناسباً لإلتقاء وإنصهار الأفكار والخواطر وتوليد البصيرة. لقد فُقدت الجامعة، التي تُمثِّل مكان للاحتفال بالجمال وعظمة الكون والطبيعة، جوهر مهمتنا التعليمية، ويرجع ذلك إلى حقيقة أن نموذج التنمية لدينا تأثر فقط بالاقتصاد، وليس بالبيئة والثقافة. لأن النظر الى الأرض كمصدر لإلهام الفكر والفلسفة والعلوم والاقتصاد هو عامل رئيسي في تطوير وعي جديد نحو أنماط جديدة للتَّعلم، حيث أنّ جوهر أزمتنا البيئية الحاليه ينبع من تصوراتنا الفلسفية كما قال Griffin (١٩٩٥).

استغلت سياسات عولمة السوق، في القرن الحادي والعشرين، مواردنا الطبيعية وأفرطت في استخدامها وفي خلق الوهم القائل بأن السعي وراء النمو لا نهاية له، وبأن العلم يستطيع توفير الموارد اللازمة في عالم محدود. إن الاعتماد المتبادل بين الأمم والأفراد هو مقياس تقدُّم المجتمع، وأي تقدم لدولة أو بضع دول على حساب الأخرى هو وسيلة للدمار.

ينبغي أن يكون الهدف الرئيسي لنظامنا التعليمي هو جعل كوكبنا مُلائما للعيش لجميع الأمم. وكما قال Wackernagel وRees (١٩٩٦) فإن العولمة والحداثة هما السبب في فقدان بصيرتنا البيئية ومشاعرنا مع العالم الطبيعي، والذي يعتبر أساسيا لوجودنا. وبالتالي، نحن بحاجة إلى تعليم تحويلي ونُظم تعلُّم لترسيخ قصة الكون والبشر ولتعزيز ذكائنا البيئي والكوني. سيتجاوز هذا التعليم الشمولي مفاهيم التّعلم القائمة على السوق إلى مجال أوسع وفضاء خيالي وهائل وبلا حدود، وهو ما يتماشى مع النظرة الإسلامية التي تغذي فكرة الذكاء البيئي الكوني.

لا يمكن إنكار أنه تم تناول خسارة التعلم البيئي والكوني من وجهة نظر إسلامية بمنحى مختلف عن الفلسفة الغربية. واليوم، تُبذل المحاولات لِفهم القضايا المعرفية الأساسية من المنظور الإسلامي. من أجل فهم وصياغة «روابط خفية» جديدة بين الثقافة والاقتصاد والبيئة، نحن بحاجة إلى العودة إلى الفلسفة والمعرفة الإسلامية التي تدعم التنمية المستدامة.

ومن هذا المنظور، حاولنا في هذا الفصل تحديد المضامين المختلفة لمصطلح المعرفة وأهميتها في التنمية. ونأمل أن تكون هذه المحاولة الوجيزة بمثابة خطوة للعمل الأساسي لبناء إطار للنظرية الإسلامية للمعرفة في المستقبل، ومن ثم وضع الأسس لإعادة ابتكار وتحديد التنمية المستدامة من منظور إسلامي.

يُستخدم مصطلح «العلم» للدلالة على المعرفة في اللغة العربية، ولهذا المصطلح، في نظرية المعرفة الإسلامية، دلالة أوسع بكثير من مرادفاته في اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات الغربية. ولا يرقى مصطلح «المعرفة» للتعبير عن كل جوانب «العلم». تعني المعرفة في العالم الغربي المعلومات المعالجة، بينما العلم هو مصطلح شامل يغطي الجانب النظري والعملي والتعليم. ولهذه الفكرة أهمية كبيرة عندما نحاول تحديد وإعادة تعريف مفهوم اقتصاديات التنمية ومفهوم أوسع للاستدامة يشمل المعايير والقيم (رأس المال البشري) إلى جانب الاقتصاد (رأس المال النقدي) والبيئة (رأس المال الطبيعي).

ووفقا للمنظور الإسلامي، يُعتبر تحصيل المعرفة فريضة على المستويين الفردي والمجتمعي. في الواقع، لا يوجد مفهوم يُعمل به كمحدد للحضارة البشرية في جميع جوانبها بنفس درجة العلم. إن قيمة المعرفة متجذرة في الثقافة الإسلامية، وهذا واضح من خلال حقيقة أن الوحي الإسلامي،

أي القرآن الكريم، بدأ بكلمة «اقرأ». وهناك العديد من الإشارات تعزِّز فقه وخيال وإلهام الإنسان لفهم دورات النظم الطبيعية التي تحكم الكون (دورة المياه والفصول) فضلا عن القوانين الاجتماعية والتحولات التي تحكم نهوض وسقوط الحضارات.

ينقسم العلم إلى ثلاثة أنواع: معلومات وقوانين الطبيعة والمعرفة بإثبات أو نفي الفرضيات. ويعتبر النوعين الأول والثاني من المعارف المفيدة وتحصيلها إجباريا. أما النوع الثالث، الذي يشير إلى ما هو معروف من خلال التخمين أو الإفتراض، أو الذي يترافق مع شك، يجب أن نأخذه في الاعتبار لاحقا، لأن التخمين أو الشك ضروريان في بعض الأحيان للمعرفة كوسيلة، ولكن ليس كغاية. إلى جانب ذلك، تؤكد آيات قرآنية مختلفة على أهمية المعرفة، وهناك مئات من الأحاديث النبوية التي تشجّع المسلمين للحصول على جميع أنواع المعرفة من أي ركن من أركان العالم. وقد إكتفى المسلمون، خلال فترات الركود والتراجع، بالتقليد الذي كان السبب الرئيسي لتدمير الفلسفة والعلوم في العالم الإسلامي.

تتميز المعرفة في العالم الإسلامي في طريقة تحصيل المعلومات، وذلك من خلال عملية منطقية. ويشار إلى العلم في القرآن الكريم، الذي أنزله الله على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بمصطلح «النور». من المهم أن نلاحظ أن هناك الكثير من التركيز على إعمال الفكر أو العقل في القرآن والتقاليد، وبخاصة في مسألة الاجتهاد والقياس. وإلى جانب ذلك، يُعتبر الحدس والحكم أعلى مراحل التفكير والتحليل العقلي.

إن ممارسة العقل ذو أهمية في الأدب الإسلامي كله الذي لعب دورا هاما في تطوير جميع أنواع المعرفة في القرن العشرين. وأشار المفكر الهندي المسلم Iqbal في كتابه: «إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام» (Reconstruction of Religious Thought in Islam)، إلى أن الاجتهاد كان مبدأ حيويا في جسم الإسلام. وقال إنه تم التركيز على مبادئ الاستقراء العلمي في القرآن، الذي يُسلط الضوء على أهمية المراقبة والتجريب في التوصل إلى استنتاجات معينة. ويمكن الإشارة أيضا إلى أن الفقهاء والمفسرين المسلمين استخدموا طريقة التحليل اللغوي في تفسير التعاليم القرآنية والسنة النبوية.

حدَث تمييز بين الحكمة والمعرفة في الفلسفة ما قبل الإسلام، والتي تطورت تحت تأثير

الفكر اليوناني. ولا يوجد في الإسلام مثل هذا التمييز. إلى جانب ذلك، يتم التمييز بين الخبر (المعلومة) والنظر (الفكر التحليلي)، وهذا ينطبق على معظم الفلاسفة المسلمين الذين سعَوا لبلوغ المعرفة المطلقة التي يمكن أن تشمل كل شيء. هناك فرق في التقاليد الفلسفية الغربية بين المعرفة المتعلقة بالكيان الإلهي والمعرفة المتعلقة بالعالم المادي، لكن لا يوجد في الإسلام مثل هذا التمييز.

المعرفة هي المعلومة المطلقة وتنبع من معرفة النفس؛ (المرء الذي يعرف نفسه يعرف ربه). هذه العملية تشمل أيضا معرفة العالم الهائل. ولذلك تعتبرالحكمة والمعرفة شيئان مختلفان في العالم المادي؛ ولكنهما شئ واحد في المنظور الإسلامي. وهذا يؤكد وجود مجال للشك والارتياب في الإسلام قبل أن تصل إلى اليقين أو «الإيمان» . وصف الصوفيون الإيمان بأنه يتكون من ثلاث مراحل: علم اليقين (المعرفة المؤكدة)، عين اليقين (المعرفة من خلال البصر او المشاهدة)، وحق اليقين (المعرفة من خلال وحدة الذات والموضوع).

لا يقتصر العلم في الإسلام على اكتساب المعرفة فحسب، بل يشمل أيضا الجوانب الاجتماعية والسياسية والأخلاقية. المعرفة ليست مجرد معلومات، بل تتطلب من المؤمنين العمل بناءا على معتقداتهم والالتزام بالأهداف التي يسعى الإسلام إلى تحقيقها. باختصار، فإن نظرية المعرفة من المنظور الإسلامي ليست مجرد نظرية معرفة؛ فهي تجمع بين المعرفة والبصيرة والعمل الاجتماعي في مكوناتها. وتدين التنمية الشاملة لمختلف فروع المعرفة المتعلقة بالظواهر المادية والاجتماعية، وأيضا عملية الجدل المنطقي لتبرير مبادئ العقيدة الإسلامية والشريعة الإسلامية والأحكام الإسلامية المستنبَطة من القرآن الكريم والسنة النبوية، لفكرة الإسلام للعلم.

كانت غاية العلماء المسلمين، ومنهم علماء الرياضيات، ومنذ بداية العقود الأخيرة من القرن الأول من الهجرة، السعي من أجل المعرفة العلمية وتطويرها، وتشمل العلوم الطبيعية والفيزيائية. وازدهرت هذه الغاية العلمية مع تأسيس بيت الحكمة في عهد الخليفة المأمون. وبعد تراجع الفكر الفلسفي والعلمي في الشرق الإسلامي، ازدهرت الفلسفة والعلوم في الغرب الإسلامي بسبب مساعي المفكرين من أصل عربي، مثل ابن رشد وابن طفيل وابن باجة وابن خلدون، الأب لعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ. كانت فلسفة ابن خلدون للتاريخ والمجتمع بمثابة ازدهار لبداية عمل المفكرين المسلمين في مجالات الأخلاق والعلوم السياسية. ويعود الفضل في إعطاء إهتمام جدي للفلسفة الاجتماعية والسياسية للفارابي، الذي ألف كتبا حول هذه القضايا تحت عنوان «المدينة الفاضلة».

باختصار، قد يكون مُبررا عندما نقول بأن نظرية المعرفة الإسلامية كانت مسؤولة عن ازدهار ثقافة البحث المفتوح والتفكير العلمي العقلاني الذي شمل أيضا مجالات على الصعيدين النظري والعملي. إن التحدي اليوم، في القرن الحادي والعشرين، هو في كيفية استخراج واستكشاف وصقل هذا الثراء من الثقافة وتطوير نموذج جديد للتنمية المستدامة التي تلهم البشرية.

تُعتبر القيم الثقافية في أجزاء كثيرة من العالم، مثل الزهد، أمورا جوهرية لتحقيق التنمية المستدامة. هذه القيم متأصلة في العلاقة بين الناس وبيئتهم. وتؤثر الثقافة في بعض أجزاء من العالم، مثل الشرق الأوسط وأفريقيا، على جميع جوانب الحياة. وبما أن الثقافة تتكون من مختلف الخصائص الروحية والمادية والفكرية والعاطفية المتعددة والمتميزة التي تميز المجتمع، فيجب على التعليم من أجل التنمية المستدامة أخذها بعين الاعتبار وإدراجها في التعلم وفي تفسير الكون ومجتمع الحياة. ومع ذلك، فإن التحدي الثقافي هو تحديد واستعادة وجهات النظر والرؤى الأصلية والمعرفة المحلية عند تبني مفهوم التعليم من أجل التنمية المستدامة.

## تطور التعليم في الإسلام

نحن بحاجة إلى لمحة تاريخية عن التعليم في الإسلام من أجل التصدي لمفهوم التعليم من أجل التنمية المستدامة من منظور إسلامي، ومن ثم نحن بحاجة إلى عرض التعليم بطريقة نظرية وعملية بوصفه عنصرا أساسيا في التحول والإصلاح والتنوير في المجتمعات.

من المهم أن نتذكر أن أول كلمة نزلت عام ٦١٠ م على النبي محمد صلى الله عليه وسلم كانت «اقرأ» وذلك في الآية الكريمة: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» (سورة العلق، آية ١). وهذا يدل على التركيز المبكِّر على فعل القراءة والتفكير والتعلم والعمل ضمن النظرة الإسلامية. وتم التمييز بين المتعلمين وغير المتعلمين في القرآن الكريم، وذلك في قول الله تعالى: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (سورة الزمر، آية ٩). ويعتبر السعي وراء العلم واجب ديني كما الصلاة. إلى جانب ذلك، فقد حض النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) على السعي وراء العلم والتعامل معه بشكل هادف وذلك تأكيدا على ضرورته الإسلام، فقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف: (طلب العلم فريضة على كل مسلم). جعل هذا الحديث اكتساب المعرفة إلزامي بالنسبة للفرد المسلم، بغض النظر عن الجنس. «العلماء ورثة الأنبياء» هو حديث شريف آخر هام يسلط الضوء

على دور وحالة وقيمة التعلم ونشره في تشكيل الحياة المجتمعية، وكونه جزء أساسي لا يتجزأ من النمو الديني للفرد.

كان المسجد أول مكان للتعليم، وهو مكان العبادة الرسمية في الإسلام، كما هو موثق من قبل Afsaruddin (٢٠٠٥). خلال فترة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، أُستُخدِم مسجده في المدينة المنورة كمكان للعبادة الخاصة والعامة على حد سواء، ومكان للتعليم غير الرسمي للمؤمنين في التعاليم الدينية والمسائل الأخرى ذات الصلة. وإستمر المسجد في لعب هذه الأدوار المتعددة على مر القرون الثلاثة الأولى من الإسلام، (من القرن السابع إلى التاسع من العهد الحديث).

ظهرت ميّزة جديدة بحلول القرن العاشر، وهي إنشاء مكان سُمِّي بالنزل أو «الخان»، وُجِد بشكل متزايد بجانب «مساجد التدريس» في العراق والمحافظات الشرقية من العالم الإسلامي، مما سمح للطلاب والمعلمين من المناطق النائية بالإقامة بالقرب من أماكن التعليم هذه. إن ظهور مجمع المسجد والخان في هذا الوقت هو نتيجة لفترة طويلة وكثيفة من الدراسة المطلوبة للنهوض والنجاح كفكر ديني.

تطورت وتكاثرت في القرنين العاشر والحادي عشر من العصر الحديث مؤسسة أخرى هامة عُرِفَت بإسم المدرسة، وتعني حرفيا باللغة العربية «مكان للدراسة». ومن الموروثات الفكرية التي وجدت واستمرت من الخلافة الفاطمية إنشاء أقدم جامعة مستمرة في العالم وهي جامع ومدرسة الأزهر في القاهرة في عام ٩٧٢م. ربما الاسم الأبرز الذي ارتبط بانتشار المدارس الدينية، ولا سيما في العراق، كان نظام الملك (١٠١٨ م – ١٠٩٢ م)، وهو وزير السلاجقة. وارتبط اسمه بالأكاديمية النظامية في بغداد، التي ضمّت علماء مشهورين مثل أبوحامد الغزالي (١٠٥٨ م -١١١١ م).

أصبحت المدرسة منذ ذلك الوقت المكان الرئيسي ووسيلة النقل للتعليم الديني في المراكز الحضرية الكبرى في العالم الإسلامي، مثل بغداد والقاهرة ودمشق والقدس. لقد كانت بمثابة مؤسسة للتعليم العالي مماثلة للكلية الحديثة، فقد كانت نواة لها. وبالإضافة إلى المساجد والمسجد الجامع والخانات والمدارس فقد تطورت مؤسسات أخرى على مر الزمن، والتي لعبت أدوارا مهما ومكملا في نشر التعلم. ومن أهم المؤسسات من هذا النوع كانت المكتبات المزدهرة من القرن التاسع. وقد ضمت المساجد الكبرى مكتبات احتوت على كتب حول موضوعات دينية.

أما المكتبات شبه العامة الأخرى، فكان لديها بالإضافة إلى ذلك كتب عن المنطق والفلسفة والموسيقى والفلك والهندسة والطب والكيمياء. بُنيت أول أكاديمية في العالم الإسلامي، والتي عُرفت ببيت الحكمة، من قِبَل الخليفة العباسي المأمون (٨١٣م – ٨٣٣م)، وكان لها مكتبة ومرصد فلكي مرتبطين بها.

يقول Afsaruddin (٢٠٠٥)؛ مُوِّلَت المدرسة عادة من الوقف، وهو مؤسسة خيرية، وشكل من أشكال التنظيم المؤسسي استعاره الغرب من العالم الإسلامي في نهاية القرن الحادي عشر. يجعل الوقف ممتلكات الشخص محمية من المصادرة من قبل الدولة من خلال تجميد الأصول على أنها منفعة عامة، ولكن يمكن أن تنتقل إلى أحفاد المؤسس. وفيما يتعلق بالقرآن الكريم والحديث، كان التلقين الأسلوب الرئيسي لإكتساب المعرفة، وعليه كانت الذاكرة القويه، التي لها القدرة على خزن واسترجاع المعلومات بسهولة، تحظى بتقدير كبير.

جسَّدت مقولة: «التعلم هو مدينة، أحد أبوابها هو الذاكرة والآخر هو الفهم» نهج التعلم. وسادت المناظرات كوسيلة تعليمية في دراسة القانون، وهي وسيلة تربوية نشأت في وقت مبكر جدا في الوسط الإسلامي. بدأ في منتصف القرن الثامن خلال العصر العباسي نشوء إهتمام قوي لدراسة العالم القديم، لا سيما مصادره اليونانية، ولكن أيضا إلى حد أقل الفارسية والهندية. جعلت الصحوة الفكرية، التي نتجت من هذا الإهتمام، هذا العصر لامعا خصوصا في تدوين التاريخ الإسلامي والعالمي. أصبح المسلمون، نتيجة التوسع السياسي والإقليمي للإسلام خارج شبه الجزيرة العربية الأصلية، ورثة لأقدم وأكثر الناس ثقافة من البلدان التي فتحوها أو عاصروها.

في ذلك الوقت من الفتح العربي في الهلال الخصيب، كان التراث الفكري لليونان، مما لا شك فيه، أثمن كنز في متناول اليد. وحقّق الجيش الأسلامي تحت حكم إثنين من الخلفاء العباسيين، المهدي وابنه هارون الرشيد بالتحديد، إنتصارات حاسمة على قوات العدو البيزنطي. وكان تأسيس بيت الحكمة المذكور سابقا في عام ٨٣٠ م من أهم إنجازات حكم المأمون. كان بيت الحكمة عبارة عن مزيج من مكتبة وأكاديمية وديوان للترجمة. وقد وصف أحد المؤرخين بيت الحكمة بأنه أهم مؤسسة تعليمية منذ تأسيس المتحف الإسكندري في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد. وأصبح بيت الحكمة تحت حكم المأمون مركزا لنشاط الترجمة. واستمرت هذه الفترة من الشغف في الترجمة خلال أوائل القرن العاشر.

تم تحقيق التعليم اليوناني والفارسي والهندي والسرياني بشكل انتقائي من خلال منح دراسية مما أثرى العلوم الدينية وعزّز ازدهار العلوم الطبيعية والفلسفة والرياضيات. خدم التعليم أفضل أغراضه عندما عزز السعي الفكري الصادق، استنادا إلى دراسة نقدية دقيقة للنصوص.

كان خلاف أهل العلم مُرحّبا به، وكما رأينا، كان يُصرَّح به علنا في الأوساط القانونية والفكرية. وهناك حديث للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) يقول فيه: «اختلاف أمتي رحمة». يجسد هذا الحديث إدراك عميق بأن التفسير من قراءة الكتاب المقدس أو أي نص آخر يُنتِج عدد من القراءات او التفسيرات الصحيحة على حد سواء في أي زمان أو مكان.

يبدو أن النظام التعليمي الشمولي الذي يعزز الإثراء الروحي والتفكير النقدي للرجال والنساء، المسلمين وغير المسلمين، مُستمَد إلى حد كبير من الفلسفة التقليدية القديمة للتربية الإسلامية التي كانت سائدة في أوائل عصر ما قبل الحداثة. إن دراسة خلق الله وقصة خلق الكون هو نتيجة طبيعية لإيمان الفرد، الذي يؤدي إلى معرفة أعمق لمسائل العقل والروح.

### تحديد وتطوير الفكر في التربية الإسلامية

إن الكتاب المقدس في الاسلام، القرآن الكريم، هو المصدر الرئيسي الذي استُمِدَّت منه جميع مبادئ الفكر الإسلامي. أُنزِل القرآن الكريم على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بشكل تدريجي على مدى ثلاث وعشرين سنة من حياة النبي. ومبادئ الشريعة المستمَدَّة من كلام الله المعصوم، القرآن الكريم،هي وثيقة الإيمان. يَعتَبِر القرآن الكريم الوحي مصدرا للمعرفة، والذي هو من وجهة نظر الإسلام أسمى وسيلة الاستدلال. وفي نفس الوقت تقر الرؤية الإسلامية بحقيقة أن المبادئ التي وضعها الوحي تم تأكيدها واعتمادها بالعقل والمنطق، وتدين أولئك الذين لا يستخدمون قدراتهم العقليه. ولكن من وجهة نظر الإسلام، فإن العقل البشري قد ينحرف في حالة عدم وجود الوحي المُمَثَّل بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

انبثقت هذه المبادئ من القرآن الكريم، وشكّلت مُجتَمعة وحدة ثابتة من التشاريع والالتزامات العملية. وقد بقيت على مر العصور الجوهر والإلهام للحياة الدينية للمسلمين. يجب

أن تكون الأحكام والأفكار والاجتهاد (كالآراء المتعلقة بالمسائل القانونية)، وصنع النظرية، وتطوير الفكر، وكذلك تعلم وتعليم المبادئ الإسلامية، مُتَّسِقة مع مبادئ القرآن ودلالاتها كما أشار إلى ذلك Ramzi (١٩٩٤).

أما المصدر الثاني للتعاليم والمبادئ والنظريات الإسلامية فهو السنة النبوية. تعني السنة حرفيا: طريقة أو فعل أو قول وردت عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) إما من خلال الاستماع أو من خلال الوحي.

تدل السنة بالمعنى الأصلي على الأفعال، أما الحديث فيدل على الأقوال المنسوبة للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم). لكن في مصطلحات الإسلام، تستخدم السنة والحديث بشكل متبادل لنقل أي قول للنبي، أو أي عمل أو ممارسة له، وكذلك لأي موافقة ضمنية منه لعمل أو ممارسة يقوم بها مسلم آخر في حضوره. ووضع علماء الحديث قواعد صارمة لنقد صحة الحديث. ووفقا لقيود نقد الحديث، فإن الحديث الحقيقي والصحيح فقط يمكن إعتباره مصدرا لتشكيل وتطوير الفكر الإسلامي.

لقد حدّد كل من القرآن الكريم والسنة قيودا وحدودا يتم ضِمنها ممارسة الإجتهاد وتكوين الفكر. الاجتهاد هو المصدر الثالث لتشكيل الفكر الإسلامي فيما يتعلق بالمسائل التي لم يتم البت فيها بشكل قاطع. تعني كلمة الاجتهاد بذل النفس، والمجتهد هو الذي يبذل نفسه لتكوين رأي في المسائل القانونية، أو «الشخص الذي يطوع الحق لأعادة تفسير التقليد».

ارتبط الاجتهاد بالفقه الذي هو المصطلح الفني لعلوم الشريعة الإسلامية. وينطبق الاجتهاد تقنيا على أي فقيه يبذل قدراته العقلية إلى أقصى درجة ممكنة بهدف تكوين رأي في ضوء المبادئ الإسلامية. فيما يتعلق بالمدارس الفقهية، فيجب أن تكون، وفقا لوجهة النظر الإسلامية، موجودة واعتبارها سُبُلا لفهم ما تشير إليه الشريعة الإسلامية بموجب قوة الدليل، بدلا من اعتبارها مدارس أو شعائر فقط. يتكون الإيمان من المعرفة والاعتقاد. والإيمان في الإسلام هو الاعتقاد الراسخ الناشئ عن معرفة واقتناع. إن الحياة الإسلامية والنظام التعليمي الإسلامي أيضا منفتح على إنجازات الإنسان والتجارب الدولية في جميع المجالات ذات الصلة وفي جميع جوانب الحياة، شريطة أن تتماشى مع الشرائع الإسلامية، وأن تكون قابلة للتطبيق ضمن حدودها. وبناء على ذلك، ووفقا ل

Ramzi (١٩٩٤)، وتشمل العقيدة الإسلامية بعض الأحكام التي تَحكُم عملية صنع النظرية وتكوين الفكر.

يعني الفعل «رَبَّى» رعاية الرضيع وتنشئته وتعليمه وإرشاده منذ ولادته حتى بلوغه. والفعل «يربي» هو الفعل المضارع من ربَّى. أحد معاني الفعل «ربَى» في القرآن الكريم هو: قام برعاية الطفل وتنشئته حتى أصبح راشدا وقادرا على تحمل مسؤولياته. تُشدِّد التربية في الإسلام أيضا على استمرارية عملية التعليم. يقدم الوالدين والمدرسين التعليم وفي نفس الوقت يتلقون التعليم خلال حياتهم.

إن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) هو تجسيد للمبادئ الإسلامية التي بيَّنها القرآن الكريم، وهو تجسيد مثالي للشخصية الإسلامية، كمثال للمعلم المسلم المثالي. ووفقا للعقيدة الإسلامية، فإن عصمة النبي وتوجيهه من الله عن طريق الوحي هي المبادئ الأساسية التي تؤكد على تكوين الفكر الإسلامي، والتربية الإسلامية والتعليم الإسلامي.

و تحكم المبادئ الإسلامية الأساسية تشكيل الفكر الإسلامي وتوجهه، كما تحكم أفعال المسلمين والمجتمع المسلم في حركتهم نحو الإسلام. أسس النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، من خلال الممارسة والأقوال والموافقة وعدم الموافقة (السنة النبوية)، القانون الإسلامي الشامل الذي إستوعب الحياة والدولة والمجتمع والأمة الإسلامية، كما أنه أسس المبادئ الأساسية التي توجِّه العلماء والتربويين المسلمين للتمسك بالفكر الإسلامي.

تُعتَبَر حياة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) الجزء الرئيسي من الفترة المرجعية للحياة والقانون والتعليم وتكوين الفكر الإسلامي. لقد بدأ هذا الجزء منذ عام ٦١٠م حتى عام ٦٣٢م – التي هي فترة الوحي. وتعتبر السنه النبوية التفسير الفعلي للقرآن الكريم، والمرجع الأساسي للفقهاء والتربويين على مر العصور بعد عام ٦٣٢م. تحت القيادة الفعالة للنبي (صلى الله عليه وسلم)، لم يتم فقط الإشارة إلى مفهوم الخير الأسمى للبشرية بل تم ترجمته إلى ممارسة، وتم إنشاء نظام ومؤسسة لتحقيق المثال الأعلى.

إهتم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بتربية المجتمع الإسلامي الأول، وقدَّم نموذجا يُحتذى به في القيادة التحويلية. النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) هو رسول الإسلام الذي أرسله الله للبشرية جمعاء كاستمرارية للأديان السابقة. يجب على المسلم الإيمان بكل الأنبياء السابقين. ويعتقد المسلمون أن رسالة الإسلام هي رسالة كاملة وشاملة ونهائية، وأنها لا تعتمد على دوافع اجتماعية أو قبلية أو وطنية أو عرقية. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» (سورة المائدة، آية ٣).

يعتَبَر النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، من وجهة النظر الإسلامية، المعلم الكامل والمربي الكامل والشخصية الإسلامية الفريدة من نوعها فيما يتعلق بالتعليم وجميع جوانب الحياة. إن حياته وسُنّته هما التطبيق الحاسم والعملي للقرآن الكريم بشكل خاص وللإسلام كرسالة. وكل صحابي من صحابة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) هو مثال للشخصية الإسلامية التي تم تعليمها وتنشئتها من خلال توجيه النبي ورفقته. هؤلاء الناس هم تجسيد لنتاج الطريقة الإسلامية في الحياة، التي طبَّقت العملية التربوية الإسلامية وأخرجتها إلى الواقع.

يعتبر إتفاق التابعين أو «الإجماع» معصوما ومُؤهلا ليكون مصدرا للتنظير في مجالات التعليم والاجتهاد والقضاء والاستدلال الفقهي. فمن خلال إتفاق وإجماع التابعين، تم تجميع القرآن الكريم، وحفظ السنة إلى الأجيال اللاحقة. ومن الجدير بالذكر أنهم قاموا بممارسة عملية تعليم الأجيال الشابة ومنحوها ما تعلموه ومارسوه في حياة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، دون أي تلميح على الإطلاق لجذب الأتباع أو لإنشاء المدارس. ويأمر القرأن الكريم أجيال المسلمين بالرجوع إلى توجيهات الإجماع.

بالإضافة إلى ذلك، ووفقا لِ Ramzi (١٩٩٤)، يمكن للمرء من خلال التدقيق في حياة جيل من صحابة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم(، أن يرى بسهولة هدف التربية الإسلامية في الحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية والارتقاء بها، وإلى توسيع وتعميق المعرفة في جميع الجوانب المتعلقة بالحياة الإسلامية. حدث العديد من الأحداث في العالم الإسلامي خلال هذه الفترة من الركود مثل: إغلاق باب الاجتهاد، على الرغم من أن الاجتهاد يقود عملية تشكيل الفكر وإصدار الأحكام في المجتمع الإسلامي، وينشط إمكانيات الفهم الإسلامي بين الناس. لقد تم إغلاق باب الاجتهاد مرة واحدة وإلى الأبد، ولم يُعطَ بعد ذلك أي عالم أو فقيه الصلاحية ليكون مُجتهدا (مفسِّر

رسمي للقانون). ومع ذلك لم تمنع تلك القضية السلبية القليل من العلماء من إدِّعاء حق الاجتهاد، ولكن تبقى الحقيقة أن هناك فجوة قد نشأت في تكوين الفكر إلى درجة وصف تلك الحالة بحالة «التحجر».

طبّق ابن تيمية (١٢٦٢م -١٣٢٧م) قدرته لقيادة فكر إسلامي يتماشى مع موقف سياسي غير محايد، واتبعه فقهاء وعلماء ذلك الوقت، وكذلك خريجي كلية الأزهر الإسلامية. لقد حاول الحفاظ على فهم المسلمين وقدرتهم على تكوين الفكر وذلك لإحياء العلاقة بين العقيدة والحياة والتعليم الإسلامي.

و بما أن فلاسفة العرب في العصر الحديث يناقشون العلاقة بين الفلسفة والدين، فقد تم تناول دور الفلسفة مرة أخرى مع التركيز على العلاقة بين «العقل» و»النقل» (القرآن الكريم والوحي). وقد تم وصف المشهد على أن الأزمة بين العقل والدين هي نفس الأزمة التي بدأت بها معظم الصِراعات السياسية التي ظهرت في الأدب العربي الليبرالي الحديث مثل العلمانية (فصل الدين عن الدولة). ويُمكن الاستنتاج بأن الفلاسفة المسلمين قد اتبعوا الخطوط اليونانية في علم ما وراء الطبيعة، وذلك في سعيهم الطويل والشاق وراء الحكمة، ومع ذلك لم يستطيعوا دمج وجهات نظرهم مع السياق الإسلامي بشكل كامل. تدعي العلمانية، على سبيل المثال، أنه يجب على الدين فسح المجال لأشكال جديدة من الجمعيات والعلاقات الاجتماعية، وأن العلمانية، هي الأداة لتحويل الدولة القومية في مجال الفكر والقانون والتعليم والبيروقراطية.

لاحظ الباحثون الغربيون المعاصرون والمفكرون العرب المسلمون وجود الأزمة الفكرية، وتم الإشارة إليها بالقول: «تأثيرات متضاربة ومشوشة». من وجهة نظر Gibb، ساهمت الأفكار الغربية في الفجوة الفكرية في العالم الإسلامي. نتَجَ تفكك الوحدة الإسلامية منذ عام ١٨٥٠م عن ركود في هياكل الحكم. وأنا أؤمن أنه في هذه الأيام لاتزال جذور أسباب الركود نفسها موجودة، مما اضطر الشباب في العالم العربي إلى السّعي إلى تحقيق الحرية والإصلاح في عصر وسائل الاعلام الإلكترونية والاجتماعية.

بدأ التوق والسعي لتحقيق الإصلاح والحرية في الشرق الأوسط في أوائل القرن التاسع عشر، وكان يُنظَر إلى التعليم بوصفه عنصرا أساسيا من أجل التغيير والتحرر. مثَّل العديد من

المفكرين منهم محمد إقبال (١٨٧٦ م – ١٩٣٨ م)، وجمال الدين الأفغاني (١٨٣٨ م – ١٨٧٣ م)، ومحمد عبده (١٨٤٥ م – ١٩٠٥ م)، ومحمد رشيد رضا (١٨٦٥ م – ١٩٣٥ م)، وأحمد أمين (١٨٨٦م – ١٩٥٤م)، وطه حسين (١٨٨٩م – ١٩٧٣م)، وعباس محمود العقاد (١٨٨٩م – ١٩٦٤ م)، واديب إسحق (١٨٥٦م – ١٨٨٥م)، وخير الدين التونسي (١٨٢٥م – ١٨٨٩م)، ورفاعة الطهطاوي خطا فرديا للفكر فيما يتعلق بإعادة تشكيل العالم العربي والإسلامي. لم تتشابه وُجهات نظرهم مع تكوين الفكر الإسلامي، ولم تؤدِّ إلى نموذج جديد للتعليم الإسلامي. لقد حاول هؤلاء المفكرون إصلاح وإعادة تشكيل مجتمعاتهم من خلال تجاربهم الشخصية، التي تأثرت بالنموذج الغربي.

حاول التربويون العرب المسلمون في العصر الحديث، بقيادة جمال الدين الأفغاني، إحياء القومية العربية والنهوض بالإسلام. وقد دعا الأفغاني إلى مفهوم «رابطة إسلامية»، التي من خلالها يمكن توحيد الولايات الإسلامية. وقد أقر التربويون المسلمون بأن هذه الخطوة قد تكون الضربة الأولى ضد تطبيق مفهوم الوحدة الإسلامية. واقترح أبو الحسن الندوي برنامج تعليم نظري يستوعب الأمة الاسلامية والولايات الإسلامية. لقد حاول استعادة الوضع السابق للمسلمين. وشمل برنامجه محاولة غرس الإيمان في قلوب المسلمين وإنشاء المشاعر الدينية. لكن تظل الحقيقة أن هذه الأحزاب فشلت في إعادة تأسيس الفكر الإسلامي للأمة، وذلك بشكل أساسي لأن عددا منهم ركز على النواحي الدينية والروحية.

وإذا نظرنا إلى الموضوع من زاوية مختلفة، فقد يُساعدنا هذا من رؤية أن الفكر الإسلامي منذ عام ١٨٥٠م، وفقا لما قاله Ramzi (١٩٩٤)، تشعّب إلى ثلاث مدارس، وهي:

- المدرسة الإصلاحية التي كان يمثلها محمد عبده ومالك بن نبي.
- المدرسة التاريخية التي كان يمثلها طه حسين، وعباس العقاد، وأحمد أمين.
- المدرسة التعليمية، التي كانت ممثلة بالنبهاني، والبنَّا.

حاول ابن نبي تبرير الوضع مشدِّدا على دور المفاهيم في تنظيم الأنشطة الفردية. فبالنسبة له، تُعتَبر المفاهيم الدوافع الأساسية للأنشطة الفردية، والتي بدورها تبني أساس الأنشطة المجتمعية. ودعا أيضا إلى المبدأ العام الذي ينبثق منه تكوين الفكر أو المفهوم. يُسخِّر تكوين الفكر بالنسبة لابن نبى العقل، الذي بدوره سوف يُسخِّر الضرورات العقلانية في المجتمع.

وفي الوقت الحاضر، يُلاحظ التربويون المسلمون، الذين ينظرون إلى الإسلام باعتباره وسيلة للحياة والنظام الذي يستوعب جميع جوانب الحياة، خسارة الأمة الإسلامية لمفاهيمها وفكرها الإسلامي. ويرجع ذلك حسب تعبيرهم إلى أن الجيل الحاضر لم يتلق أي تصور إسلامي أو أي وسيلة منتجة للتفكير من أسلافهم. ومن المفترض أن الأمة الإسلامية تعيش أزمة فكرية مما يُسبِّب إرباكا وغموضا في رؤية المسلمين. حثّ التربويون في جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي على الإصلاح الفكري باعتباره متطلَّبا أساسيا لأي إصلاح آخر. ويشعر غالبية التربويين والمفكرون في الوقت الحاضر بالرضا عن أفكارهم وخبراتهم ويتجنبوا النقاش بشأن إمكانية دمج النظام التعليمي مع الحياة الإسلامية والعقيدة الإسلامية.

يرى آخرون أن التربوي العربي الحديث لديه تقليد إسلامي عظيم في التعليم للبحث عن الإلهام، وأن التربية الإسلامية في الوقت الحاضر هي مجرد ظل لماضيها. ويُعتَبَر نِتاج التعليم في العالم العربي مشوَّه ورجعي. هناك أنظمة مختلفة وغير متناسقة من التعليم يتم اصطيادها بين الضغوط المتضاربة، مثل احترام التقاليد والحاجة إلى التغيير. ويتمثل التحدي في العثور على إنسجام حقيقي ومتوازن بين المفاهيم التقليدية لمعالجة القضايا والتحديات المعاصرة.

لا تُعتَبَر النظرية التربوية الإسلامية مجرد مجموعة من الفرضيات ثبتت صحتها من خلال الملاحظات والتجريب، ولا هي مجموعة من المبادئ المنصوص عليها من قبل البشر، بل هي مجموعة من المفاهيم التربوية التي توضِّح وتحدِّد النظام التعليمي. من الناحية الجوهرية، لا يُنظر إلى الدين كظاهرة اجتماعية بل هو أساس التعليم. يقول العلماء إن العامل الرئيسي وراء التخلف وتراجع الوضع في المجتمع الإسلامي هو غياب كل من النظام التعليمي وفلسفة محددة واضحة المعالم مع تنظيم واضح للمفاهيم.

ويقع جزء آخر من المسؤولية على عاتق الآثار الناجمة عن نظرية تطور الأنواع ونظرية الانتقاء الطبيعي من خلال الصراع من أجل البقاء. لقد تم اقتراح هاتين النظريتين لشرح التنوع في الأنواع النباتية والحيوانية، ومن ضمنهم أيضا البشر، ولتبرير انقراض أنواع وأشكال حياة معينة. وتم دَمج هذه النظريات في العلوم والمجالات التعليمية والمناهج المدرسية. لم تقترب هذه النظريات، بالإضافة إلى دليل التطور الذي إقترحه علماء الأنسان وعلماء الأحياء وكذلك داروين (Darwin)، من مفهوم الخلق والخالق. وفي الوقت نفسه فهي لم تتعارض، إذا ما تم فهمها على نحو سليم، مع

المبادئ الإسلامية للخلق.

وناقش Ramzi (١٩٩٤) نظرية التطور التي تنص على أن الإنسان قد عاش حوالي مليون سنة قبل أن يبدأ بالتطور إلى نوع الحياة التي ميزت بينه وبين الحيوانات الأخرى، والتي من المفترض أنها قد بدأت قبل عشرين ألف سنة، وقال إن هذه النظرية لا تتناقض مع الفكر الإسلامي. وفقا للرأي الإسلامي، إن التنوع في الأصناف والتركيبات المختلفة من الكروموسومات، وكذلك الانتقاء الطبيعي في عالم الحيوان والنبات هي ظواهر لعظمة الله وقوته المطلقة. خلق الله الأنواع المختلفة وغرس فيها الميول والقدرات الكامنة لتتطور وفقا للمتغيرات الداخلية والخارجية المحتملة. إن النباتات والحيوانات والأشياء والبحار والجبال والكون كله مسخرة للإنسان، وهي علامات وإشارات لخلق الله. هذه العوالم وأشكال الحياة المختلفة هي خزائن لكنوز خارقة للتعلم والإلهام.

وفيما يتعلق بخلق الإنسان، يتحدث الإسلام عنه بأنه خلق من نسل آدم وحواء والذي من خلاله انحدرت أنواعه المختلفة وسكنت الأرض. ووفقا للقرآن الكريم، لا يمكن للتغيرات في البيئات وفي العلاقات الاجتماعية والفسيولوجية أن تسبب وجود جنس بشري جديد.

**الإنطباعات والإستنتاجات**

تم تناول مفهوم التعليم من أجل الاستدامة أو التعليم من أجل التنمية المستدامة من وجهات نظر مختلفة. ففي حين يرى البعض أن إدخال هذا المفهوم ذو قيمة، حيث سيتم استخدامه لمعالجة القضايا الممثلة تمثيلاً غير كامل بالتعليم البيئي التقليدي، يُظهِر البعض الآخر المخاوف حول طبيعة العولمة في أجندة «التعليم من أجل الاستدامة» ويشدّدون على ضرورة تنشئة وجهات نظر بديلة.

إذا كان الفكر والأخلاق البيئية هي عمليات متطورة، فإن إحدى مهام التعليم العالي هي إشراك الطلاب في هذه العملية. بالإضافة إلى ذلك، إذا كان التفكير البيئي هو مواصلة التطور، وإذا كان الطلاب هم مشاركون في حوار بيئي لا يمكن تخيله في الوقت الحاضر، فإنه يجب علينا مقاومة الإغراءات لاستبعاد الأفكار الناشئة (مثل وجهات النظر الإسلامية) لصالح الاستدامة. ومن التحديات

التي واجهت الاستدامة حقيقة أن كلا من قاعدة المعرفة وقاعدة القيمة للاستدامة متغيرة ومشكوك فيها. ومع ذلك، يستطيع الجدل حول الاستدامة أن يجمع بين فئات مختلفة من المجتمع من أجل البحث عن لغة مشتركة لمناقشة قضايا بيئية. ويقال: عندما تلتقي طرق النظر المختلفة، يخلق ذلك التنافر، ولكن التعلم من المحتمل أن يحدث.

وعلاوة على ذلك، يسمح هذا الحوار لطابع النزاع الاجتماعي والعلمي للمعرفة والقيم الناشئة بالظهور على السطح. تُعتَبَر المشاركة في مثل هذه المناقشة فرصة لمعرفة المزيد عن موضوع مثير للجدل للغاية يقع على مفترق طرق بين العلم والاقتصاد والتكنولوجيا والمجتمع. يعتَمِد الفكر النقدي على عناصر استثنائية في اللغة العادية، وعلى الكلمات والأفكار التي تبين الافتراضات ووجهات النظر، وعلى الأدوات للتوسُّط في الاختلافات بين نظم القيم المتنافسة. ومن المفارقات، أن هناك تأثير معاكس في قوة الحوار العالمي (مثل الاستدامة) في انخفاض المعنى إلى الحد الأدنى. من المحتمل أن يؤدي هذا الانخفاض إلى انخفاض قيمة اللغة واختلال وظيفي للغة.

للمؤسسات التعليمية حُريّة فريدة من نوعها لرعاية وإلهام وتطوير أفكار جديدة، وحرية المساهمة في خلق معارف جديدة. وللجامعات دور فريد في تطوير قدرات عقلية متعددة لدى الطلاب، وذلك لتمكينهم من النقد والبِناء والعمل مع وجود درجة عالية من التفكير والاستقلالية وتقرير المصير. وينبغي على التعليم تطوير كفاءات الطلاب التي تمكنهم من التعامل مع الشك والقيم المتضاربة وبِناء الواقع. إن العامل الرئيسي للتّسبب في زوال أي مجتمع أو مؤسسة هو خنق الإبداعات وتوحيد التفكير وتضييق الخيارات والحَد من التفكير المستقل ومن العزيمة.

يُنظَر إلى التعليم بوصفه وسيلة لتطوير أعضاء مجتمع يسعون إلى تحقيق الذات، ويبحثون عن المعنى، ويطوِّرون قدراتهم الذاتية، ويخلقون الحلول بالمشاركة. من وجهة النظر هذه، لا يمكن إنشاء مجتمع الاستدامة دون المشاركة الكاملة وتحقيق الديمقراطية لجميع أفراد المجتمع. يمكننا أن نتصور مجتمعا شفافا جدا، يشارك بنشاط وبشكل حاسم في حل المشكلات وإتخاذ القرارات ويثمِّن ويحترم طرق التفكير البديلة. قد لا يكون هذا المجتمع مستداما من وجهة نظر بيئية، ممثلا بمجتمع بيئي شمولي، ولكن قد يكون الناس أكثر سعادة وأكثرقُدرة في نهاية المطاف على الاستجابة بشكل أفضل للقضايا الناشئة.

يبدو أنه من المناسب البحث عن بعض المعايير لدمج التنمية المستدامة في التعليم بطرق لا توحد الحقائق. وفيما يلي بعض الدروس المستفادة من مبادرة دمج الاستدامة في التعليم كما وثقها Van den Bor (٢٠٠٠):

- الاستدامة هي «واقع اجتماعي» وظاهرة يتعين دراستها.
- تُعتَبَر الاستدامة سياقية وبالتالي يعتمد معناها على الوضع الذي يتم إستخدامها فيه.
- تُعتَبَر الاستدامة معيارية وأخلاقية.
- تُعتَبَر الاستدامة ابتكارا ومحفزا من أجل التغيير.

يتطلب تعليم الاستدامة تحوُّل في النماذج العقلية التقليدية. هذا يعني أنه يجب على المعلمين اعتبار أنفسهم كمتعلمين. ويشمل تعليم الاستدامة أيضا النقاش حول القيم والأخلاق. إن إدراج جوانب الاستدامة في التعليم واضح المعالم من الناحية الثقافية.

تتطلب الاستدامة تحوّلات وانعكاسات هامة في عملية تدريس الفرد. وتتطلب أيضا تقوية المتعلمين من خلال تمكينهم من العمل على حل القضايا الحقيقية التي حددوها بأنفسهم. وتتطلب أيضا تقدير واحترام الخلافات. وفيما يلي ملخص للتحوُّل المطلوب في التوجه التربوي:

- من التعلم الاستهلاكي إلى التعلم الاستكشافي.
- من عملية تعليمية محورها المعلم إلى عملية تعليمية محورها المتعلم.
- من التعلم الموجَّه بالمحتوى إلى التعلم الموجه باحتياجات الذات.
- من التعلم المؤسسي القائم على الموظفين إلى التعلم من خلال المحيط الخارجي.
- من التركيز على الأهداف الإدراكية فقط إلى التركيز على الأهداف الوجدانية والمتعلقة بالمهارة أيضا.

فتحت محاولة إدراج الاستدامة في التعليم عالما جديدا من التعلم والبحث. ومن وجهة النظر هذه، تُمثِّل الاستدامة مدخلا مثاليا للفلسفة والأخلاق. وبالتالي، فإن تحديد مفهوم المبادئ الإسلامية في التعليم من أجل التنمية له أهمية خاصة لتطوير حلول محلية مستلهمة من الثقافة.

تَعتَبِر النظرة الإسلامية البشر جزءا من الطبيعة وليسوا منفصلين عنها. وعلى المستوى المعرفي فهي تتولى المعرفة بشكل موضوعي وتحافظ على تلك المعرفة الصالحة بحيث يمكن أن

تكون عقلانية أو غير عقلانية. هذا تصور مختلف للمعرفة عن ذلك التصور المهيمن على وجهة نظر الغرب، الذي يفصل الحقيقة عن القيمة، وأدَّى إلى نوع من «الانعزال المفاهيمي». ويُعزى ذلك إلى حقيقة أن النموذج الغربي هو أكثر إهتماما في الحلول التقنية السريعة التي تركز على الكفاءة والفعالية والإنتاجية بدلا من الإهتمام بالتعليم النوعي الذي يعزز التساؤل والفكر النقدي.

يناقش العلماء أن التربية البيئية يجب تأخذ في الاعتبار كلا من وعي الإنسان، والعمل السياسي، وأنه يجب تشجيع الأفراد على الاستقلالية، وعلى التفكير النقدي والإبداعي المستقل. ويجب أيضا تمكين الطلاب من تحمل مسؤولية تصرفاتهم الخاصة والمشاركة في إعادة بناء المجالات الاجتماعية والسياسية للواقع الجديد.

تحتاج سياسات وإستراتيجيات التعليم من أجل تنمية مستدامة متقدمة إلى تطوير من قِبَل الأنظمة والمؤسسات الفردية بحيث تظل ذات صلة محليا وملائمة ثقافيا. وتتجلى الإرشادات التوجيهية والمعايير لأخلاقيات البيئة والاستدامة في ميثاق الأرض الذي يدعونا إلى التحرك وإجراء أبحاثنا بطرق تحترم الأرض والحياة بكل ما فيها من تنوع، وتهتم بحياة المجتمع بتفاهم ورحمة وحُب، وتبني مجتمعات ديمقراطية تكون عادلة ومستدامة وتشاركية وسلمية، وأيضا تحمي هبة الأرض وجمالها للأجيال الحالية والمستقبلية.

وباختصار، ما هو مطلوب في القرن الحادي والعشرين هو نموذج جديد من التعليم البيئي والكوني، يُركِّز على التعليم من أجل مجتمع وفضاء بيئي، وذلك لأن ثقافتنا الحديثة تُبدِّد كمية هائلة من الطاقات لنقل الناس والبضائع من مكان إلى آخر كما يزعم Orr (١٩٩٢). ونحن بحاجة أيضا إلى تعليم من أجل التنوع الثقافي والمواطنة التي تحتفل بالتنوع وتضيف قيمة للحياة.

# المراجع


**Afsaruddin, A. (2005). The Philosophy of Islamic Education, in Bekim Agai, Fethullah Gulen and His Movement in Islamic Ethics of Education-Critique (2002). Middle Eastern Studies, 11 (2002), 41.**

**Berry, T. (1988). The Dream of the Earth. San Francisco: Sierra Club Books.**

**Bloom, A. (1987). The Closing of the American Mind. New York: Simon and Schuster.**

**Bowers, C.A. (1993). Critical Essays on Education, Modernity, and the Recovery of the Ecological Imperative. New York: Teachers College/Colombia Press.**

**Cobb, E. (1977). The Ecology of Imagination in Childhood. New York: Columbia University Press.**

**Griffin, S. (1995). The Eros of  Everday Life. New York: Doubleday.**

**Hargrove, K. and Smith, M. (2005). The Natural Advantage of Nations: Business Opportunities, Innovation and Governance in 21st Century. Earth-Scan: James and James Publishing.**

**Lessem, R. and Palsule, S. (1997). Managing in Four Worlds. Oxford: Blackwell.**

**Lessem, R. and Schieffer, A. (2009). Transformation Management: Towards the Integral Enterprise. Farnham: Gower Publishing.**

**Orr, David W. (1992). Ecological Literacy: Education and the Transition to a Postmodern World. Albany, NY: State University of New York Press.**

**O'Sullivan, E. (1999). Transformative Learning: Educational Vision for the Twenty-First Century. London: Zed Books.**

**Ramzi, Abdul Qader H. (1994). 'Islamic Education in the Understanding of Present Day Muslim Educationists'. PhD thesis, University of Durham, UK.**

**Wackernagel, M. and Rees, W. (1996). Our Ecological Footprint: Reducing Human Impact on the Earth. Gabriola Island, BC: New Society Publishers.**

**WCSD. (1987). Report of the World Commission on Environment and Development. Oxford University Press.**

**Van den Bor, W., Holen, P., Wals, A. and Filho, W. (2000). Integrating Concepts of Sustainability into Education for Agriculture and Rural Development. Frankfurt: Peter Land.**

## الخاتمة

تحتاج التنمية المستدامة في القرن الحادي والعشرين إلى تسخير كل من الثروة التكنولوجية والثقافية للأمم. وستسلط هذه الخاتمة الضوء على أهمية مجموعة من الأبعاد التي تحتاج إلى دمجها في خطاب جديد من أجل الاستدامة المتجذرة في الثقافة والبيئة. إنشغل العالم منذ عام ٢٠٠٨ بالمشاكل الاقتصادية والمالية فقد فقدت أسواق الأسهم العالمية أكثر من ٣٠ تريليون دولار أمريكي، وفقدت استثمارات المعاشات التقاعدية ١٥٪ من قيمتها، وتقلّبت أسعار السلع بشكل واسع، وازدادت أسعار المواد الغذائية، وتقترب البطالة بشكل سريع من ٩٪ على المستوى العالمي.

في حين أن حالة الاقتصاد العالمي تستحق الإهتمام الذي تحظى به، هناك أزمة أخرى تجري دون أن يلاحظها أحد تقريبا وهي التراجع العالمي في النظم البيئية والتنوع الحيوي. ويمكن معالجة الأزمة الاقتصادية في نهاية المطاف، ولكن فقدان التنوع الحيوي الذي يمثل رأس المال الطبيعي ونظم دعم الحياة قد يكون لا رجعة فيه. ومن الجدير بالذكر أنه يجب على صانعي السياسات أن يضعوا في اعتبارهم أن الآثار المترتبة على تدهور النظم البيئية من المرجح أن تقوض أساس الانتعاش الاقتصادي. والأداة الهامة لمعالجة هذه المشاكل المرتبطة هي تكنولوجيا المعلومات والإتصالات.

لقد كانت تكنولوجيا المعلومات والإتصالات ووسائل الإعلام الاجتماعية المحفِّز لنشوء موجة الديمقراطية في الشرق الأوسط أو الصحوة العربية (أو المخاض العربي)في عام ٢٠١١، فمن خلالها ظهرت المطالب بحكم رشيد (العدل)، ووعي جديد متزايد (الإحسان)، ورأس مال اجتماعي سليم (الأرحام)، ومكافحة الفساد. وبرزت هذه المطالب من خلال أصوات الشباب في المجتمع؛ وتُشكِّل جميعها الحمض النووي للاستدامة.

### الاستثمار في رأس مالنا الطبيعي

مع الأخذ بعين الاعتبار التحديات العالمية، بما في ذلك الفقر وتغيّر المناخ، وانتشار الإيدز وفقدان التنوع الحيوي، فإن العالم بحاجة إلى تقدير أكبر لمبادئ الاستدامة جنبا إلى جنب مع إدارة

سليمة لنظم البيئة، وذلك لبناء نظام داعم للاقتصاد. سوف يؤثر تغير المناخ سلبا على التنمية الاقتصادية، لذلك فإنه لا بد من تعزيز مرونة النظم الطبيعية، والاستثمار في الطبيعة كجزء من الانتقال إلى اقتصاد أخضر.

وتعيش جميع الأمم، بما في ذلك النباتات والحيوانات والكائنات الحية الدقيقة، معا في نظم البيئة التي توفر حلقات مستدامة من المنافع للناس، والمعروفة باسم «خدمات النظام الطبيعي». تشمل هذه الخدمات توفير الغذاء والأخشاب وضمان إمدادات منتظمة من المياه العذبة والحفاظ على مناخ صحي وتلقيح المحاصيل ومنع تآكل التربة وتنظيم الأمراض والآفات والتقليل من تأثير الحوادث الطبيعية الشديدة وتدوير المواد الغذائية من خلال نظم طبيعية، وذلك لتمكين اقتصاداتنا من الازدهار.

يفوق تأثير البشر على موارد الأرض القدرة الأستيعابية لها، ولا يمكننا أن نزيد من هذه المطالب بشكل غير محدود. إن التحديات البيئية الحالية هي نتيجة لنمط التنمية. قالMcNealy (٢٠٠٩) أن المجتمعات ما قبل التاريخ كانت مستقرة ودائمة، وطورت علاقة مستدامة مع بيئتها. تدخل طاقة الشمس فقط إلى نظام الطبيعة والبشرية، وتشع منها الحرارة فقط إلى الفضاء وكل شيء آخر يعاد تدويره في داخلها.

لم يعد هذا هو الحال اليوم. نحن نعمل فوق القدرة الأستيعابية لقدرة الكوكب لاستمرار الحياة. الأرض هي نظام محدود، مع مساحة محدودة، وموارد وإمكانات تجدد محدودة، ولقد تجاوزنا الآن النطاق الفعال لهذه الحدود. يُفقَد كل دقيقة ٢١ هكتار من الغابات الإستوائية، وينجرف ٥٠ طن من التربة الخصبة، ويضاف ١٢٠٠٠ طن من ثاني أكسيد الكربون إلى الغلاف الجوي ويتحوَّل كل ساعة ٦٨٥ هكتار من الأراضي المنتجة الجافة إلى صحراء، ويسقط كل يوم ٢٥٠٠٠٠ طن من حامض الكبريتيك على شكل أمطار حمضية في نصف الكرة الشمالي.

يرتكز نحو ٤٠ في المائة من التجارة العالمية على المنتجات أو العمليات الحيوية، ويؤكد الاعتماد المتزايد لكثير من البلدان على الواردات من المواد الغذائية وغيرها من الموارد الحيوية على المساهمة المهمة التي يُقَدِّمها التنوع الحيوي للنظم الاقتصادية. ويؤثر التنوع الحيوي أيضا على الأمن القومي. وتنتشر النزاعات حول المياه ومصايد الأسماك وغيرها من الموارد المشتركة بشكل كبير

في أجزاء كثيرة من العالم. وتساعد الموارد الطبيعية أيضا على تغذية بعض الصراعات. ومثال على ذلك الصراعات القائمة في السودان وفلسطين على حقوق المياه والأراضي والموارد الطبيعية الأخرى التي تساعد على توفير سبل العيش والأمن البشري للسكان المحليين.

وثَّق McNealy (٢٠٠٩) أدوات البحث المتاحة من قبل غوغل ومحركات البحث الأخرى التي تساعد على تسريع البحوث في مجالات معقدة للغاية، مثل الهندسة الوراثية وعلم الجينات، وتساعد ايضا على فهم أفضل للثروة الكاملة من الأنواع والنظم البيئية على كوكبنا. على سبيل المثال، فإن «موسوعة الحياة» (www.eol.org) هي النظام المفتوح الذي يهدف إلى تقديم معلومات عن جميع الأنواع المعروفة على كوكبنا. تكنولوجيا المعلومات والإتصالات ضرورية أيضا في الوصول إلى الجمهور وتساهم في ما يسمى الديمقراطية الرقمية أو الدعوة الخضراء أو النشاط المدني كما رأينا في موجات الديمقراطية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

مكَّنت مواقع الشبكات الاجتماعية والمدونات عامَّة الناس من تنظيم أنفسهم حول قضايا المحافظة الأساسية، ويمكن أن تعمل هذه الشبكات كرقيب، وتوَّفِّر صوت ذا وزن لصالح أو ضد تطورات معينة. كما يمكن أن تتأثر حملات التوعية العامة من خلال Web 2.0 Applications. إن تقنيات المعلومات والإتصالات الجديدة التي تتطور باستمرار ضرورية للمحافظة على الثروة الحية على كوكبنا، وهو الركيزة الأساسية لمستقبل مستدام.

**الاستدامة والروحانيات**

سوف يؤدي عدم وجود قبولنا للبعد الروحي للأزمة البيئية قريبا إلى تدمير البيئة وذلك كما قالHossein (١٩٦٨). وهذا، في الواقع، متجذر في العلاقة التواصلية بين الإنسان والمحيط الخارجي. وتُعتَبَر تصرفات البشر هي المسؤولة عن هذه الأزمة البيئية. وعليه، فإن أهم مساهمة في النقاش العالمي حول القضية البيئية هي إستعادة الرؤية الروحية للطبيعة. ونرى من خلال التفكير في المشاكل البيئية الرئيسية، مثل، تدمير المواطن الطبيعية من خلال إزالة الغابات والحد من الأغذية البرية وفقدان التنوع الحيوي وتآكل التربة ونضوب الموارد الطبيعية والسموم والأنواع الغريبة الناتجة من الإنسان وظاهرة تغير المناخ الناجم عن الزيادة السكانية، هي جميعا ناتجة من السلوك البشري. وإذا دقَّقنا في العوامل المرتبطة تاريخيا بإنهيار المجتمعات السابقة، نرى أن السبب الرئيسي

هو عدم قدرة الإنسان على العيش بانسجام واحترام مع القوانين الأساسية للطبيعة.

وفقا لما قال Diamond (٢٠٠٢)، هنالك ثمانية عوامل رئيسية تساهم في إنهيار المجتمع، وهي: إزالة الغابات وتدمير الموائل ومشاكل التربة مثل التعرية والتملح وفقدان خصوبة التربة ومشاكل إدارة المياه والإفراط في الصيد وصيد الأسماك الجائر وإدخال الأنواع الغريبة والإكتظاظ السكاني وزيادة تأثير الفرد على البيئة. وأضاف Diamond أن هناك أربعة عوامل جديدة أخرى قد تساهم في إضعاف وانهيار المجتمعات الحالية والمستقبلية، وهي: ظاهرة تغير المناخ الناتجة من الإنسان، وتراكم المواد الكيميائية السامة في البيئة، ونقص الطاقة.

من المهم أن ندرك أنه من أجل تفعيل التنمية المستدامة بشكل جوهري، ومن أجل ضمان تطور الحضارة البشرية، فهذا يتطلب تحولات في نموذج ونسق التنمية التي ترتكز على الفرد فقط إلى التنمية التي تؤكد على علاقات الإنسجام بين الفرد والمجتمع والطبيعة والخالق. وفي هذا السياق، يحتاج مفهوم حقوق الإنسان إلى تقييم. وهناك حاجة لإعادة إدخال مفهوم الإنسان في إطار شمولي يُعالِج علاقاته مع غيره من البشر، ومع المجتمع والطبيعة والخالق. وبالتالي، فإن الأولوية للقيم الروحية وللسعي لتحقيق الرفاهية الاجتماعية على مستوى عال من التنمية.

تم تعريف التنمية المستدامة في تقرير برونتلاند (١٩٨٧)، (Brundtland Report)، «مستقبلنا المشترك»، بأنها عملية التغيير التي يكون فيها استغلال الموارد وإتجاه الاستثمارات وإتجاه التطور التكنولوجي والتغيير المؤسسي في انسجام، والتي تُعَزِّز القدرات الحالية والمستقبلية لتلبية احتياجات الإنسان وتطلعاته.

يمكن أن توفِّر القيم الدينية في البعد الروحي التوجيه لحياة مستدامة، حيث أن جوهر الدين لا يدور فقط حول الله والطقوس، ولكن أيضا عن العلاقة مع البيئة. الدين مهم للتنمية الشخصية للناس، لأنه يوفِّر مدونة لقواعد السلوك لكيفية تصرُّف البشر على هذا الكوكب المشترك.

## الإسلام كوجهة نظر كونية تحوليَّة:

يؤكد الإسلام أن الله لم يخلق شيئا عبثا، أو بدون حكمة وقيمة وهدف. للبشر مُهِمَّة معيّنة، وقد تم تفويضهم لبناء الحضارة البشرية المستدامة التي تحترم قيمة كل إنسان. ينص القرآن الكريم بوضوح على أن قتل شخص واحد هو كقتل الإنسانية جمعاء. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا»، (سورة المائدة، آية ٣٢).

تم إعطاء البشر الأمانة لإدارة الحياة على الأرض، سواء لأنفسهم أو للمخلوقات الأخرى التي تسكن الأرض. الإنسان هو المسؤول عن كل شيء خلقه الله تعالى في العالم. لذلك، فإن الحفاظ على القانون الموجودة في الطبيعة والقوانين التي تحكم الحياة على وجه الأرض أمر أساسي لأمن وبقاء الجنس البشري. تحدد هذه القوانين البيئة بأنها هِبة مُقدَّمة من الله.

إذا نظرنا إلى الطبيعة كواقع يمتلك أيضا أهمية روحية، إذن لا بد من تصور شعورنا بالمسؤولية تجاه الطبيعة بشكل أوسع وأساسي. يمثل أي فعل من أفعال الإهمال من جانب البشر خطرا على الكائنات الأخرى. وهذا كله للتأكد على أننا قادرون على العيش بانسجام مع الطبيعة.

وبالتالي، علينا أن نقبل قواعد الطبيعة وإيقاعاتها بدلا من السعي إلى الهيمنة والتغلب عليها أو استغلالها بشكل مفرط. تقع مسؤولية تحقيق الاستدامة المستقبلية للحضارة البشرية إلى حد كبير على القيم والأخلاق الإنسانية، وبالتالي تصبح الروحانية أساسية في التنمية. إن التحول العميق لفهمنا للطبيعة ولحالة الإنسان ولطبيعة علاقتنا مع الله والبيئة الطبيعية هو أمر ضروري. وهذا ينطوي على تغيير جذري في نظرتنا الكونية ونماذج التنمية. يجب أن تقود الأخلاقيات وإحترام الطبيعة إستراتيجيات التنمية. تحتاج المنظمات والمجتمعات الإنسانية إلى مصدر إلهام لتطبيق هذا المفهوم. إن الازدهار الذي يتمتع به البشر هو نتيجة لعلاقات الانسجام بين البشر والطبيعة.

## الاستدامة كوسيلة لتحقيق الحياة الطيبة:

يُنظَر إلى البشر على أنهم الخلفاء والأمناء المسؤولين عن احترام القوانين الطبيعية وضمان العدل ونُهج الاستدامة الطيبة لتسخير الموارد الطبيعية. تُعتبَر جميع مساعي وأعمال الإنسان شكل من أشكال عبادة الله. ليس هناك فصل بين البعد الروحي والدنيوي لهذه الحياة الدنيا والآخرة. تُلهِم هذه الوحدة من الوقت والمعتقد الإنسان للاحتفال بتنوع الحياة والمضي قدما باستمرار في السعي لاكتشاف وفهم وعيش هذا العالم والتمتع به دون وجود أي شعور بالذنب، شريطة أن يعيش ضِمن السلوك الإسلامي.

يطلب الإسلام من البشر المحافظة على التوازن بين التعلق بالأشياء المادية والسعي وراءها وبين السعي من أجل الآخرة. مبدأ الزهد هو عنصر رئيسي في الإسلام، لأنه يوفر آلية التنظيم الذاتي لكبح جماح الإنسان من جميع أشكال الاستهلاك المفرط، ومن الإفراط في استخدام الموارد. تضمن هذه النظرة الإشراف البيئي واحترام مفهوم القدرة الاستيعابية للأنظمة الطبيعية لدينا. إلى جانب ذلك، يجب على كل جيل إظهار الإهتمام بالأجيال المستقبلية في استخدام الموارد. وعلى المستوى العالمي، يجب على جميع الدول ممارسة القيادة التحولية وضمان العدالة البيئية والتنمية الطيبة لجميع الأمم والكائنات.

إن وجهة نظر الإسلام، حول أصل ووحدة الإنسانية، بسيطة وواضحة. يرى الإسلام جميع البشر بوصفهم أبناء لآدم (عليه السلام). البشر جميعا متساوون، وهم جزء من الأسرة العالمية، التي يجب على أفرادها أن يعرفوا بعضهم البعض، وعليهم أن يتشاركوا المعرفة. وبالتالي، فإن الوضع الحاضر، الذي تعاني فيه البلدان الفقيرة من ديون للبلدان الغنية، لا يتفق مع الرؤية الإسلامية. العدالة الاجتماعية والاقتصادية والبيئية هي أخلاق الإنسان العالمية التي يجب أن تُحترَم من قبل الجميع. ويقوم النموذج الاقتصادي الإسلامي على المساواة المجتمعية، ويُشجِّع الإجتهاد الفردي، ولكن مع بعض الضوابط والتوازنات لتعريف حدود سلطة وصلاحيات الحكومة، الذي من شأنه أن يمنع تركيز السلطة الاقتصادية بيد نخبة محدودة.

يُعلِّمنا الإسلام أن هناك هدف لهذا الخلق، وأن البشر يخضعون للمساءلة. وللبشر المسؤولية والأمانة كأولياء لله في الأرض، وهم مسؤولون أمام الله عن جميع أعمالهم يوم القيامة،

وهكذا، ينص الإسلام على نظام قوي من المساءلة على جميع المستويات. وهذا صحيح على الصعيد الدولي، مثل حالة الجدل حول تغير المناخ. ولا يتفق الوضع الراهن، حيث أن بعض الدول القوية والشركات العالمية ليست مسؤولة أمام أي شخص في هذا العالم، مع النظرة الإسلامية. يتصور الإسلام عالم يكون فيه الجميع وكذلك السلطة مسؤولين عن أفعالهم. كما يُعلِّمنا الإسلام أنه يجب حماية البشر وجميع الكائنات والموارد الطبيعية ضد الهدر والإستنزاف والتدمير.

أعادت الحضارة والثقافة الإسلامية تعريف مفهوم الحياة الطيبة على النحو المبين في مفاهيم مثل الزهد، الذي يعني الاكتفاء والعيش برفق على الأرض، والإحسان الذي يعني الجمال والتميز الداخلي. تؤدي أنماط الحياة ومستوى المعيشة وأنماط الاستهلاك الغربية إلى آثار بيئية كبيرة، من حيث استهلاك الغذاء والطاقة والسلع. ومن خلال التجارة العالمية، فإننا ننقل التكاليف البيئية عبر الحدود إلى الهند والصين وأجزاء أخرى من العالم. إن حجم وشدة التدهور البيئي الذي حدَث في العقود الخمسة الماضية، والذي يشير إليه الإسلام بالفساد، غير مسبوق في تاريخ البشرية.

هناك حاجة لتحقيق التحول الكلي في وجهات نظرنا الكونية، وإعادة التفكير في أساسيات النموذج الاقتصادي الغربي لضمان الإنسانية ونموذج مستدام منسجم مع الثقافة، ويضمن التوازن (الميزان) والعدل، ويحترم الانسجام بين الطبيعة والبشر والسوق.

قبل كل شيء، ما هو مطلوب هو نظرة جديدة وحديثة للإسلام على أنه مصدر للسلام والرخاء والإلهام العالمي، واستعادة التوازن الطبيعي والفطرة بين المجتمع والأسواق والطبيعة.

ويُعزى التناقض من وجود الفقر ضِمن الثروة في النموذج الغربي إلى الوهم بأن وسائل الإعلام تروج إلى ما ينقل رسالة أن السعادة تكون من خلال الممتلكات المادية وتراكمها. أمّا في الإسلام، فالسعادة هي انعكاس لراحة البال والنفس المطمئنة، وهو أمر من الممكن تحقيقه إذا كانت حياة الفرد في انسجام مع الطبيعة المحيطة به والآخر. هذا يحدث عند إرضاء كل من الحاجة الروحية والحاجة المادية بشكل كاف. وبما أن الحاجتين المادية والروحية ليستا هويَّتين منفصلتين، يحدث الرِضا المطلوب فقط عندما يتم دمج البعد الروحي في جميع المساعي المادية لمنحها معنى وهدف.

ما لم يتم التخلص من جميع الاستخدامات المُسرِفة والكماليات أو التقليل منها، وما لم يتم إصلاح جميع المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية التي تعزز عدم المساواة، عندها ربما لن يكون من الممكن تلبية احتياجات جميع أفراد المجتمع، ولكن لا يمكن تحقيق تلك الإجراءات إذا أخذ الأفراد اختياراتهم الفردية وقدرتهم المالية الخاصة في الاعتبار. لذا يحتاج كل فرد إلى أن يعي الأولويات الاجتماعية في استخدام الموارد، وإلى أن يملك الدافع إلى التصرف وفقا لهذه الأولويات. يحتاج البشر إلى أن يكونوا أكثر إهتماما بشأن رفاهية الآخرين من خلال سعيهم إلى تحقيق رفاهيتهم الخاصة.

لا يمكن أن يكون هناك نظام أكثر ملاءمة لإنشاء مثل هذا الانضباط من نظام أخلاقي مقدَّم من خالق الكون نفسه، ومرتبط بالمساءلة أمامه. ضمن إطار هذا الانضباط، لا تحظى الممتلكات المادية بقيمة لذاتها. فهي ذات قيمة طالما أنها تحقق الهدف من إنشائها، الهدف الذي تم تعريفه من قبل نظام القيم. يخلق مثل هذا الموقف ضبط النفس الطوعي في استخدام الموارد النادرة، مما يقلل من الاستهلاك غير الضروري، ومن الإفراط في استغلال الموارد. ويجعل هذا النظام الأخلاقي من الممكن تلبية احتياجات الجميع من خلال الزهد، ومن خلال الإدراك بأنه بالإمكان تحقيق الرخاء بدون نمو. وسوف يؤدي هذا بدوره إلى التماسك الاجتماعي والتضامن، بحيث يشعر جميع أفراد المجتمع بالقوة من خلال شعورهم بالانتماء، وليس من خلال ممتلكاتهم.

و في غياب البعد الأخلاقي، تصبح الممتلكات المادية غاية في حد ذاتها. وبالتالي لا يتمثل تحقيق الرضا في الوفاء بالحاجات بل في التنافس مع الآخرين. فيخلق الاستهلاك المنافي للعقل إرتياحاً مؤقتاً فقط. وبعدم وجود أي معنى وغرض للحياة، يصبح صناعة الأزياء والموضة والعارضات مجرد تبادل فراغ بآخر. فكل فرد مشغول بإستمرار في الحصول على الموارد اللازمة لحياته تاركاً القليل من الوقت للوفاء بالتزاماته تجاه الأسرة والمجتمع. وتتجاوز الضغوط المفروضة على الفرد طاقته التحمّليّة فيفقد معها راحة البال. وتصبح آليه الإنتاج برمتها موجهة بشكل مباشر أو غير مباشر تجاه الوفاء بالحد الأقصى من الرغبات. ويدعم هذا النمط من الحياة مجموعة من السياسات البنكية التي تشجع الناس على العيش بما لا يتفق وحدود إمكانياتها وطاقاتها. فتزداد بالتالي المطالبات على الموارد وتتضاعف الإختلالات، ويتخلف عن الركب أولئك الذين لا يستطيعون مواكبة هذا النضال. سيؤدي هذا إلى عدم الرضا وخلق التوترات الاجتماعية والاغتراب الإنساني.

يتطلب تحقيق المقاصد تحديد أولويات مختلفة. ويتطلب ذلك إدراك حاجة السلع

العامة إلى أن تكون مشتركة بشكل منصف يتحقق معه المصلحة العامة من خلال التجارة العادلة (Fair Trade ) وأنظمة الحمى. ولوجود البشر من منظورٍ إسلامي هدف أساسي يتمثل في إنشاء نظام اجتماعي أخلاقي عادلً وإنساني على الأرض. تقوم الفلسفة الاجتماعية للإسلام على أساس النوايا البشرية وتلبية الاحتياجات والرغبات والتمتع بالأمور، وكذلك على سيادة الفرد والمسؤولية الجماعية، كل ذلك ضمن المبادئ التوجيهية المستمدة من القيم الإسلامية. وينص الإسلام على أن الناس جميعاً جزء من أسرة إنسانية واحدة كبيرة من ثم فهم متساوون وينبغي معاملتهم على هذا الأساس. فيعتبر تنوع الجنس البشري نفسه ظاهرة خلقها الله تعالى من أجل التعلم والتواصل الاجتماعي.

و يمثل الإسلام مبدأ «الأمة الوسط» كمنصة للقواسم المشتركة التي تقوم على الإيمان والقيم والأخلاق. فهو يصوّر نظاماً اجتماعياً يجسد عدة أمم تتعايش مع بعضها البعض في سلام وانسجام. كما يقترح إيجاد التعاون المتبادل من أجل تحقيق مصلحة القطاعين العام والخاص من خلال الالتزام والتضامن الاجتماعي وتقديم مصلحة الغير على المصلحة الشخصية. أنه ينشر مسؤوليات جماعية بين جميع المواطنين. فهو ينشر المسؤولية الاجتماعية بين المواطنين. وبالتالي فعلى جميع أفراد المجتمع الإسهام في إنشاء وصيانة النظام الاجتماعي الأخلاقي والوقف وذلك من أجل تحقيق أقصى قدر من الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية، بالإضافة إلى إيجاد الفرص لتحقيق التنمية الذاتية والنمو الشخصي لأكبر عدد ممكن من الناس.

## الجهاد الأخضر والابتكار

من أجل معالجة القصور التي يعاني منها النموذج الاقتصادي الحالي والتحديات التي يواجهها السوق كما في تحديات تغير المناخ والفقر والأزمة المالية، لقد اقترحت نموذج يتألف من ثلاثة عناصر رئيسية: الحراك (الكفاح) الأخضر والإجتهاد والزهد. وقد تصورت أربع إستراتيجيات لمعالجة إخفاقات السوق الحالية بما في ذلك تغير المناخ والفقر من خلال تنمية تحويلية مسؤولة تتصف بأنها «خضراء ويكون محورها المجتمع المحلي بالإضافة إلى تبنيها لنظام تعليمي نوعي ونماذج للمالية الإسلامية». ويمثل هذا النموذج – المسمى Green JIZ – استجابة كلية (شمولية) لتحدي تغير المناخ من منظور إسلامي. ويدور «الحراك الأخضر» حول تسخير نشاط المجتمع المدني لحفظ الطبيعة وحق الشعب في حياة حرة وآمنة وصحية. ويقوم «الاجتهاد الأخضر» حول تحرير الإمكانات

البشرية من الابتكار لتحسين رفاهية الإنسان. ويتضمن «الزهد الأخضر» العيش الرفيق على الأرض والحد من النفايات والإفراط في الاستهلاك واستغلال الموارد.

ينبغي على المسلمين، كأمة وسط، تحمل المسؤولية وتجاوز ثقافة الاستهلاك ووضع نماذج للطاقة المتجددة والإنتاج النظيف والتجارة العادلة والحمى وإحياء الأرض الموات وتشجيع الإنتاج المحلي الذي بدوره سوف يؤدي إلى التقليل من الانبعاثات الكربونية والمخاطر والكوارث المحتملة لتغير المناخ. يعزز الركود في المفاهيم والأفكار والحوار مع «الآخر"- في جوهره – والذي يسود العالم حالياً من تصور الصدام بين الحضارات وهو ما يسمى بظاهرة «التخوف من الإسلام"أو Islamophopia. هذه المفاهيم الخاطئة هي «حرائق"من صنع الإنسان (سواء في الغابات أو في عالم الأفكار) وهي تؤدي إلى تدمير ثروات غاباتنا التي تمثل في الواقع علاجنا وملعب لأطفالنا وغرفة صف نتعلم منها ونستمد منها إلهامنا.

## مكة المكرمة كملتقى عالمي للحوار

يمكن أن تتجلى الحياة الطيبة وتتجسد في مدينة مستدامة. واقترح أن تكون مكة المكرمة نموذجاً لمدينة بيئية تسعى إلى إظهار حياة طيبة وجهود هادفة وإلى إقامة نموذج لعمارة الأرض والتي من شأنها أن تنتج للبشرية منافع تتعدى المكان والزمان. سيكون من الضروري تحويل مكة المكرمة كمدينة تتوحد فيها المنتديات العالمية الثلاثة (الاقتصادية والاجتماعية والبيئية) وتوحيد الخطاب البشري مع رواية جديدة وقصة لمدينة يتجسد فيها مفهوم التوحيد الشامل للحياة الطيبة. إن جوهر الحج، إلى جانب البعد الروحي، هو تقاسم الحكمة وأفضل الممارسات ومواجهة المخاطر الحالية والتهديدات والتحديات السائدة في العالم الحالي. ويمكن قول الشئ نفسه عن القدس، كمدينة قاد فيها النبي محمد (صلى اللّه عليه وسلّم) جميع الأنبياء في صلاة في المسجد الأقصى في القدس، مما يدل، من منظورٍ إسلامي، إلى أن الإسلام ليس ديناً جديداً ولكنه سلسلة متصلة لجميع الأديان التوحيدية.

ويُعرَّف مفهوم المنافع، كما ورد في سياق صلاة النبي إبراهيم عليه السلام، بأنه مصطلح عام يشمل رفاهية الإنسان وسبل كسب العيش والتنمية الاجتماعية - الاقتصادية وتلك التي يكون الإنسان محورها الأساسي. كما تشمل المنافع كرامة الإنسان ورفاهيته وتغذية العقل والروح البشرية.

وينبغي لتجربة مكة المكرمة أن تكون تجربة تحوّل ساهمت في التنوير للحركة المدنية لأمريكا (خلال رحلة الحج لمالكوم إكس) في الستينات ومن المتوقع أن تلعب دوراً جديداً في القرن الحادي والعشرين لمواجهة التحديات الحالية وحث الأمة على تحمل مسؤولية الإنسان وتجسيد رؤى عالمية تتجاوز الحدود الوطنية.

بإدراك التحديات العالمية، من تغير المناخ والتلوث والإفراط في الاستهلاك وفقدان التنوع الحيوي والفقر، يمكن لمكة المكرمة أن تكون مرحلة لإثبات كيفية الانتقال إلى اقتصاد منخفض الكربون والمساهمة من خلال أفكار جديدة لتحقيق الاقتصاد الأخضر مثل الحمى والوقف. مكة المكرمة، مثل غيرها من المدن في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، غنية بالطاقة الشمسية، وإذا تم تسخير هذه الطاقة المتجددة بشكل فعال فإنه يمكن لصناعة السيارات وتكنولوجيا الإتصالات والمعلوماتية أن تكون نموذجاً لتحقيق الازدهار من دون الإدمان على زيت الوقود الأحفوري.

يعتبر تحقيق الانسجام والتوازن والحوكمة وكرامة الإنسان والمصالحة بين الإنسان والطبيعة هي المكونات الرئيسية لحياة طيبة. إن التجربة التاريخية الغنية للحج هي قصة من التماسك الاجتماعي والتعاطف البشري التي تعتبر حجر الزاوية لحياة طيبة ومدينة طيبة. يمثل العيش لبضعة أيام في مكة المكرمة - كبلدة طيبة - ضمن ممارسات موحدة للعبادات والتفكر وغذاء طيب (غذاء النبي صلى الله عليه وسلم) ووحدة المظهر في الملابس البيضاء والوحدة في ذكر الله.

**التعليم من أجل الاستدامة:**

إن التعليم الشمولي الذي يتناول التوحيد بين البشر والمعرفة أمر مهم لتحويل الوضع الحالي للتنمية. يساعد التعليم الشمولي على تعزيز الروح المتفتحة للمعرفة، حيث يقودها الإيمان والتحول إلى درجة أعلى من الوعي والإحسان. وبالتالي يتضمن تثقيف الناس بشكل كلي وفتح المجال لهم للعلم والفهم واحترام الترابط بين جميع الأشياء والمساواة بين جميع الأنواع وأهمية ذلك من أجل الحفاظ على حياتهم على الأرض.

ينبغي زيادة وعي البشر وتوعيتهم وذلك فيما يتعلق بالأمانة ومصير الأرض. كما في المثل

الأفريقي القديم (هذه الدنيا ما ورثناها عن آبائنا، إنما استعرناها من أولادنا). يجب إدماج تنمية العلوم والتكنولوجيا المستندة إلى التعاليم الدينية والقيم الثقافية في جميع مستويات المجتمع. وبالتالي يخدم التعليم الشمولي في الجمع بين المعرفة والقيم. في جوهره، يعتبر الرخاء الذي يتمتع به البشر ناتج عن انسجام العلاقات بين البشر والطبيعة. ومن أجل ضمان حضارة بشرية مستدامة، فالناس بحاجة إلى مجموعة من القواعد والقيم التي تحترم الانسجام و»الفطرة الطبيعية». كما أننا بحاجة إلى تعلم الدروس الأساسية من انهيار الحضارات القديمة التي تُعزى إلى الآثار المجتمعة للضرر البيئي والنمو السكاني والزراعة غير المستدامة وتغير المناخ والحروب. لا بد أن نفهم أن تقدم وازدهار أوائل الحضارات قام على أساس العلاقة المنسجمة بين الإنسان والبيئة، وعلينا في القرن الحادي والعشرين أن ندرك أهمية هذا المبدأ الأساسي للحفاظ على الحضارة البشرية.

# المراجع

Diamond, Jared. (2005). Collapse: How Societies Choose to Fail and Survive. London: Penguin Books.

Hossein, N. (1968). Man and Nature: The Spiritual Crisis in Modern Man. London: Allen & Unwin.

McNealy, Jeff. (2009). 'ICT for a Global Sustainable Future'. International Conference of European Commission, Brussels 22–23 January, 2009.

The Brudtland Report (1987). UN Report – Our Common Future. Oxford: Oxford University Press.



**عن المؤلف:**

الاستاذ الدكتور عودة راشد الجيوسي هو مؤسس وشريك في مؤسسة خبراء التنمية المستدامة و نائب رئيس الجمعية العلمية الملكية للعلوم والبحث العلمي سابقاً. كما شغل منصب المدير الإقليمي لمنطقة غرب آسيا ـ الشرق الأوسط في الاتحاد الدولي لحماية الطبيعة (The International Union for Conservation of Nature).

حصل الأستاذ الجيوسي على درجة الماجستير و من ثم درجة الدكتوراة في العام 1993 من جامعة الينوي – شيكاغو في التخطيط الحضري وتحليل السياسة العامة (Urban Planning and Public Policy Analysis).

وعمل الجيوسي كأستاذا جامعيا في مجال المياه و البيئة و عميداً للبحث العلمي لمدة عشر سنوات في جامعة العلوم التطبيقية الأردنية.

وأثناء اقامته في الولايات المتحدة الأمريكية، عمل الأستاذ الجيوسي في كل من قسم التخطيط التابع لبلدية شيكاغو و مركز التنمية الاقتصادية الحضرية التابع لجامعة إلينوي. كما عمل خبيرا و استشاريا دوليا مع كل من الاتحاد الأوروبي و الوكالات التابعة للأمم المتحدة و البنك الدولي و الوكالة الألمانية للتعاون الفني GTZ. و له أبحاث عديدة تم نشرها فى مجلات دولية.

## تقديم

تشكّل التحديّات والتغيّرات التي تشهدها المنطقة، خاصة في ظلّ ما يسمّى بالربيع العربي، واقعًا يستدعي تفعيل العمل والتنسيق المشترك بين الأطراف ذات العلاقة. وتعدّ الجهود التي تضطلع بها منطقة غرب آسيا وشمال أفريقيا، مطلبًا ملحًا أكثر من أي وقت مضى من أجل تحقيق فهم أفضل للتنمية وإيجاد مقاربات استباقية للتنمية نابعة من المجتمع المحلي.

ويمثّل كتاب الدكتور عودة الجيوسي **"الإسلام والتنمية المستدامة"** خطوة إيجابيّة في هذا الاتجاه، حيث يحاول إثبات أنّ بعض المفاهيم والنماذج الإسلاميّة النبيلة لا تتفق فقط مع المفاهيم الحالية للتنمية المستدامة، بل يمكن تطبيقها كوسيلة لإلهام الآخرين من أجل مشاركة موسّعة في صيرورة تنمويّة لا تقف حدودها عند الحد من الفقر.

ويُظهر الدكتور الجيوسي في هذا الكتاب عدم إمكانيّة تبني النماذج الغربية للتنمية وتطبيقها، "كما هي"، في المجتمعات الشرقية، على الرغم من أنّها تقدّم مراجع مهمّة وبدايات قيّمة. فقد أشار الفكر التنموي إلى هذه النقطة منذ أمد بعيد. ونجد، في المقابل، أنّ محاولات ترسيخ بعض التفصيلات الخاصة بكيفية مقاربة التنمية بفعاليّة ونجاح كبيريْن في المجتمعات الشرقيّة والإسلاميّة هي ظاهرة أكثر حداثة.

**الأمير الحسن بن طلال**
رئيس منتدى غرب آسيا وشمال إفريقيا




ISBN 978-9957-484-24-8